



الإمام موسى الكاظم عليه السلام

سيرة وتاريخ

الاستاذ علي موسى الكعبدي

تحظى إصدارات المركز
بالمتابعة والتقويم والإشراف العلمي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

كلمة المركز

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على نبينا محمد أشرف الأنبياء والمرسلين ، وعلى آله الهداة الأطهار الميامين ، وبعده..

تُعدّ ظاهرة الاشتباه بالباطل من الظواهر الفكرية والثقافية الأشدّ وضوحاً في تاريخ المسلمين ، لأن من شأن من يدعو إلى الباطل ويروّجه أن يخلطه بشيء من الحق ، ويلبسه لباسه ، وإلّا لما اشتبه العاقل بالباطل الصرف الذي لا حقّ معه ، وفي هذا يقول أمير المؤمنين عليه السلام : « ألا أن الحق لو خَلَصَ - يعني من مزج الباطل - لم يكن اختلاف ، ولو أن الباطل خَلَصَ - يعني من مزج الحق - لم يخفَ على ذي حججٍ ، لكنّه يُؤخذ من هذا ضغث ومن هذا ضغث ، فيمتزجان ، فيجللان معاً ، فهنالكَ يستولي الشيطان على أوليائه ، ونجا الذين سبقت لهم من الله الحسنَى ».

وفي تاريخ المسلمين شواهد لا تحصى على هذه الظاهرة التي لازمت الفكر الإسلامي منذ وفاة الرسول صلى الله عليه وآله وإلى يوم الناس هذا ، ومن هنا كان أمير المؤمنين عليه السلام يقول : « سيأتي عليكم من بعدي زمان ليس فيه شيء أخفى من الحق ، ولا أظهر من الباطل ».

والسبب في ذلك هو تفتّتي ظاهرة امتزاج الباطل بشيء من الحق على أكثر من صعيد ، وانطلاء ذلك على معظم الناس إلّا من عصم الله عزّ وجلّ. والدين الخاتِم الذي جاء لنصرة الحق وإذلال الباطل يستحيل أن يغفل عن تلك الظاهرة ولا يعالجها علاجاً شافياً وحاسماً ليقطع بذلك كل مخاصمة أو جدل. ويجد المنتفع عشرات الأدلّة الشرعية الصريحة في كيفية الخروج من هذه الظاهرة منتصراً بجعل كلمة الحق هي العليا على ما سواها من كلمات الباطل.

ولا خلاف بأن القرآن الكريم هو سيد الأدلّة بلا منازع ، وهو الحجّة البالغة والدليل القاطع لما فيه من البيان والهدى ، قال تعالى : ﴿ هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴾. ومن الواضح أنّ القرآن الكريم حمّال ذو وجوه ، بل ويمكن لأهل كل اتجاه الاستدلال ببعض آياته المشابهة على صحّة ما يعتقدونه ويتبنّاه ، ومن هنا نرى أمير المؤمنين عليه السلام ينهى ابن عباس حين أرسله إلى الخوارج عن الاحتجاج عليهم بالقرآن ، بل أمره بالاحتجاج بالسنة الثابتة ، خشية مما ذكرناه.

الإمام الكاظم عليه السلام سيرة وتاريخ ٦

وفي هذا الصدد نرى السنّة الشريفة الثابتة قد بينت للأمة - بياناً شافياً كافياً - مَنْ هو القيم الحقيقي بعد رسول الله صلى الله عليه وآله على الكتاب العزيز ، الحافظ لمعانيه وأسواره المدرك لجميع مقاصده وأهدافه ، ويعلم تأويله وتزييله ، ولا يختلف في شيء منه ، حتى أنه صلى الله عليه وآله جعل المتمسك بالقرآن الكريم دون قيمه كالللا متمسك به أصلاً ، الأمر الذي بينه حديث الثقلين الشريف بكل وضوح فقال : « إني تارك فيكم الثقلين : كتاب الله وعترتي أهل بيتي ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا أبداً ، وقد أنبأني اللطيف الخبير أنّهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض ».

وفي حديث صريح آخر : « عليكم بالقرآن فإنه الشفاء النافع والدواء المبارك ، عصمة لمن تمسك به ، ونجاة لمن اتبعه ، أتدرون من المتمسك به.. هو الذي يأخذ القرآن وتأويله عتاً أهل البيت ».

ومن هنا كان سلمان الفارسي رضي الله عنه يصبح بالناس بعد يوم السقيفة : « انزلوا آل محمد منكم منزلة الرأس من الجسد ، لا بل منزلة العينين من الرأس ، وإذا رأيتم الفتن نحوكم كقطع الليل المظلم فعليكم بأهل بيت محمد صلى الله عليه وآله ، فإنهم القادة وإيهم المقادة ».

وقد كانت حياة أهل البيت : حافلة بأسمى آيات التضحية والفداء من أجل إعلاء كلمة الحق وإماتة الباطل ، وقد دفعوا عليهم السلام ضريبة موافقهم الرسالية غالبية حتى كانوا بين قتيل أو مراقب أو سجين.

وهذا الكتاب - عزيري القارئ - يبين بكل جلاء ووضوح كيف استطاع الإمام السابع من أئمة أهل البيت موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام أن يحفظ الدين الحنيف من حالات التردّي التي أصابته على أيدي السلطات الحاكمة في زمانه ، حتى قدّم لذلك حياته الشريفة فداء لدين حده محمد صلى الله عليه وآله . وفيه دراسة واعية لشخصية الإمام الكاظم عليه السلام بأبعادها المختلفة مع استجلاء مواقفه الرسالية الخالدة على أكثر من صعيد ، أملين من الله عزّ وجلّ أن يتقبله بفضله ، ويجزل المثوبة لمؤلفه ، وأن يحقّق الأهداف المرجوة من ورائه. وهو الهادي إلى سواء السبيل.

مركز الرسالة

المُقدِّمة

الحمد لله ربّ العالمين ، وسلامه على عباده الذين اصطفى محمد وآله خير الورى.

إنّ الإمام موسى بن جعفر عليه السلام من قمم الروح والفكر والجهاد ، وصفحات حياته مليئة بالعبير والمظاهر الفدّة التي تمتلك القلوب وتستولي على المشاعر ، فلقد أوتي أروع قيم الكمال وأرفع معالي الأخلاق وأجلّ مظاهر العظمة التي طبعت شخصيته الكريمة وميزتها عن سائر من عاصره في العبادة وغازاة العلم والحكمة والبلاغة والحلم والزهد والكرم والشجاعة والتقوى والخلق الرفيع ، فكان رمزاً لقيم الفضيلة وشيم المروءة وقُدوةً صالحة للإنسانية ، ممّا جعله يمتلك أزمّة القلوب ويحظى بمحبة الناس على اختلاف مشاربهم ، ويعترف له بالتقدم بالعلم والفضل حتى أعدائه ، فقد ورد عن الرشيد أنه قال للمأمون : يا بُني ، هذا وارث علم النبيين ، هذا موسى بن جعفر بن محمّد ، إن أردت العلم الصحيح فعند هذا ^(١).

وللإمام الكاظم عليه السلام دور فاعل في الحياة الإسلامية وافتتاح على الواقع الإسلامي كله ، فهو إزاء تصرفات حكام زمانه الذين أمعنوا في اضطهاده والتنكيل به ، ركّز جهوده في المضمار العلمي والمعرفي بعيداً عن التدخل في شؤون البلاط ورجاله.

من هنا عاش هذه المرحلة ، واستطاع أن يملأها علماً وفكراً وروحانيةً ،

(١) أمالي الصدوق : ٣٠٧ / ١ ، عيون أخبار الرضا عليه السلام : ١ / ٩٣ / ١٢ .

الإمام الكاظم عليه السلام سيرة وتاريخ ٨

فترك إسهامات علمية واسعة ورصيماً معرفياً لا ينضب ، فقد واصل نشاط مدرسة آبائه المعصومين عليهم السلام ، وكان له دور كبير في رفدها بعلومهم الغراء وسنتهم السمحاء ، مما له الأثر الفاعل في ترسيخ مبادئ العقيدة وتربية نخبة صالحة من أصحابه الرواة الثقات والفقهاء والمؤلفين أمثال : علي بن يقطين ومحمد بن أبي عمير وهشام بن الحكم وغيرهم ، الذين يعدّون القاعدة المؤمنة مرجعية الإمام عليه السلام ويشكّلون الامتداد الروحي والفكري له في أوساط الأمة ، وتتأكد الحاجة إلى مثل هذه الجماعة الصالحة في زمان الإمام الكاظم عليه السلام بسبب سياسة القهر والإقصاء المفروضة عليه من قبل السلطة.

وفي هذا الاتجاه ترك الإمام الكاظم عليه السلام بحثاً كلامية وعقائدية عديدة انبرى فيها لخدمة عقائد الإسلام والدفاع عن أصوله ونشر فروعه ، منها مناظراته المتضمنة تأصيل مبدأ الإمامة ، وبيان حقوق أهل البيت عليهم السلام ، فضلاً عن سعة الرواية عنه في كافة أبواب شرائع الإسلام ، كما توجه إلى تهذيب النفس والسلوك ضمن إطار قصار الحكم والمواعظ والوصايا التي خاطب بها أصحابه ، وعلى رأسها وصيته إلى هشام بن الحكم المشتملة على المواعظ البليغة والحكم الرائعة والأقوال الجامعة سيما في مجال العقل وأهميته وجنوده.

وضمن هذا الإطار أسهم عليه السلام في رصد الانحرافات التي كانت تفرض نفسها على حركة الفكر الإسلامي ، ليصححها ويقومها في الاتجاه الصحيح ، كسعيه في إبطال القياس والرأي والاستحسان ، ورفض البدع وتأكيد السنن.

ولعل من أبرز إسهاماته في الحياة الإسلامية صلته الفقراء ومساعدة المحرومين في غلس الليل ، وكانت صراره يضرب بها المثل ، فكان يقال : عجباً لمن جاءته صرار موسى وهو يشتكي الفقر !

وكان عليه السلام في سيرته اختصاراً لسيرة جده المصطفى صلى الله عليه وآله في التوجه إلى الله

تعالى والانقطاع إليه ، فهو أكثر الناس عبادة لله تعالى وأعظمهم طاعة حتى لُقّب بالعبء الصالح لشدة انقطاعه إلى ربه واجتهاده في العبادة والتقوى ، ولقّب بزين المجتهدين ؛ إذ لم يرَ أحد نظيراً له في الطاعة والعبادة ، وكان عليه السلام في السجن لا يفتر عن العبادة ، يحيي الليل كله صلاةً وقراءةً للقرآن ودعاءً واجتهاداً ساهراً في محراب عبادته ، ويصوم النهار في أكثر الأيام ، ولا يصرف وجهه من المحراب.

ومع أن الإمام عليه السلام لم يشترك في الميادين السياسية ولم ينضم إلى الثوار من الطالبين ، فقد عمل العباسيون على عزله عليه السلام عن أتباعه ومواليه بإيداعه في ظلمات السجن حتى قضى بالسم شهيداً بأمر من هارون اللارشيدي ، وليس ثمة سبب إلاّ الخوف من دور الإمام الفاعل في الحياة الإسلامية والغيرة من روحانية شخصيته التي تستقطب مختلف أوساط الأمة.

وعلى رغم ظروف الحرمان والاضطهاد والتضييق والعذاب النفسي والجسدي ، فقد واجهه كل تلكم المآسي بعزم ثابت وإرادة صلبة وتصميم راسخ ، فكان عليه السلام مثلاً للصبر والإصرار والتحدّي ، حتى سُمّي الكاظم لما تحمل من صعاب وما كظم من غيظ عما فعله الظالمون به حتى مضى شهيداً في حبسهم ، وكان في السجن سيد الصابرين الذي يشكر خالقه ، لأنه لبّى دعاءه ففرغه لعبادته والانقطاع لطاعته بقوله : « اللهم إنك تعلم أني كنت أسألك أن تفرغني لعبادتك ، اللهم وقد فعلت ، فلك الحمد » ^(١). ومع محيط السجن القاهر كان عليه السلام يمتلك امتداداً روحياً عظيماً في الواقع الإسلامي.

ما قدمناه قيس من حياة إمامنا الكاظم عليه السلام ، أما بعد شهادته فانه يعرف

(١) الإرشاد ٢ : ٢٤٠ ، الفصول المهمة : ٢٢٠.

الإمام الكاظم عليه السلام سيرة وتاريخ ١٠
بباب الحوائج إلى الله ، لنجح مطالب المتوسلين إلى الله تعالى به ، وقبره ترياق
مجرب لإجابة الدعاء كما عبّر عنه الشافعي .

وثمة صفحات أخرى من سيرة هذا الإمام العظيم تضيء لنا العقيدة
والشريعة والمنهج وظلمات الحياة كلها ، ندعها للقارئ الكريم ضمن فصول هذا
الكتاب السبعة ، آملين أن نعيش فكره ومواعظه ووصاياه .

فسلام عليه في الخالدين ، وسلام عليه يوم وُلد ، ويوم استشهد ، ويوم
يُبعث حيّاً ، ومنه تعالى نستمدّ العون والتوفيق .

* * *

الفصل الأوّل

ملاح عصر الإمام الكاظم عليه السلام

١٤٨ - ١٨٣ هـ

لا يخفى ما للحياة السياسية في أي عصر من أهمية بالغة في معرفة مجمل أوضاعه الفكرية والاجتماعية والاقتصادية ، ذلك لأنّ السلطة الحاكمة تمسك بأسباب التغيير الاجتماعي والاقتصادي في أوساط الجماهير ، لكن ذلك يرتبط بنوع الجهاز الحاكم وطبيعة أداؤه ، من هنا سنقدم قراءة تاريخية تتضمّن أهم سمات العصر الذي عاش فيه الإمام أبو الحسن الكاظم عليه السلام والحكام الذين عاصروه لأهمية ذلك في معرفة تاريخه وقراءة سيرته عليه السلام .

الحكام المعاصرون للإمام عليه السلام :

تسّم الإمام الكاظم عليه السلام منصب الإمامة بعد شهادة أبيه الإمام الصادق عليه السلام سنة (١٤٨ هـ) ، فعاصر في سني إمامته (١٤٨ - ١٨٣ هـ) أربعة من حكام بني العباس تتمثل في بقية ملك المنصور أبي جعفر (١٣٦ - ١٥٨ هـ) ، ثم ملك ابنه المهدي (١٥٨ - ١٦٩ هـ) ، ثم ملك ابنه الهادي موسى (١٦٩ - ١٧٠ هـ) ، ثم ملك أخيه هارون الملقب بالرشيد (١٧٠ - ١٩٣ هـ) ، واستشهد الإمام الكاظم عليه السلام بعد مضي ثلاث عشرة سنة من ملك هارون^(١) مسموماً في حبس

(١) وعلى رواية وفاته بسنة (١٨٦ هـ) يكون بعد مضي ١٥ سنة من حكم هارون.

الإمام الكاظم عليه السلام سيرة وتاريخ ١٢

السندي بن شاهك يوم الجمعة لست بقين من رجب^(١) ، وقيل : لست خلون من رجب سنة (١٨٣ هـ) ، وله من العمر نحو خمس وخمسين سنة^(٢) ، ودُفن بمدينة السلام في المقبرة المعروفة بمقابر قريش ، وهي مدينة الكاظمية حالياً.

أهم سمات هذا العصر :

امتازت الدولة العباسية في عصرها الأوّل (١٣٢ — ٢٣٣ هـ) بقوّة أداء السلطة المركزية وعلوّ هيبتها وسطوة أجهزتها وتماسك ثغورها وشموخ عمراتها ، ونلاحظ ازدياد نفوذ البرامكة وبعض الجوارى وتدخّلهم في إدارة الملك ، ومن جانب آخر أثقلت الدولة كاهل المواطن بالضرائب التي كانت تُجّبي بالقوة وباستخدام شتى وسائل القمع والإرهاب ، مع انصراف رجال البلاط إلى الاستحواذ على معظم الأموال العامة وإنفاقها في وسائل اللهو والترف والبدخ بينما تعيش الأكثرية الساحقة من الناس على الكفاف وينهكها الجوع والفقير ، وتفتك بها الأمراض والأوبئة ، ولا يختلف رجال الدولة عن النهج العباسي القاضي بمراقبة أصحاب الأئمة وتقييد حركتهم ، وقمع الثائرين من العلويين بالعنف والبطش إلى حد الوحشية في التعذيب والقتل وإزهاق الأرواح ، وشهدت هذه المدة تقريب رجال السلطة للشعراء ، والإنفاق عليهم سيما النواصب الذين يكونون العداء لأهل البيت عليه السلام .

وكان لما تقدم تداعيات وخيمة ، أبرزها : تردي مجمل الأحوال الاقتصادية والاجتماعية والسياسية ، وارتفاع وتيرة الثورات الداخلية ، ونشوء الدول كدولة الأدراسة ، وتنامي الحركات المتطرفة ، وقد عاجلت الدولة كل

(١) وقيل : لخمس بقين من رجب ، تاريخ بغداد ١٣ : ٢٧ — ٣٢ ، المنتظم في تاريخ

الملوك والأمم / ابن الجوزي ٩ : ٨٨ .

(٢) الإرشاد / الشيخ المفيد ٢ : ٢١٥ ، سير أعلام النبلاء / الذهبي ٦ : ٢٧٤ .

ذلك بقوة جيوشها وهيبة سلطانها ، وفيما يلي أهم خصائص هذا العصر :

١ - قوة السلطة المركزية :

يعدّ العصر العباسي الأوّل العصر الذهبي من حيث قوّة السلطة المركزية واستفحال جيشها وتماسك ثغورها ، ومن مظاهر ذلك كثرة البعث والجيش المتوجهة لغزو الترك سنة (١٤٨ هـ) ، وغزو بلاد الروم من سنة (١٤٩ هـ) إلى سنة (١٨٢ هـ) ، وما تخلل تلك البعث من تقدم في بلاد الروم ، إذ تمكّن الجيش من فتح سمالو والوصول إلى خليج القسطنطينية وأنقرة ومدينة أصحاب الكهف ، وافتتح مظمورة ، وسبي وأسر خلقاً كثيراً من الروم وغنم أموالاً جزيلة حتى طلب ملك الروم في أكثر من مرة الصلح على أن يدفع الجزية^(١).

ونشهد أيضاً غزو الهند سنة (١٦٠ هـ) وما رافقه من حصار لأحد مدنها حتى فتحها عنوة بعد نصب الجانيق عليها ورميها بالنفط وإحراق طائفة منها وإهلاك بشر كثير من أهلها ، وقد هلكت أعداد غفيرة من الجيش عند الانصراف بالأوبئة والغرق^(٢).

وفي سنة (١٦٧ هـ) غزا العباسيون جرجان جيش كثيف لم يُر مثله^(٣) ، وفي سنة (١٧٨ هـ) غزا الجيش بلاد ما وراء النهر وفتح بلاداً كثيرة منها كابل^(٤).

ومن المظاهر التي تدل على قوة السلطة المركزية أيضاً أن أغلب الملوك دخلوا في طاعة الخلافة ، فكان منهم ملك كابل ، وملك طبرستان ، وملك

(١) تاريخ اليعقوبي ٢ : ٣٩٦ ، البداية والنهاية / ابن كثير ١٠ : ١١٢ و ١١٨ و ١٢١ و ١٢٣ و ١٣٧ و ١٤٤ و ١٥٥ و ١٥٦ و ١٨١ و ١٩٠ و ١٩٣ .

(٢) البداية والنهاية ١٠ : ١٣٩ .

(٣) البداية والنهاية ١٠ : ١٥٩ .

(٤) البداية والنهاية ١٠ : ١٨٣ - ١٨٥ .

الإمام الكاظم عليه السلام سيرة وتاريخ ١٤
السغد ، وملك طخارستان ، وملك باميان ، وملك فرغانة ، وملك أسروشنة ،
وملك سجستان ، وملك الترك ، وملك التبت ، وملك السند ، وملك الصين ،
وملك الهند وغيرهم (١).

ومن مظاهر ذلك أن الرأس الحاكم (الخليفة) يستطيع أن يعزل من يشاء
من العمال والولاة ويولي غيرهم ، دون أن يترتب عليه انفصال الوالي وتغلبه
على ولايته وجباية خراجها ، كما نشهده في العصور اللاحقة.
غير أن قوة الدولة كانت مشفوعة بظلم فظيع عبّر عنه مؤسس الدولة
وداعيتها أبو مسلم الخراساني في موضع يتجاف فيه المرء عن الكذب ، نقل عن
ربيع الأبرار للزمخشري قال : كان أبو مسلم يقول بعرفات : اللهم إني تائب إليك
مما لا أظنك تغفر لي ! فقيل له : أفيظلم على الله تعالى غفران ؟! فقال : إني نسجت
ثوب ظلم ما دامت الدولة لسبي العباس ، فكم من صارحة تلعني عند تفاقم
الظلم ، فكيف يغفر لمن هذا الخلق خصماؤه ؟ (٢).

٢ — توسع العمران :

إن النهضة العمرانية تتبع قوة السلطة المركزية واستقرارها ، غير أنها كانت
على حساب حاجة الأكثرية الساحقة من أبناء المجتمع التي كانت تعاني تحت
وطأة الضرائب ، مع وجود الأقلية المستأثرة بالمال العام من حواشي السلطان
وأطرافه ممن انشغلوا ببناء القصور الفارهة التي لا تعود إلى الصالح العام.

ولعل أهم مظاهر العمران في هذا العصر هو بناء مدينة بغداد وسورها ، إذ
أمر المنصور بتخطيطها سنة (١٤٥ هـ) وجعلها دار ملكه بدلاً من الهاشمية التي
بناها السفاح ، وبناء الرافقة بالرقعة سنة (١٥٥ هـ) على منوال بناء بغداد ، وبناء

(١) تاريخ اليعقوبي ٢ : ٣٩٧.

(٢) الكنى والألقاب / الشيخ عباس القمي ١ : ١٥٧.

الفصل الأوّل : ملامح عصر الإمام الكاظم عليه السلام ١٥

المصيصة ، وبناء سور وحفر خندق حول الكوفة ، وذكر المؤرخون أن المنصور أخذ ما غرم على ذلك من أموال أهلها من كل إنسان من أهل اليسار أربعين درهماً ، وقد فرضها أولاً خمسة دراهم خمسة دراهم ، ثم جباها أربعين أربعين !! فقال في ذلك بعضهم :

يا لقومي ما رأينا من أمير المؤمنين
قسم الخمسة فينا وجبنا أربعيننا

وحين بنى المنصور مدينة المصيصة أخذ أموال الناس حتى ما ترك عند أحد فضلاً ، وكان مبلغ ما أخذ ثمانمائة ألف ألف درهم.

وفي سنة (١٥٧ هـ) بنى المنصور قصره المسمى بالخلد في بغداد ، فاكتمل سنة (١٥٨ هـ) وسكنه أياماً يسيرة ثم مات وتركه وحرب القصر من بعده.

وفي سنة (١٥٩ هـ) بنى المهدي الرصافة وخندقها ، وفي سنة (١٦٦ هـ) ذهب المهدي إلى قصره المسمى بعبساباذ الذي بناه بالآجر ، وبني الهادي قصرًا سماه الأبيض بعبساباذ من الجانب الشرقي من بغداد^(١) ، وأمر الرشيد ببناء طرسوس في سنة (١٧١ هـ) فأحكم بناءها ، وجعل لها خمسة أبواب وحولها سبعة وثمانين برجاً ، ولها نهر عظيم يشق وسطها عليه القناطر المعقودة^(٢).

٣ - ميل رجال الدولة إلى البذخ واللهو :

إن الصفة الغالبة على رجال الدولة وعلى رأسهم (الخليفة) هي الاسراف في انفاق الأموال الطائلة العائدة إلى بيت المال لأغراضهم الخاصة ، كافتناء الجوارى والسراير والقيان والمغنين والشعراء وبناء القصور ، فحينما استخرج

(١) البداية والنهاية ١٠ : ١٧٠ .

(٢) تاريخ يعقوبي ٢ : ٣٨٧ و ٤١٠ ، البداية والنهاية ١٠ : ١٢١ و ١٢٣ و ١٢٨ و ١٣٠

و ١٣٤ و ١٣٧ و ١٥٨ و ١٥٩ .

الإمام الكاظم عليه السلام سيرة وتاريخ ١٦
المهدي أموال أبيه المنصور من الذهب والفضة وصفها المؤرخون بأنها لا تحدد ولا
توصف كثرة ^(١) ، وذكروا أن المهدي كان أول خليفة حُمِلَ له الثلج إلى مكة سنة
(١٦٠ هـ) ^(٢) ، وكان أول من لعب بالصوالة في الإسلام ، وكان يسمع الغناء
ويشرب النبيذ ^(٣).

وفي سنة (١٦٦ هـ) سخط المهدي على يعقوب بن داود وزيره الذي فوّض
إليه جميع أمر الخلافة ، لأسباب منها أنه كان يعظه في تعاطيه شرب النبيذ بين
يديه وكثرة سماع الغناء ، فكان يلومه على ذلك ويقول : ما على هذا استوزرتني
ولا على هذا صحبتك ، أبعث الصلوات الخمس في المسجد الحرام يشرب الخمر
ويغني بين يديك؟! وفي ذلك يقول بعض الشعراء حثاً للمهدي على تعاطي
الخمرة وسماع الغناء :

فدع عنك يعقوب بن داود جانباً وأقبل على صهباء طيبة النشر ^(٤)
وحيثما حاول (المهدي) أن يتحرى المبرر لتناول الخمرة ، لا يبالي الإمام
الكاظم عليه السلام أن يجيبه بكل قطعية وصراحة غير مجامل ولا مداهن ، قال علي
ابن يقطين : « سأل المهدي أبا الحسن عليه السلام عن الخمر هل هي محرمة في كتاب الله ؟
فإن الناس إنما يعرفون النهي عنها ولا يعرفون التحريم لها ؟ فقال
له أبو الحسن عليه السلام : بل هي محرمة في كتاب الله عز وجل . فقال له : في أي موضع
هي محرمة في كتاب الله حل اسمه ، يا أبا الحسن ؟ فقال : قول الله عز وجل :
﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ

(١) البداية والنهاية ١٠ : ١٦٣ .

(٢) البداية والنهاية ١٠ : ١٤١ .

(٣) الاعلام / خير الدين الزركلي ٦ : ٢٢١ .

(٤) البداية والنهاية ١٠ : ١٥٧ .

الفصل الأوّل : ملامح عصر الإمام الكاظم عليه السلام ١٧

الْحَقِّ» (١).... وأما الاثم ، فإنها الخمرة بعينها ، وقد قال الله عز وجل في موضع آخر : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ ﴾ فأما الاثم في كتاب الله فهي الخمرة ، والميسر فهي النرد ﴿ وَإِنَّهُمَا أَكْبَرُ ﴾ (٢) كما قال الله تعالى. قال : فقال المهدي : يا علي بن يقطين ، هذه والله فتوى هاشمية « (٣).

واشتهر عن المهدي أنه كان يحبّ اللعب بالحمام والسباق بينها ، فدخل عليه جماعة من المحدّثين فيهم عتاب بن إبراهيم فحدثه بحديث أبي هريرة : « لا سيق إلا في خوف أو نعل أو حافر ، وزاد في الحديث : أو جناح ، فأمر له بعشرة آلاف ، ولما خرج قال : والله إني لأعلم أن عتاباً كذب على رسول الله » (٤). وفيه تشجيع من الخليفة على نشر البدع ، والمجاملة في دين الله ، والكذب على رسول الله ﷺ .

أما الانفاق على سوق الشعراء ، فقد روي أن المهدي أجاز شاعراً بخمسين ألف دينار (٥).

وروي الزبير بن بكار أن مروان بن أبي حفصة أنشد الهادي قصيدة منها قوله :
تشابهه يوماً بأسه ونواله فما أحد يدري لأيهما الفضل
فأمر له بمائة وثلاثين ألفاً معجّلة (٦).

(١) سورة الأعراف : ٧ / ٣٣ .

(٢) سورة البقرة : ٢ / ٢١٩ .

(٣) الكافي ٦ : ٤٠٦ / ١ ، تفسير العياشي ٢ : ١٤٦ / ١٥٨٠ .

(٤) البداية والنهاية ١٠ : ١٦٣ .

(٥) الاعلام / خير الدين الزركلي ٦ : ٢٢١ .

(٦) البداية والنهاية ١٠ : ١٧٠ .

وحين عاد الفضل بن يحيى من خراسان أنشده مروان بن أبي حفصة :

ما الفضل إلا شهاب لا أفول له عند الحروب إذا ما تأفل الشهب
فأمر له بمائة ألف درهم^(١).

ولا تقف سياسة البذخ والاسراف بالمال العام على رأس الهرم في السلطة وحسب ، بل تمتد إلى قاعدة عريضة من ولاة الدولة وعملها وقادتها ، ففي سنة (١٧٣ هـ) توفي بالبصرة محمد بن سليمان^(٢) ، فأمر الرشيد بالاستيلاء على أمواله ، فوجدوا من ذلك شيئاً كثيراً من الذهب والفضة والأمتعة والأموال ، ومن جملته وجدوا من الذهب ثلاثة آلاف ألف دينار ، ومن الدراهم ستة آلاف ألف^(٣).

ولجواني البلاط السهم الأوفر من بيت المال ، فقد عثر عند خالصة إحدى حظيات المهدي على عشرة آلاف دينار^(٤). وكان للخيزران جارية المهدي وأم الهادي والرشيد ضياع كثيرة غلتها في كل سنة ألف ألف وستين ألفاً^(٥).

أما المنون فحديثهم ذو شجون ، ففي هذا العصر عكف الخلفاء على سماع الغناء وتقريب المغنين وبذلوا لهم أموالاً جزيلة من الصلات والهبات ، حتى أصبحوا طبقة مرفهة في المجتمع ، ومنهم مخارق بن يحيى الجزار ، وكان الرشيد العباسي يعجب به حتى أقعده مرة على السرير معه ، وأعطاه ثلاثين ألف

(١) البداية والنهاية ١٠ : ١٨٣ .

(٢) هو محمد بن سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس ، جمع له المنصور بين البصرة والكوفة ، وزوجه المهدي ابنته العباسية ، وكان دخله في كل يوم مائة ألف .

(٣) البداية والنهاية ١٠ : ١٧٣ .

(٤) البداية والنهاية ١٠ : ١٣٤ .

(٥) البداية والنهاية ١٠ : ١٧٥ .

درهم^(١). وزنام الزامر ، وكان من مطربي الرشيد والمعتمد والواثق ، وله معهم أخبار ، وعده الثعالبي من صدور مطربي المتوكل أيضاً^(٢). وحكم بن ميمون الوادي الذي طالت مدة حياته فعاصر الوليد بن عبد الملك وغناه ، واتصل ببني العباس منذ أيام المنصور وانقطع إليهم ، فاشتهر وأصاب مالاً وافراً وحظوة ، وأدرك هارون الرشيد وغناه^(٣). وابراهيم الموصلبي ، وكانت له عند العباسيين منزلة حسنة ، وأول من سمعه منهم المهدي العباسي ، ولما ولي موسى الهادي أغدق عليه نعمه ، وكذلك هارون الرشيد من بعده ، وجعله من ندائه وخاصة^(٤). وابنه إسحاق الموصلبي ، وهو من أشهر ندماء الخلفاء ، نادى الرشيد والمأمون والواثق ، ولما مات نعي إلى المتوكل فقال : ذهب صدر عظيم من جمال الملك وبهائه وزينته^(٥). وإسماعيل بن جامع السهمي ، ويعرف أيضاً بابن أبي وداعة ، اتصل بهارون الرشيد فحظي عنده^(٦).

٤ - سوء الأوضاع الاقتصادية والصحية :

ذكرنا أن هناك قلة متخمة تستأثر برأس المال وتبذّده في حياة البذخ والترّف بينما تعاني أكثرية الناس من تدهور أوضاعها الاقتصادية والخدمية وتعيش حياة البؤس والفقر والحرمان ، بسبب كثرة الضرائب واستعمال القسوة في جبايتها إلى جانب انتشار الأمراض والأوبئة ، مما ترك آثاراً وخيمة على بنية

(١) الاعلام / خير الدين الزركلي ٧ : ١٩١ .

(٢) الاعلام / خير الدين الزركلي ٣ : ٤٩ .

(٣) الاعلام / خير الدين الزركلي ٢ : ٢٦٧ .

(٤) الاعلام / خير الدين الزركلي ١ : ٥٨ .

(٥) الاعلام / خير الدين الزركلي ١ : ٢٩٢ .

(٦) الاعلام / خير الدين الزركلي ١ : ٣١١ .

الإمام الكاظم عليه السلام سيرة وتاريخ ٢٠

المجتمع وسلوك أفرادها ، وقد حفّزت تلك الأوضاع قطاعات واسعة من الناس على الثورة في عدة أجزاء من جسم الدولة ، ففي سنة (١٧٨ هـ) وثبتت الناس في مصر بولائها عدة مرات بسبب ثقل الضرائب والالتزامات المالية^(١).

وأخذ الرشيد العمال والدهاقين وأصحاب الضياع والمبتاعين للغلات وغيرهم ، وكان عليهم أموال مجتمعة ، فولى مطالبتهم عبد الله بن الهيثم بن سام ، فطالبهم بصنوف من العذاب^(٢).

والذي يزيد من فقامة الأوضاع كثرة الأمراض التي تحصد آلاف البشر ، فعن سنة (١٥٨ هـ) قال الواقدي : وأصاب الناس في هذه السنة وباء شديد فتوفي فيه خلق كثير وجمّ غفير^(٣) ، وفي سنة (١٦٧ هـ) وقع وباء شديد وسعال كثير ببغداد والبصرة^(٤) ، وأصاب الناس في آخر سنة (١٦٨ هـ) وباء وموت كثير وظلمة وتراب أحمر^(٥).

وفي خضمّ التدهور الذي تعاني منه الأمة على صعيد أحوالها المعاشية ، نجد الإمام الكاظم عليه السلام يقدم النصح للرشيد حينما تنهياً له فرصة الكلام عند قدوم الرشيد إلى المدينة في الموسم فقابلته الإمام الكاظم عليه السلام وجهاً لوجه قائلاً : « إن الله عز وجل قد فرض على ولاية عهده أن ينعشوا فقراء الأمة ، ويقضوا عن الغارمين ، ويؤدّوا عن المثقل ، ويكسوا العاري ، ويحسنوا إلى العاني ، وأنت أولى من يفعل ذلك. ولا يتردد الرشيد من أن يقول : أفعل

(١) البداية والنهاية ١٠ : ١٨١ — ١٨٣.

(٢) تاريخ يعقوبي ٢ : ٤١٥.

(٣) البداية والنهاية ١٠ : ١٣٧.

(٤) البداية والنهاية ١٠ : ١٥٩.

(٥) تاريخ يعقوبي ٢ : ٤٠١.

الفصل الأوّل : ملامح عصر الإمام الكاظم عليه السلام ٢١
يا أبا الحسن»^(١).

كما أسهم الإمام الكاظم عليه السلام في الانفاق على الفقراء والمساكين والأيتام والأرامل والإحسان إلى الناس ورعاية أمورهم حتى سمي منقذ الفقراء لكثرة ما بذل في هذا الاتجاه ، ودعا إلى منع الاحتكار بسبب غلاء الأسعار ، روى ثقة الإسلام الكليني عن معتب قال : « كان أبو الحسن عليه السلام يأمرنا إذا أدركت الثمرة أن نخرجها فنبيعها ونشتري مع المسلمين يوماً بيوم »^(٢).

٥ - نفوذ البرامكة والجواري :

لعل أبرز ما يطالع الباحث في تاريخ هذه الحقبة هو تدخّل البرامكة وبعض الجواري في إدارة شؤون الملك وتسيير أمور الدولة والحرب ، ومن الجوّاري التي كان لها دور متميز في هذا الاتجاه الخيزران ، وكانت من جواري المهدي فأعتقها وتزوجها ، وهي أم ابيه الهادي وهارون الرشيد. ولما مات المهدي وولي ابنها الهادي انفردت بالسلطة والوصول ، وأخذت المواكب تغدو وتروح إلى باهيا ، وحاول الهادي منعها من ذلك حتى قال لها : إذا وقف ببابك أمير ضربت عنقه. وسعى في عزل أخيه الرشيد من ولاية العهد ، وقيل : إن الخيزران علمت عزمه على قتل الرشيد ، فأرسلت إليه بعض جواريها وهو مريض فجلسن على وجهه حتى مات خنقاً سنة (١٧٠ هـ) وله من العمر ثلاث وعشرون ، وقيل : ست وعشرون^(٣).

أما البرامكة فإنّ رأسهم يحيى بن خالد بن برمك ، وهو مؤدب الرشيد

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام : ١ / ٨٨ / ١١ .

(٢) الكافي : ٥ / ١٦٦ / ٣ .

(٣) تاريخ اليعقوبي : ٢ / ٤٠٦ و ٤٢١ ، البداية والنهاية : ١٠ / ١٦٨ ، الاعلام / الزركلي

الإمام الكاظم عليه السلام سيرة وتاريخ ٢٢

ومعلمه ومربيه ، رضع الرشيد من زوجة يحيى مع ابنها الفضل ، فكان يدعوه : يا أبي ، ولما تولى الهادي أخذ يحيى بن خالد بن برمك فحبسه في بيت ضيق لا يقدر أن يمدّ رجله فيه ، فأقام أياماً ، وأشرف عليه فيها بالقتل عدة مرات ، وذلك لما تناهى إلى سمعه من أن يحيى يمّني نفسه بالوزارة وهارون بالخلافة^(١) .

وفي سنة (١٧٠ هـ) ولي هارون الخلافة فدفع خاتمه إلى يحيى وألقى إليه أزمّة الملك وولاه الوزارة ، وأمره بمشاورة والدته الخيزران ، فكانت هي المشاورة في الأمور كلها ، فترم وتحلّ وتمضي وتحكم ، وبقي على ذلك حتى توفيت الخيزران سنة (١٧٣ هـ)^(٢) ، ثم استأثر يحيى بأمر الخلافة كلها وانقادت له الدولة ، يحكم بما يشاء فلا ترد أحكامه ، واستمر إلى أن نكب الرشيد البرامكة سنة (١٨٧ هـ) فقبض عليه وعلى ابنه الفضل^(٣) ، وأخذهما معه إلى الرقة فسجنهما واستصفي أموالهما وأمور البرامكة كافة وقبض ضياعهم^(٤) .

وقد توقع الإمام عليه السلام هلاكهم على يد الرشيد ، روى الشيخ الطوسي عن موسى بن يحيى بن خالد : « أن أبا إبراهيم عليه السلام قال ليحيى بن خالد في حديث : ياأبا علي ، انظر إذا سار هذا الطاغية إلى الرقة وعاد إلى العراق لا يراك ولا تراه لنفسك ، فإني رأيت في نجمك ونجم ولدك ونجمه أنه يأتي عليكم فاحذروه »^(٥) . ومع هذا ، فقد كان ليحيى بن خالد دور فاعل في قتل الإمام الكاظم عليه السلام .

(١) تاريخ اليعقوبي ٢ : ٤٠٦ .

(٢) البداية والنهاية ١٠ : ١٧١ .

(٣) استوزره هارون مدة وجيزة ثم ولّاه خراسان .

(٤) تاريخ اليعقوبي ٢ : ٤٢١ ، البداية والنهاية ١٠ : ١٨٣ ، الاعلام / الزركلي ٥ :

١٥١ و ٨ : ١٤٤ .

(٥) غيبة الطوسي : ٢٥ / ٥ .

٦ - الثورات الشعبية :

هزّت أركان الحكم العباسي في هذا العصر عدّة ثورات عنيفة من حين إلى آخر ، قادها رجال أفذاذ من الطالبين ومن غيرهم يهدفون في الغالب إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإقامة حكم الله في الأرض ، وكانت تلك الثورات كما يبدو من خطابات الثوار من تداعيات ظلم الناس وأخذ أموالهم ووضعها في غير مواضعها ، وهي تمثل ردّ فعل طبيعي لحالة التردّي التي تعاني منها الأمة عموماً والطالبون خصوصاً ، فضلاً عن تردّي الأحوال الاجتماعية والاقتصادية وسياسة القمع والاضطهاد والمطاردة التي مارسها السلطة مع الطالبين على وجه الخصوص ، وفيما يلي نستعرض أهم الثوار الذين حملوا السلاح بوجه السلطة العباسية في هذه الفترة :

أ - محمد النفس الزكية :

هو أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام ، أحد الثوار الأشراف من الطالبين ، وهو من أفضل آل الحسن في زمانه ، وكان غزير العلم بكتاب الله حافظاً له ، فقيهاً في الدين ، معروفاً بشجاعته وجوده وبأسه وحزمه. ولد سنة (٩٣ هـ) وقتل شهيداً في رمضان سنة (١٤٥ هـ) ، وكان يقال له : صريح قريش لأن جميع آبائه وأمّهاته وجداته لم يكن فيهنّ أمّ ولد ، ويلقب بالأرقط وبالنفس الزكية ، وسماه أهل بيته بالمهدي ، ويقدرّون خطأ أنه الذي جاءت به الرواية ، وشاع ذلك له في العامة ، وبايعه رجال من بني هاشم من زمان بني أمية فيهم من آل أبي طالب وآل العباس نفر كثير ، وكان من دعائه وممن بايعه أبو العباس السفاح وأبو جعفر المنصور.

لكن الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام ردّ مهدويته ، مصرّحاً بأنه المقتول بأحجار الزيت ، وطلب منهم ألاّ يبايعوه على أنه المهدي ، وأخبر أباه عبد الله بن الحسن في جمع من بني هاشم أنه لا يملك ، وأن الملك يكون في بني العباس.

وقال عليه السلام لعبد الله والد النفس الزكية : « لا تفعلوا ، فإن هذا الأمر لم يأت بعد ، إن كنت ترى أن ابنك هذا هو المهدي فليس به ولا هذا أوانه ، وإن كنت إنما تريد أن تخرجه غضباً لله ، وليأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، فإننا والله لا ندعك وأنت شيخنا ونايغ ابنك » فانتبه بنو العباس من ذلك لأمر لم يكونوا يطمعون فيه ، وتبين بقتله ووصول بني العباس إلى سدة الحكم صدق قول الإمام عليه السلام .

وبعد أفول دولة بني أمية وقيام دولة بني العباس ، تخلف محمد هو وأخوه إبراهيم عن الوفود على السفاح ثم على المنصور ، فحرصا على تطلب محمد وإبراهيم والظفر بهما ، واشتد الطلب أيام المنصور فتواريا بالمدينة ولم يقدر عليهما ، فقبض المنصور على أبيهما واثنى عشر من أهل بيته أثناء موسم الحج ، فحبس أباهما عبد الله بالمدينة في دار مروان ثلاث سنين ، ثم سيره مع اثني عشر من آل بيته مغلولين إلى الربذة ومنها إلى الهاشمية ، فحبسهم بالمطبخ مصفدين يرسفون بالقيود ، فمكثوا في الحبس سبع سنين سلط عليهم فيها أنواع العذاب حتى قتلوا بضروب من القتل^(١) . وبقي محمد وإبراهيم ينتقلان في الاستتار والطلب يزعجهما من ناحية إلى أخرى ، فلما علم محمد بموت أبيه وسائر أهل بيته ظهر ثائراً في نحو ثلاثمائة رجل فيهم كثير من الطالبين سنة (١٤٥ هـ) ، وبايعه أهل المدينة بالخلافة ، وأرسل أخاه إبراهيم إلى البصرة فغلب عليها وعلى الأهواز وفارس ، وبعث الحسن بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب إلى مكة فملكها ، وبعث عاملاً إلى اليمن .

وكتب إليه المنصور يحذره عاقبة عمله ويمثيه بالأمان وواسع العطاء ، وتتابع بينهما الرسل فلم تنفع ، فانتدب المنصور لقتاله عيسى بن موسى

(١) مقاتل الطالبين : ١٢١ و ١٤٥ و ١٥٤ .

الفصل الأوّل : ملامح عصر الإمام الكاظم عليه السلام ٢٥

العباسي ومعه حميد بن قحطبة الطائي ، فساروا إليه بأربعة آلاف فارس ، فقاتله محمد وأصحابه الثلاثمائة على أبواب المدينة ، وثبت لهم ثباتاً عجيباً ، وكان محمد فارساً شجاعاً ضخماً ، يشبهونه في قتاله بالحزمة عليه السلام فقتل منهم بيده في إحدى الوقائع سبعين فارساً ، ثم تفرّق عنه أكثر أنصاره ، وبقي يقاتل حتى سقط شهيداً بين أحجار الزيت ، فاحتز رأسه حميد بن قحطبة وبعث به إلى المنصور ، ثم وجّه عيسى بن موسى كثير بن الحصين العبدي إلى المدينة فدخلها وتبع أصحاب محمد فقتلهم وانصرف إلى العراق^(١).

ولما بلغ إبراهيم مقتل أخيه محمد تمثل بهذه الأبيات :

أبا المنازل يا خير الفوارس من يفجع بمثلك في الدنيا فقد فجعا
الله يعلم أني لو خشيتهم وأوجس القلب من خوف لهم فزعا
لم يقتلوه ولم أسلم أخي لهم حتى نموت جميعاً أو نعيش معا
ثم بكى فقال : اللهم إنك تعلم أن محمداً انما خرج غضباً لك ونفياً لهذه
المسوّدة وإيثاراً لحقك ، فارحمه واغفر له واجعل الآخرة خير مردّ له ومنقلب
من الدنيا.

ب — أخوه إبراهيم :

ويكنى أبا الحسن ، أحد الثوار الأشراف الشجعان ، كان جارياً على شاكلة أخيه محمد في الدين والعلم والشجاعة والشدّة ، فضلاً عن كونه شاعراً عالماً بأخبار العرب وأيامهم وأشعارهم ، ولد في سنة (٩٧ هـ) ومات شهيداً في ذي الحجة سنة (١٤٥ هـ) ، وقيل في ذي القعدة.

كان إبراهيم يدعو إلى أخيه محمد ، فلما قتل محمد دعا إلى نفسه ، فقصد

(١) مقاتل الطالبين / أبو الفرج الأصفهاني : ١٤٢ و ١٥٧ و ١٦٧ و ١٦٩ و ١٧٢ —

١٧٤ و ١٧٦ و ١٧٨ و ١٨٠ و ١٨٥ ، تاريخ اليعقوبي ٢ : ٣٦٩ و ٣٧٤ و ٣٧٦.

الإمام الكاظم عليه السلام سيرة وتاريخ ٢٦

الكوفة في رمضان سنة (١٤٥ هـ) ، فلم يجد ناصراً ، فقصد البصرة فبايعه أهلها ، وخضعت له الأهواز وفارس وكسكر وواسط وما حولها ، وخرج من البصرة وكان قد أحصي ديوانه فكانوا ستين ألفاً ، وأسرع الناس إلى نصرته وآزره في ثورته سائر أهل العلم والفقهاء وأصحاب الحديث ونقله الآثار ، فكانت ثورة عارمة كادت تقوض أركان الحكم العباسي ، فأخذ صوب كسكر وليس له هم إلا لقاء المنصور ، فتحول المنصور إلى الكوفة ، وندب إليه عيسى بن موسى وسيره في ثمانية عشر ألفاً من الجند ، وزحف إبراهيم حتى صار إلى قرية يقال لها باخمري قاصداً الكوفة ، فكانت بينه وبين جيوش المنصور وقائع هائلة ، والدائرة على عيسى بن موسى الذي نكص برايته القهقري وهزم وأصحابه هزيمة قبيحة حتى دخل أوائلهم الكوفة ، وبان للناس علو إبراهيم وظفره ، أما المنصور فكان لا ينام في تلك الليالي ، وأمر بإعداد الإبل والدواب على جميع أبواب الكوفة ليهرب عليها ، ثم أن خيلاً خرجت على أصحاب إبراهيم من إحدى الجهات ، فتوهم أصحاب إبراهيم كميناً فانهزموا ، وبقي إبراهيم في أربعمائة من الزيدية يحارب أشد محاربة إلى أن سقط وهو يتلو قول الله تعالى : ﴿ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴾ ^(١) ، وأخذ رأسه فوجّه به إلى المنصور وهو بالكوفة فوضع بين يديه ، وأذن للناس فجعلوا يدخلون فينالون من إبراهيم وأخيه وأهله ، ثم أمر برأس إبراهيم فنصب بالسوق ، ودفن بدنه الزكي بباخمري .

وتوقع الإمام الصادق عليه السلام قتله منذ زمان بني أمية ، فقد قال فيه وفي أخيه محمد : « إن هذا — يعني المنصور — يقتله على أحجار الزيت ، ثم يقتل أخاه بعده بالطفوف وقوائم فرسه في الماء . فكان كما قال عليه السلام .

(١) سورة الأحزاب : ٣٣ / ٣٨ .

وقال عليه السلام فيهما : رحم الله ابني هند ، إثمهما إن كانا لصابرين كريمين ، والله لقد مضيا ولم يصبهما دنس » (١).

ج — عبد الله الأشتر :

عبد الله الأشتر ابن محمد النفس الزكية ، ثائر من شجعان الطالبين ، خرج بالمدينة مع أبيه ، وأخرجه عبد الله بن محمد بن مسعدة المعلم بعد قتل أبيه إلى الهند ومعه أربعون رجلاً من الزيدية ، إذ اشترى خيلاً وأظهر أنه يريد المتاجرة بها ، وركب البحر حتى بلغ السند واتصل بأحد ملوكها غير المسلمين بتوصية من أحد أصحابه ، فلقي منه إكراماً كثيراً ، وأقام أربع سنوات أسلم فيها على يديه عدد كبير ، وتسلمت إليه الزيدية حتى صار إليه منهم أربعمائة إنسان ، فكان يركب فيهم فيصيد ويتزده في هيئة الملوك والآثم ، ووصل خبره إلى المنصور ، فولى على السند هشام بن عمرو بن بسطام التغلبي ، وأمره بأن يكاتب الملك الذي عنده الأشتر لتسليمه إليه وإلا حاربه ، وهنا تختلف الروايات ، فقيل ان الأشتر خرج من السند إلى خراسان ، وكان على اتصال بواليهما فقاتله هشام التغلبي ، وقتل من الفريقين زهاء ثلاثة آلاف رجل ، وكان بينهما قدر خمسين وقعة في نحو سنة ، وقتل الأشتر في الحرب سنة (١٥١ هـ) وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة (٢) ، وكان يقاتل فارساً وراجلاً (٣).

د — الحسين شهيد فخر (٤) :

هو الحسين بن علي بن الحسن المثلث ابن الحسن المثنى ابن الحسن السبط

(١) مقاتل الطالبين : ١٦٩ — ١٧٣ و ٢١٠ — ٢٣٠ و ٢٣٥ — ٢٤٤ و ٢٤٧ — ٢٥٣ ، تاريخ اليعقوبي ٢ : ٣٧٧.

(٢) وقيل غير ذلك في مقتله.

(٣) مقاتل الطالبين : ٢٠٧ — ٢٠٩ ، الأعلام / خير الدين الزركلي ٤ : ١١٦.

(٤) فخر : بئر في ضواحي مكة بينه وبينها نحو فرسخ.

ابن علي بن أبي طالب عليه السلام ، أبو عبد الله ، المعروف بصاحب فخ ، وأمه زينب بنت عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب ، قتل المنصور العباسي أباهما وأخاها وزوجها وعمومتها وبنينهم أيام النفس الزكية.

كان الحسين من أشرف الطالبين الشجعان الكرماء ، يضرب المثل بجوده وكرمه وطيبه نفسه ، بيد أن الفترة التي عاشها أبان حكم الهادي المتعطش لدماء العلويين تعدّ من أقسى الفترات الرهيبة في تاريخ الطالبين ، فقد مضى الهادي إلى آخر الشوط في استأصال زينة شبابهم ، وأسرف في ممارسة القمع والارهاب معهم ، مما اضطرهم إلى إعلان الثورة عليه حيثما توفرت الفرصة لذلك.

قال اليعقوبي : ظهر منه — أي الهادي العباسي — أمور قبيحة ، وضعف شديد ، فاضطربت البلاد ، وتحرك جماعة من الطالبين ، وصاروا إلى ملوك النواحي فقبلوهم ووعدوهم بالنصر والمعونة ، وذلك أن موسى ألحّ في طلب الطالبين وأخافهم خوفاً شديداً ، وقطع ما كان المهدي يجريه لهم من الأرزاق والأعطيات ، وكتب إلى الآفاق في طلبهم وحملهم ، فلما اشتدّ خوفهم وكثر من يطلبهم ويحث عليهم ، عزم الشيعة وغيرهم إلى الحسين بن علي بن الحسن ، وكان له مذهب جميل وكمال ومجد ، فبايعه خلق كثير ممن حضر الموسم ^(١).

فقرر الحسين الثورة ، وكان خروجه بالمدينة في ذي القعدة سنة (١٦٩ هـ) ، وبايعه الناس على العمل بكتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وآله وعلى أن يطاع الله ولا يعصى ، والدعوة إلى الرضا من آل محمد صلى الله عليه وآله ، والعدل في الرعية ، والقسم بالسوية ، وجهاد العدو.

واستولى الحسين على المدينة فاستخلف عليها دينار الخزاعي ، وخرج قاصداً مكة ومعه زهاء ثلاثمائة من أهله ومواليه وأصحابه ، فلما صاروا بفخ

(١) تاريخ اليعقوبي ٢ : ٤٠٤.

الفصل الأوّل : ملامح عصر الإمام الكاظم عليه السلام ٢٩

وبلدح في ضواحي مكة تلقّتهم الجيوش العباسية ، في يوم التروية سنة (١٦٩ هـ) ، وكان القتال شديداً ، فانهزم من كان معه ، وصبر لهم الحسين محتسباً حتى قتل مع جماعة من أهله ، وحملوا رؤوسهم إلى الهادي العباسي مع جمع من الأسرى فأمر بهم فضربت أعناقهم.

وذكر الرواة أنه حين جاء الجند بالرؤوس إلى موسى والعباس وعندهم جماعة من ولد الحسن والحسين ، فلم يتكلم أحد منهم بشيء إلاّ موسى بن جعفر عليه السلام فقيل له : « هذا رأس الحسين. قال : نعم ، إن الله وإنّا إليه راجعون ، مضى والله مسلماً صالحاً صوّماً قوّماً آمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر ، ما كان في أهل بيته مثله ، فلم يجبه أحد بشيء . »

واقترف العباسيون أبان هذه الحرب جرائم تشابهت مع جرائم الأمويين في كربلاء ، فقد رفعوا رؤوس العلويين على الرماح ، وطافوا بأسراهم في الأقطار وهم مقيدون بالسلاسل ، ثم أجهزوا عليهم فقتلوهم صبراً وصلبواهم ، وتركوا شهداء أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله مجزرين تسفي عليهم الريح مبالغة منهم في التشفي والانتقام ، ذكر المؤرخون : بقي قتلاهم ثلاثة أيام دون أن توارى في الثرى حتى أكلتها الحيوانات الضارية والطيور الجارحة ، ولهذا يقال : لم تكن مصيبة بعد كربلاء أشد وأفجع من فح. وروى أبو نصر البخاري عن أبي جعفر الجواد عليه السلام أنه قال : « لم يكن لنا بعد الطف مصرع أعظم من فح . »

هـ — يحيى بن عبد الله :

هو يحيى بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام ، أبو الحسن ، من كبار الطالبين ، رياه الإمام جعفر الصادق عليه السلام في المدينة ، فأكثر الرواية عنه وتفقه عليه ، وكان إذا حدّث عنه قال : حدثني حبيبي جعفر بن محمد ، وكان حسن السميت والهدي ، مقدماً في أهل بيته.

وكان يحيى قد خرج مع ابن عمه الحسين شهيد فحّ في ثورته بالمدينة أيام

موسى الهادي وحضر مقتله ، ونجا فدعا إلى نفسه ، فبايعه كثير من أهل الحرمين واليمن ومصر ، وطاف البلدان فذهب إلى اليمن فأقام مدة ، ودخل مصر والمغرب ، وعاد إلى المشرق فدخل العراق متنكراً ، وقصد بلاد الري وخراسان فوصل إلى ما وراء النهر ، واشتد الرشيد في طلبه ، فانصرف إلى خاقان ملك الترك ومعه من شيعته وأنصاره نحو (١٧٠) رجلاً ، فأقام سنتين وستة أشهر ، وخرج إلى طبرستان فبلاد الديلم ، وأعلن بها دعوته سنة (١٧٦ هـ) وكثر جمعه واتبعه خلق كثير وجم غفير وقويت شوكته ، فندب الرشيد لحربه الفضل بن يحيى البرمكي في خمسين ألفاً ، وولى الرشيد الفضل بن يحيى جميع كور المشرق وخراسان وأمره بقصد يحيى والخديعة به ، وبذل له الأموال والصلة إن قبل الأمان ، فسار الفضل بن يحيى إلى تلك الناحية في أبهة عظيمة ، وكاتب الرشيد صاحب الديلم ووعده بألف ألف درهم إن هو سهل خروج يحيى إليهم ، وكتب الفضل إلى يحيى بن عبد الله يعده ويمنيه ويؤمله ويرجيه .

لقد رأى يحيى تفرق أصحابه وسوء رأيهم فيه وكثرة خلافهم عليه ، وخاف أن يغدر به ملك الديلم ، فأجابته إلى قبول الأمان شريطة أن يكتبه الرشيد بيده ، وكتب لنفسه شروطاً وسمى شهوداً وبعث بالكتاب إلى الفضل ، فبعث به إلى الرشيد فكتب له على ما أراد وأجابته بخطه ، فشخص يحيى مع الفضل حتى وافى بغداد وتلقاه الرشيد وأجزل له في العطاء ، غير أن نفرأ من أهل الحجاز^(١) تحالفوا على السعاية بيحيى بن عبد الله والشهادة عليه زوراً بأنه يدعو إلى نفسه سراً ، وأنه ما زال عنده من يقوم بدعوته ، فوافق ذلك ما كان يكتنه الرشيد في نفسه ، فحبسه عند الفضل بن يحيى ، غير أن الفضل رق له بعد

(١) وهم : عبد الله بن مصعب الزبيري ، وأبو البخترى وهب بن وهب ، ورجل من بني

الفصل الأوّل : ملامح عصر الإمام الكاظم عليه السلام ٣١

مدة فأطلقه. ثم جمع له الرشيد الفقهاء لنقض أمانه غير أنهم صرحوا بأن الأمان مؤكّد لا شائبة فيه ، عدا أبي البختري وهب بن وهب الذي أفقّى بما يريد الرشيد فقال : هذا باطل منتقض ، اقتله ودمه في عنقي. وأخذ سكيناً وجعل يشقّ الأمان ، فوهب الرشيد لأبي البختري ألف ألف وستمئة ألف ، وولاه القضاء ، وجعل يحيى في سرداب ووكل به مسروراً الكبير ، وكان كثيراً ما يدعو به إليه فيناظره ، واستمر على هذا الحال إلى أن مات في حبسه نحو سنة (١٨٠ هـ).

واختلف المؤرخون في كيفية وفاته والراجح أنه قتل بالجوع والعطش والتعذيب ، وعن إبراهيم بن رباح : أنه بنى عليه اسطوانة بالرافقة وهو حي. وعن علي بن محمد بن سليمان : أنه دس إليه في الليل من خنقه حتى تلف. قال : وبلغني أنه سقاه سمّاً. وعن محمد بن أبي الخنساء : أنه أجاع السباع ثم ألقاه إليها فأكلته ، وكل جائز في أعراف القتل التي تمارسها الدولة^(١).

و — إدريس بن عبد الله :

إدريس بن عبد الله بن الحسن المثنى ابن الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام ، مؤسس دولة الأدارسة في المغرب وإليه نسبتها ، كان أولاً مع الحسين صاحب فخّ في المدينة أيام ثورته على الهادي العباسي سنة (١٦٩ هـ) ، وأفلت من وقعة فخ فتوجه صوب مصر مع راشد مولاه وأمينه ، ومنها إلى سائر بلدان المغرب الأقصى ، فدخل فاس وطنجة ونزل مدينة وليلي على مقربة من مكناس ، ثم جمع البربر على القيام بدعوته ، وخلع طاعة بني العباس ، فتمّ له الأمر في رمضان سنة (١٧٢ هـ) ، فجمع جيشاً كثيفاً وخرج به غازياً فبلغ بلاد

(١) مقاتل الطالبين : ٣١٣ — ٣٢٣ ، تاريخ يعقوبي ٢ : ٤٠٨ ، البداية والنهاية ١٠ :

تادلة قرب فاس ففتح معاقلها ، ثم غزا تلمسان فبايع له صاحبها ، فبلغ الرشيد ذلك فغمه حتى امتنع من النوم ، فندب يحيى بن خالد ، ودعا يحيى أحد متكلمي الزيدية البترية وهو سليمان بن جرير الجزري ، فرغبه ووعدته عن الخليفة بكل ما أحبّ على أن يحتال لإدريس حتى يقتله ، فورد سليمان على إدريس متوسماً بالدفاع عن الزيدية فسرّ به إدريس لقوة عارضته ، ثم جعل سليمان يطلب غرته حتى سقاه السم وهرب ، وذلك في سنة (١٧٧ هـ) ، فتولى راشد إدارة الملك باسم إدريس بن ادريس الذي نحلّه اسم أبيه وجدد له بيعة البربر ، وقام بأمره وأمر دولته وعلمه ورباه ، وكان الأغلبة في القيروان يتبعون أخبار الدولة الناشئة في جوارهم ، ويعثون بالأموال للقضاء على إدريس الرضيع ، وكانت لهم يد في قتل أبيه بالسم ، فما زالوا على ذلك إلى أن تمكن إبراهيم بن الأغلب من دسّ بعض البربر لراشد فقتلوه غيلة بعد نشوء إدريس وتسلمه عرش أبيه بقليل ، وكان ادريس الابن فارساً شجاعاً جواداً شاعراً ، وبقي نسله في المغرب^(١).

ز — يوسف البرم :

خرج رجل من موالي ثقيف بخراسان وبخارى ، يقال له يوسف البرم في أيام المهدي سنة (١٦٠ هـ) منكرّاً عليه أحواله وسيرته وما يتعاطاه من الخمر ومجالس الغناء ، داعياً إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فالتفت عليه خلق كثير ، وتفاقم أمره وعظم خطبه وحارب السلطان ، فوجّه إليه يزيد بن مزيد فلقبه واقتتلا قتالاً شديداً حتى أُسر يوسف وجماعة من أصحابه ، فبعثهم يزيد إلى المهدي ، فأدخلوا عليه ، فأمر بقطع يدي يوسف ورجليه ، ثم ضرب عنقه

(١) مقاتل الطالبين : ٣٢٤ — ٣٢٦ ، تاريخ اليعقوبي ٢ : ٤٠٤ ، تاريخ أبي الفداء ٢ : ١٢ ،

عمدة الطالب : ١٥٧ ، الأعلام / الزركلي ١ : ٢٧٩.

وأعناق من معه ، وصلبهم على جسر دجلة الأكبر^(١) .

ح - وهيب بن عبد الله النسائي :

هو أبو الخصيب ، ثائر شجاع ، خرج في نساء من أعمال خراسان سنة (١٨٤ هـ) ، في أيام الرشيد العباسي ، واستفحل أمره سنة (١٨٥ هـ) ، فتغلب على أيورد وطوس ونيسابور ، وحاصر مرو ، فقاتله علي بن عيسى من قواد الرشيد فقتله سنة (١٨٦ هـ) ، وسبى نساءه وذريته^(٢) .

٧ - الحركات المتطرفة :

أ - أستاذسيس :

في سنة (١٥٠ هـ) خرج رجل من الكفرة يقال له أستاذسيس في بلاد خراسان ، فاستحوذ على أكثرها وادّعى النبوة ، وصحبه على ذلك نحو من ثلاثمائة ألف وقتلوا من المسلمين هنالك خلقاً كثيراً ، وهزموا الجيوش التي في تلك البلاد وسبوا خلقاً كثيراً ، وتحكم الفساد بسببهم ، وتفاقم أمرهم ، فوجه المنصور خازم بن خزيمة التميمي إلى ابنه المهدي ليوليّه حرب تلك البلاد ويضم إليه من الأجناد ما يقاوم أولئك ، فجمع المهدي لخازم الامرة على تلك البلاد والجيوش ، وبعثه في نحو من أربعين ألفاً ، فسار إليهم وما زال يراوغهم ويمكرهم حتى فاجأهم بالحرب ففض جمعهم ، وأسر أستاذسيس وحمله إلى المنصور في بغداد فقتله^(٣) .

ب - الخوارج :

كلف حروب الخوارج المتصلة في هذه الفترة الدولة والناس المزيد من

(١) تاريخ يعقوبي ٢ : ٣٩٧ ، البداية والنهاية ١٠ : ١٣٩ .

(٢) الأعلام / الزركلي ٨ : ١٢٦ .

(٣) تاريخ يعقوبي ٢ : ٣٧٩ ، البداية والنهاية ١٠ : ١١٣ .

الإمام الكاظم عليه السلام سيرة وتاريخ ٣٤

الدماء والأموال ، فقد خرج مهلهل الحروري بفارس^(١) ، وظهر الخوارج الشراة في خراسان سنة (١٥١ هـ) حتى قاتلوا يزيد بن يزيد على جسر بغداد في وقعة حليلة ذهب ضحيتها كثير من الناس^(٢) ، وفي سنة (١٤٩ هـ) ظهرت الخوارج من الصفرية والأباضية وغيرهم ببلاد إفريقية بقيادة عاصم بن جميل الأباضي ، فولوا عليهم أبا الخطاب عبد الأعلى المعافري ، واجتمع من الخوارج سنة (١٥١ هـ) ثلاثمائة وخمسون ألفاً مع جمع كبير من البربر في طرابلس الغرب ، وعليهم أبو عباد وأبو حاتم يعقوب الأباضي الأنطاقي ، وانضم إليهم أبو قرة في أربعين ألفاً ، وأكثروا الفساد في البلاد وقتلوا النساء والأطفال حتى قتل قادتهم سنة (١٥٥ هـ)^(٣) ، وخرج بالجزيرة الفراتية سنة (١٧٧ هـ) رأس الشراة الوليد ابن طريف بن الصلت التغلبي الشيباني وحكم بها ، وقتل خلقاً من أهلها ، وأخذ الرشيد يرسل الجموع تلو الجموع لحره فيهمزهم ، حتى قتل بعد حرب شديدة سنة (١٧٩ هـ) ، وهو الذي تقول أخته الفارعة في رثائه من قصيدة :

أي شجر الخابور ما لك مورقاً كأنك لم تجزع على ابن طريف
فتى لا يحب الزاد إلا من التقى ولا المال إلا من فناً وسيوف^(٤)
وإذا كانت الدولة تحارب الخوارج على جبهة الحرب ، فإن أصحاب الإمام الكاظم عليه السلام حاربوهم بالفكر والمناظرة ، فوجدنا في هذا العصر كتابات للرد على الخوارج ، منها كتاب محمد بن علي بن النعمان ، المعروف بمؤمن الطاق ، في

(١) تاريخ يعقوبي ٢ : ٣٨٣ .

(٢) تاريخ يعقوبي ٢ : ٣٨٤ ، البداية والنهاية ١٠ : ١١٥ .

(٣) تاريخ يعقوبي ٢ : ٣٨٦ ، البداية والنهاية ١٠ : ١١٧ — ١٢٠ ، الأعلام / الزركلي ٨ : ١٩٧ .

(٤) تاريخ يعقوبي ٢ : ٤١٠ ، البداية والنهاية ١٠ : ١٨٣ و ١٨٦ ، الأعلام / الزركلي ٨ : ١٢٠ .

الفصل الأوّل : ملامح عصر الإمام الكاظم عليه السلام ٣٥
كلامه على الخوارج.

ج — الزنادقة :

استفحلت حركة الزندقة في هذا العصر وتعددت مقولات الزنادقة ، فمنهم من يقول بالتناسخ وأزلية العالم أو قدم الدهر ، ومنهم من يقول بالثنوية كالماتنوية والمزدكية ، ويتوسع الحكام في هذا المصطلح فيطلقونه على كل شك أو ضال أو ملحد ، وعلى من يبطن الكفر ويظهر الإيمان أو لا يتمسك بشريعة ، وقد يتهم المرء أحياناً بالزندقة بدوافع سياسية أو شخصية المراد منها تصفية الخصوم.

ومن قُتلوا على الزندقة محمد بن أبي العوجاء ، قتله العباس بن محمد أخو المنصور سنة (١٥٥ هـ) ، وقُتل فيها الشاعر حماد عجرد ^(١) . وفي سنة (١٦١ هـ) خرج رجل يقال له المقنع ^(٢) بخراسان ، وكان يقول بالتناسخ ، واتبعه على ذلك خلق كثير ، وفي سنة (١٦٣ هـ) حوَصر بعد قتال طويل في قلعة كَش ، فلما أحس بالغبلة تحسّى سماً وسمّ نساءه فماتوا جميعاً ^(٣) .

وفي سنة (١٦٧ هـ) ألح المهدي في طلب الزنادقة وقتلهم حتى قتل خلقاً كثيراً منهم صبراً بين يديه ، منهم كاتبه صالح بن أبي عبيد الله قتله مع أبيه ولم يكن أبوه زنديقاً ، وبشار بن برد الشاعر الذي وشى الوزير إلى المهدي أنه هجاه وقذفه ، وصالح بن عبد القدوس ^(٤) .

وفي سنة (١٦٩ هـ) شرع الهادي في تطلب الزنادقة من الآفاق فقتل منهم طائفة كثيرة. منهم يعقوب بن الفضل الهاشمي ، اتهمه المهدي العباسي بالزندقة وحبسه ، فلما مات المهدي قتله الهادي سنة (١٦٩ هـ) ^(٥) .

(١) البداية والنهاية ١٠ : ١٢١ ، وقيل : إن حماداً قتل سنة (١٥٨ هـ) ، وقيل : سنة (١٦١ هـ) .

(٢) قال ابن خلكان : كان اسم المقنع عطاء ، وقيل : حكيم ، والأول أشهر .

(٣) البداية والنهاية ١٠ : ١٤٢ و ١٥٥ .

(٤) لسان الميزان / ابن حجر ٣ : ١٧٢ / ٦٩٩ .

(٥) سير أعلام النبلاء ٧ : ٤٤٣ ، الأعلام / الزركلي ٨ : ٢٠١ .

وظهر منهم سنة (١٨٠ - ١٨١ هـ) طائفة بجرجان يقال لها الحمرة^(١) ، لبسوا الحمرة واتبعوا رجلاً يقال له عمرو بن محمد العمركي ، فقتل أيام الرشيد لأنه كان ينسب إلى الزندقة^(٢) ، وقتل الرشيد أنس بن أبي شيخ (١٨٧ هـ) على الزندقة ، وقال المترجمون له : كان من البلغاء الفضلاء ، ويبدو أنه قتله لكونه كاتب البرامكة^(٣) .

وسجّل أصحاب الإمام الكاظم عليه السلام دوراً علمياً في الرد على الزنادقة ، فقد ألف هشام بن الحكم كتاباً في الرد عليهم.

د - الفتن وأعمال التمرد :

حدثت في أرجاء الدولة المزيدي من أعمال العنف والشغب والفتن التي عصفت بالحكم العباسي ، تعاملت معها الدولة بكل قسوة وعنف رغم أن أغلبها كان بسبب سوء أداء الولاة والعمال ، غير أن تلك الأعمال أثقلت كاهل الناس ، وألحقت بهم المزيد من الخسائر في الأرواح والممتلكات ، ولعل أبرز تلك الأعمال : حركت الخزر بناحية أرمينية ، ومعصية أهل اليمن وأهل مصر ، وخروج رجل من بني مرة يقال له عامر بن عمارة بحوران من أرض دمشق ، والفتنة العظيمة التي حصلت بالشام بين قيس واليمن التي تسببت في عودة الحمية الجاهلية^(٤) .

* * *

(١) وهم طائفة من البابكية الخرمية ، قيل لهم ذلك لأنهم لبسوا الحمرة أيام بابل الخرمي .

(٢) تاريخ يعقوبي ٢ : ٤٠٠ ، البدايعة والنهاية ١٠ : ١٢١ و ١٥٩ و ١٦٧ و ١٨٨ و ١٩١ ، الأعلام / الزركلي ٥ : ٨٥ .

(٣) لسان الميزان / ابن حجر ١ : ٤٦٨ .

(٤) تاريخ يعقوبي ٢ : ٣٧١ و ٤٠٥ و ٤١٠ و ٤١١ ، البدايعة والنهاية ١٠ : ١٨٠ و ١٨٨ و ١٩١ و ١٩٦ .

الفصل الثاني

السلطة والإمام عليه السلام

تعامل العباسيون مع أهل البيت عليهم السلام وفق معايير ثابتة تقوم على أساس التصدي لمدرسة أهل البيت ومطاردة شيعتهم وقمع الطالبين والنكاية بهم ، وذلك بسبب هاجس الخوف من نشاط الإمام والغيرة من دوره الفاعل والمحرك في الحياة الإسلامية ، سيما وأن رجال السلطة كانوا على مستوى هابط من حيث الالتزام الديني ، بينما يتمتع الأئمة عليهم السلام بشخصية علمية وروحية وسيرة صالحة تجتذب مختلف أوساط الأمة ، وفي هذا الاتجاه يقول الإمام الكاظم عليه السلام لهارون الرشيد : « أنا إمام القلوب ، وأنت إمام الجسوم » ^(١).

من هنا عمل الحاكمون على استدعاء الإمام الكاظم عليه السلام من مدينة جده المصطفى صلى الله عليه وآله إلى بغداد مرةً في زمان المهدي العباسي ، وأخرى في زمان هارون ، لتحديد حركته وعزله عن أتباعه ومواليه والحيلولة دون أداء دوره القيادي تجاه شيعته ، والتأمر على حياته في نهاية المطاف ، وقد واجه الإمام عليه السلام كل ممارسات الاضطهاد والقمع التي مارسها حكام الجور ضده بعزم ثابت وتصميم راسخ وصبر منقطع النظير حتى أنه عليه السلام سُمي الكاظم لما كظمه من الغيظ عما فعله الظالمون به ، ومن جانب آخر استطاع أن يؤدي ما يتوجب عليه ضمن هامش

(١) ينابيع المودة / القندوزي ٣ : ١٢٠.

الإمام الكاظم عليه السلام سيرة وتاريخ ٣٨
محدود من الحرية.

ولكي نستجلي موقف السلطة من الإمام عليه السلام وشيعته لابدّ من بيان مواقف الحاكمين المعاصرين له على انفراد ، بيد أن التاريخ لم يفصل لنا طبيعة العلاقة بين الإمام عليه السلام وبين كل واحد من حكام عصره خلا بعض الأخبار المتعلقة باعتقاله ودور رجال السلطة في شهادته ومواقفهم من شيعته وأصحابه ، نسلط الضوء عليها وعلى موقف الإمام عليه السلام من السلطة ضمن مبحثين :

المبحث الأول

مواقف الحكام

١ - المنصور (١٣٦ - ١٥٨ هـ) :

هو أبو جعفر عبد الله بن محمد بن علي ، ثاني خلفاء بني العباس وأكثرهم حزمًا وبطشًا ، ذكر المؤرخون أنه قتل خلقًا كثيرًا حتى استقام ملكه ، منهم أبو مسلم الخراساني داعية بني العباس ومؤسس دولتهم ، وابن المقفع لأنه كتب أماناً لعبد الله بن علي العباسي بأغلظ العهود والمواثيق ألا يناله المنصور بمكروه ، وحين استقدم المنصور عبد الله بن علي بنى له بيتاً في الدار ثم أجرى في أساسه الماء ، فسقط عليه فمات ^(١).

موقفه من الإمام الصادق عليه السلام :

كان الإمام الصادق عليه السلام أفضل الناس وأعلمهم بدين الله ، وكان أهل العلم إذا رووا عنه قالوا : أخبرنا العالم ، واعترف له المنصور بالفضل ورجاحة العلم حيث قال فيه بعد وفاته : إن جعفرًا كان ممن قال الله فيه : ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ

(١) تاريخ اليعقوبي ٢ : ٣٦٤ و ٣٦٨ و ٣٧٩ و ٣٨٩ و ٣٩٥ ، فوات الوفيات / ابن شاكر الكتبي ١ : ٢٣٢ ، تاريخ الخلفاء / السيوطي : ٢٥٩ ، تاريخ الخميس / الديار بكرى ٢ : ٣٢٤ .

الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ﴿١﴾ وكان ممن اصطفى الله ، وكان من السابقين بالخيرات ^(٢).

من هنا كان المنصور يراجعه حيثما يعييه أمر ما ، وكان الإمام عليه السلام يجيبه طالما يتعلق الأمر بمصالح المسلمين ، فحين أراد المنصور أن يزيد في المسجد الحرام ، وقد شكوا الناس ضيقه ، فكتب إلى زياد بن عبيدالله الحارثي أن يشتري المنازل التي تلي المسجد حتى يزيد فيه ضعفه ، فامتنع الناس من البيع ، فذكر ذلك للإمام الصادق عليه السلام ، فقال : « سلهم ، أهم نزلوا على البيت أم البيت نزل عليهم ؟ فكتب بذلك إلى زياد ، فقال لهم زياد بن عبيدالله ذلك ، فقالوا : نزلنا عليه ، فقال الإمام عليه السلام : فإن للبيت فناءه. فكتب أبو جعفر إلى زياد بدم المنازل التي تليه » ^(٣).

ولما جُمع للمنصور القضاة ، قال لهم : « رجل أوصى بجزء من ماله ، فكم الجزء ؟ فأشكل ذلك عليهم ، فأبرد بريدا إلى صاحب المدينة أن يسأل الصادق عليه السلام فأتى والي المدينة أبا عبدالله عليه السلام ، فقال له : هذا في كتاب الله بين ، إن الله تعالى يقول : ﴿ رَبِّ ارْنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى ﴾ إلى قوله : ﴿ عَلَيَّ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ﴾ ^(٤) فكانت الطير أربعة ، والجبال عشرة ، يخرج الرجل من كلِّ عشرة أجزاء جزءاً واحداً » ^(٥).

ومثل هذه المواقف التي يضطر إليها المنصور ، لا تعكس حقيقة دخيلته وما

(١) سورة فاطر : ٣٥ / ٣٢.

(٢) تاريخ يعقوبي ٢ : ٣٨١.

(٣) تاريخ يعقوبي ٢ : ٣٦٩.

(٤) سورة البقرة : ٢ / ٢٦٠.

(٥) تفسير العياشي ١ : ٢٦٦ / ٥٧٧.

الإمام الكاظم عليه السلام سيرة وتاريخ ٤٠

يضمّره تجاه الإمام عليه السلام وشيعته ، من حقد وبغض وعداوة ، تجلّت في مراقبته واتهامه وتهديده له بالقتل تارة وبالحبس أخرى ، وروي أنه استدعا مرات متعددة يريد قتله فيصرفه الله عنه في كل مرة ^(١).

وإذ لم يحتمل المنصور ما يراه من امتداد مجد الإمام جعفر الصادق عليه السلام بين أوساط الناس ، (فلم يهدأ خاطره ، ولم يزل يقلب وجوه الرأي ، ويدير الحيل للتخلص منه ، لأن مدرسته قد اكتسبت شهرة علمية بعيدة المدى ، فلم ترق له هذه الشهرة الواسعة) ^(٢).

وكان المنصور يتحيّن الفرص ويختلق الذرائع للإيقاع بالإمام عليه السلام ، فاستدعا إلى العراق بعد وقعة باخرى ، ليوقفه بين يديه ، ولم تكفه الدماء التي أراقها من آل النبي صلى الله عليه وآله.

قال عليه السلام : « لما قتل ابراهيم بن عبد الله بن الحسن بباخرى حُسِرنا عن المدينة ، ولم يترك فيها منا محتلّم ، حتى قدمنا الكوفة ، فمكثنا فيها شهراً نتوقع فيها القتل ، ثم خرج إلينا الربيع الحاجب فقال : أين هؤلاء العلوية ؟ أدخلوا على أمير المؤمنين رجلين منكم من ذوي الحجى . قال : فدخلنا إليه أنا والحسن بن زيد ، فلما صرت بين يديه قال لي : أنت الذي تعلم الغيب ؟ قلت : لا يعلم الغيب إلاّ الله . قال : أنت الذي يجى إليك هذا الخراج . قلت : إليك يجى الخراج . قال : أتدرون لم دعوتكم ؟ قلت : لا . قال : أردت أن أهدم رباعكم ، وأروّع قلوبكم ، وأعقر نخلكم ، وأترككم بالسرّة لا يقربكم أحد من أهل الحجاز وأهل العراق ، فإنهم لكم مفسدة . فقلت له : إن سليمان أعطى فشكر ، وإن أيوب ابتلي فصبر ، وإن يوسف

(١) راجع : مهج الدعوات : ١٩٨ - ٢٠٢ .

(٢) الإمام الصادق / د. حسين الحاج : ٨ .

ظلم فغفر ، وأنت من ذلك النسل. قال : فتبسم وقال : أعد علي ، فأعدت ، فقال : مثلك فليكن زعيم القوم ، وقد عفوت عنكم ، ووهبت لكم جرم أهل البصرة — إلى أن قال — سرحنا إلى المدينة ، وكفى الله مؤنته ^(١). وذلك أوضح شاهد على الأجواء الخائفة التي عاشها الإمام عليّ عليه السلام وعموم أهل بيته وعمومته ، وهو يكشف أيضاً مساحة واسعة من سريرة المنصور تجاه أهل البيت عليه السلام .

وتلك الأجواء اضطرت الإمام الصادق عليه السلام إلى أن يتحاشى الصراحة في النص على إمامة ولده الكاظم عليه السلام إلا لخواص أصحابه خوفاً من السلطات الحاكمة التي شددت المراقبة عليه في السنين الأخيرة من حياته المباركة ، وهددت بقتل الإمام الذي ينص عليه ، فأوصى الإمام الصادق عليه السلام إلى خمسة أشخاص — وروي إلى ثلاثة — حذراً على الإمام الذي بعده وعلى شيعته ، وتوفي الإمام الصادق عليه السلام مسموماً بعنب دسّه إليه المنصور لعنه الله سنة (١٤٨ هـ) ^(٢).

موقفه من الطالبين :

أعلن المنصور حرباً منمّنة في كل الاتجاهات ضد الطالبين لم يسلم منها أحد منهم ، وقد أفرط هذا الطاغية في استخدام القوة ضدهم متبعاً سياسة السيف والنطع ، وكمّم أفواههم ، وأمعن في اذلالهم واضطهادهم ، وزجهم في السجون وأذاقهم جميع صنوف العنف والجور والعذاب.

ففي الأيام التي توارى فيها محمد النفس الزكية قبض المنصور على أبيه واثنى عشر من آل بيته ، فرجّهم مصفدين بالأغلال في سجن مظلم لا يُعرف فيه

(١) مقاتل الطالبين : ٢٣٢ .

(٢) الفصول المهمة : ٢٣٠ ، دلائل الإمامة / الطبري : ٢٤٦ ، الاعتقادات / الشيخ

الصدوق : ٩٨ ، مناقب آل أبي طالب / ابن شهر آشوب ٣ : ٣٩٩ .

الإمام الكاظم عليه السلام سيرة وتاريخ ٤٢

الليل من النهار ، يدعى المطبق ، فكانوا لا يعرفون أوقات الصلوات إلا بأجزاء يقرؤها علي بن الحسن بن الحسن بن الحسن^(١) ، كما جزأوا القرآن الكريم خمسة أجزاء ، فكانوا يصلون الصلاة على فراغ كل واحد منهم لجزئه^(٢).

فمكثوا في الحبس عدة سنين سلط عليهم فيها أنواع العذاب حتى قتلوا بضروب من القتل ، فبعضهم طرح في بيت وطين عليه حتى مات ، وبعضهم وحدوا مسمرين في الحيطان ، وذكر أبو الفرج أن المنصور طرح على عبد الله بن الحسن بيت فمات ، وسأل ابراهيم بن الحسن : أنت الديداج الأصفر ؟ قال : نعم . قال المنصور : أما والله لأقتلنك قتلة ما قتلتها أحداً من أهل بيتك . ثم أمر باسطوانة مبنية ففرغت ، ثم أدخل فيها فبنيت عليه وهو حي . وكان ابراهيم أشبه الناس برسول الله ﷺ في زمانه ، ويدعى الديداج الأصفر من حسنه^(٣).

وقتل منهم في الحبس بأمر المنصور عدا من ذكرنا : الحسن المثلث بن الحسن ، وعلي بن الحسن بن الحسن ، والعباس بن الحسن بن الحسن وكان حدثاً ، وقد منعوا أمه أن تودعه ، وإسماعيل بن إبراهيم بن الحسن ، ومحمد بن إبراهيم بن الحسن ، وعلي بن محمد بن عبد الله بن الحسن ، وعلي بن الحسن بن زيد بن علي ، وحمزة بن إسحاق بن علي بن عبد الله بن جعفر^(٤).

وضرب موسى بن عبد الله بن الحسن بالسياط حينما سيرهم أولاً إلى الريدة حتى غشي عليه وهو حدث ، وقال له المنصور : هذا فيض فاض مني فأفرغت عليك منه سجلاً لم استطع رده ، ومن ورائه والله الموت .

(١) مقاتل الطالبيين : ١٢٩ — ١٣١ .

(٢) مروج الذهب / المسعودي ٣ : ٢٢٥ .

(٣) مقاتل الطالبيين : ١٢١ و ١٣٦ و ١٤٥ و ١٥٤ ، تاريخ الطبري ٩ : ٣٩٨ .

(٤) مقاتل الطالبيين : ١٢٢ و ١٢٦ — ١٣١ و ١٣٣ — ١٣٩ و ١٤٥ و ١٥٤ .

ولما حملهم من الربذة أمر المنصور بضربه خمسمائة سوط فصر ، وقيل : إن موسى لم يزل محبوساً حتى أطلقه المهدي ، وقيل : انه توارى بعد ذلك حتى مات^(١).

وعاش عيسى بن زيد بن علي بن الحسين بعد مقتل محمد النفس الزكية وأخيه ابراهيم متوارياً ينتقل أحياناً في زي الجمالين ، ولما ولي المهدي العباسي طلبه فلم يقدر عليه ، فنأدى بأمانه إن ظهر ، فبلغه خير الأمان ولم يظهر ، واستمر محتفياً إلى أن توفي سنة (١٦٨ هـ)^(٢).

ومن أخذه المنصور من آل أبي طالب وحبسه وضره بالسوط الحسن بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب ، فلما قتل محمد بن عبد الله أخذه المنصور فضره بالسوط أربعمائة سوط وحبسه فلم يزل في الحبس حتى مات المنصور فأطلقه المهدي^(٣).

وتبع بقيتهم بحرب اقتصادية طالت حتى أطفالهم ونسائهم ، فقد أمر المنصور عماله بمصادرة جميع أموالهم وبيع رقيقهم ، فصودرت بأفعال أموال بني الحسن وكثير من العلويين وبني هاشم^(٤).

وروى أبو الفرج أن المنصور لما قبض أموال عبد الله بن الحسن حج فصاحت به عاتكة بنت عبد الملك ، وهي أم عيسى وسليمان وإدريس بني عبد الله بن الحسن ، وهي تطوف في ستارة : « أيتامك بنو عبد الله بن الحسن ، مات أبوهم في حبسك وأمرت بقبض ضياعهم ، فأمر بردها عليهم »^(٥).

(١) مقاتل الطالبيين : ٢٥٩ .

(٢) مقاتل الطالبيين : ٢٦٧ — ٢٨٤ ، الأعلام / الزركلي ٥ : ١٠٢ .

(٣) مقاتل الطالبيين : ٢٠١ .

(٤) مقاتل الطالبيين : ٢٧٣ .

(٥) مقاتل الطالبيين : ٢٦٢ .

وازاء هذا الظلم المستمر واصل الطالبون قيادة حركة المعارضة المسلحة ضد طغيان المنصور.

موقفه من المواليين لأهل البيت عليه السلام :

تعامل المنصور بقسوة مع شيعة أهل البيت ومحبيهم ، فقد أحرر أهل الكوفة على ليس السواد ، روى عمر بن شبة عن علي بن الجعد ، قال : « رأيت أهل الكوفة أيام أخذوا بلبس السواد حتى ان البقالين إن كان أحدهم ليصبغ الثوب بالأنقاس ^(١) ثم يلبسه » ^(٢).

وكان ولاته يقتلون الناس خلسة على التهمة بالدعوة للثوار العلويين ، قال العباس بن سلم مولى قحطبة : « كان أبو جعفر اذا اتهم أحداً من أهل الكوفة بالميل إلى إبراهيم أمر أبي (سلماً) بطلبه ، فكان يمهل حتى اذا غسق الليل وهدأ الناس نصب سلماً على منزل الرجل فطرقه في بيته فيقتله ويأخذ خاتمه. فكان جميل مولى محمد بن أبي العباس يقول للعباس بن سلم : لو لم يورثك أبوك إلاً حواتيم من قُتل من أهل الكوفة لكنت أيسر الأبناء » ^(٣).

ولم يسلم من إصاق هذه التهمة حتى قادة الدولة ، ومنهم خالد بن كثير أبو المغيرة مولى تميم ، أحد القواد الولاية في أيام المنصور ، ولي قوهستان بفارس مدة إلى أن استعمل على خراسان عبد الجبار بن عبد الرحمن ، فاتهم جماعة بالدعوة للطالبيين فقتلهم سنة (١٤٠ هـ) ، وكان منهم خالد ^(٤).

(١) أي المداد.

(٢) مقاتل الطالبيين : ٢١٣. وفي الطبري : حدثني أبو الحسن الحذاء ، قال : أخذ أبو جعفر الناس بالسواد فكنت أراهم يصغون ثيابهم بالمداد.

(٣) مقاتل الطالبيين : ٢١٣.

(٤) الأعلام / الزركلي ٢ : ٢٩٨.

وقتل الشاعر الحجازي المكي سديف بن اسماعيل بن ميمون ، مولى بني هاشم ، وكان أعرابياً بدوياً ، شديد التحريض على بني أمية ، وعاش إلى زمن المنصور ، فتشيع لبني علي عليهم السلام ، فقتله عبد الصمد بن علي عامل المنصور بمكة سنة (١٤٦ هـ)^(١).

ونقم المنصور على ابراهيم بن هرمة الفهري المدني الشاعر ، لقوله :

ومهما ألام على حبهم فاني أحب بني فاطمة
بني بنت من جاء بالمحكما ت وبالدين وبالسنة القائمة^(٢)
موقفه من الإمام الكاظم عليه السلام :

اتخذ الإمام الصادق عليه السلام تدبيراً محكماً للعمل على وقاية خليفته الإمام الكاظم عليه السلام من شرور السلطة التي كانت تخطط لقتله والقضاء عليه ، ذكر أبو أيوب النحوي أن أبا جعفر المنصور دعاه في جوف الليل ، فلما أتاه رمى كتاباً إليه وقال : هذا كتاب محمد بن سليمان يخبرنا بأن جعفر بن محمد قد مات ، فانا لله وإنا إليه راجعون ، وأين مثل جعفر ! ثم قال له : اكتب إن كان أوصى إلى رجل بعينه فقدمه واضرب عنقه. فكتب وعاد الجواب : قد أوصى إلى خمسة أحدهم أبو جعفر المنصور ، ومحمد بن سليمان ، وعبد الله ، وموسى ، وحميدة ، قال المنصور : ما إلى قتل هؤلاء سبيل^(٣).

كما سار الإمام الكاظم عليه السلام خلال فترة امامته في عهد المنصور (١٤٨ — ١٥٨ هـ) على خطى أبيه عليه السلام ، فكان يوصي أصحابه بالكتمان والحذر وعدم المجاهرة بامامته ، قال لهشام بن سالم : « من أنست منهم رشداً فألق إليه وخذ

(١) الأعلام / الزركلي ٣ : ٨٠.

(٢) البداية والنهاية ١٠ : ١٨١.

(٣) الكافي ١ : ٣١٠ ، مناقب آل أبي طالب / ابن شهر آشوب ٣ : ٤٣٤.

عليه الكتمان ، فإن أذاع فهو الذبح ، وأشار بيده إلى حلقه » ^(١).

وكان الإمام الكاظم عليه السلام على منتهى الحذر من عيون السلطة الذين يتحرّون من يجتمع إليه الناس بعد موت الإمام الصادق عليه السلام ، فهو لا يلتقي بأصحابه إلاّ سرّاً ، فحين سأله خلف بن حماد الكوفي عن مسألة أعيته وأصحابه قال عليه السلام : « إذا هدأت الرجل وانقطعت الطريق فأقبل » ^(٢).

وهكذا اقتصر الإمام الكاظم عليه السلام على مزاولة أعماله الخاصة واعتزل الناس إلاّ خواص أصحابه الذين يلتقي بهم في ظروف هو يحدّدها ، كما أن بعض شيعة أبيه كانوا قد قالوا بإمامة أخيه عبد الله الأفظح ، وبعضهم قال بإمامة أخيه إسماعيل المتوفى في حياة أبيه عليه السلام ، كل ذلك جعل المنصور في حيرة من معرفة الإمام بادئ الأمر ، فكفّ عنه سطوته واستطالته. فلم يشخصه إلى بغداد ويتهدّده بالقتل كما كان يفعل مع أبيه عليه السلام ، ولم يودّع السجن كما في أيام المهدي والرشد حيث ذاع صيته وتوسعت قاعدته والتفّ حوله شيعته ورجع إليه من قال بإمامة غيره.

٢ - المهدي العباسي (١٥٨ - ١٦٩ هـ) :

هو محمد بن عبد الله المنصور العباسي ، وهو أول من مشي بين يديه بالسيوف المصلّنة والقسى والنشاب والعمد ، وأول من لعب بالصوالة في الإسلام.

وروي ما يدل على تقصيره وعدم استحقاقه للخلافة ، قال عمرو بن عبيد إمام المعتزلة للمنصور وهو يشير إلى ابنه المهدي : ومن هذا ؟ فقال : هذا ابني محمد ، ولي العهد من بعدي. فقال عمرو : إنك سميتَه اسماً لم يستحقّه لعمله ،

(١) الارشاد / الشيخ المفيد ٢ : ٢٢٢ و ٢٣٥.

(٢) الكافي ٣ : ٩٢ / ١ ، المحاسن / البرقي : ٣٠٨ / ٢٢.

وألبسته لبوساً ما هو لبوس الأبرار ، ولقد مهّدت له أمراً أمتع ما يكون به أشغل ما يكون عنه .

وقال المنصور يوماً لابنه المهدي : كم عندك من دابة ؟ فقال : لا أدري .
فقال : هذا هو التقصير ، فأنت لأمر الخلافة أشدّ تضييعاً .

موقفه من الطالبين :

أعلن المهدي العباسي في مستهل حكومته عفواً يكاد يكون عاماً عن سجناء الرأي المدّعين في سجون السلطة ، وتحدّث المؤرخون عن أنه أمر عند وفاة المنصور بإخراج من في المحابس من الطالبين وغيرهم من سائر الناس فأطلقهم ، وأمر لهم بجوائز وصالوات وأرزاق ^(١) .

وذلك العفو لا يعني الخروج عن النهج المألوف القاضي بقمع حركة الطالبين الداعين إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، واستبداله بسياسة التسامح وسماع الرأي الآخر ، يتّضح ذلك من خلال موقف المهدي من قادة الطالبين الخارجين في زمانه ، ومنهم أبو الحسن علي بن العباس بن الحسن ، وكان قدم بغداد ودعا إلى نفسه سراً ، فاستجاب له جماعة من الزيدية ، وبلغ المهدي خبره فأخذه ، فلم يزل في حبسه حتى قدم الحسين بن علي صاحب فخ فكلّمه فيه واستوهبه منه فوهبه له ، فلما أراد إخراجَه من حبسه دسّ إليه شربة سمّ فعملت فيه ، فلم يزل ينتفض عليه .ممرور الأيام حتى قدم المدينة فتنفّسَ لحمه وتباينت أعضاؤه ، فمات بعد دخوله المدينة بثلاثة أيام ^(٢) .

وسخط المهدي على يعقوب بن داود بن طهمان وزيره الذي فوّض إليه جميع أمر الخلافة ، لأنه أمره بقتل الحسن بن ابراهيم بن عبد الله بن الحسن بن

(١) تاريخ يعقوبي ٢ : ٣٩٤ .

(٢) مقاتل الطالبين : ٢٦٧ .

الحسن ، فلم يمثل لأمره وأطلقه ، فسجنه المهدي في بئر في المطبق وبنيت عليه قبة ، ونبت شعره حتى صار مثل شعور الأنعام وعمي ، ومكث نحواً من خمس عشرة سنة في ذلك البئر لا يرى ضوءاً ولا يسمع صوتاً حتى مات سنة (١٨٢ هـ) في أيام الرشيد (١).

موقفه من الشيعة :

ومن تعرض لسخط المهدي من أصحاب الإمام الكاظم عليه السلام الثقات ، عمر ابن أدينة الكوفي ، فقد هرب من الكوفة إلى اليمن خوفاً من بطش المهدي العباسي ، ولم يزل يسكن اليمن حتى توفي بها نحو سنة (١٦٩ هـ) (٢).

موقفه من الإمام الكاظم عليه السلام :

لم تشهد الفترة الأولى من حكم المهدي أي موقف مشهود تجاه الإمام الكاظم عليه السلام ، لأن الإمام عليه السلام كان قد تمسك بالسرية التامة وابتعد عن الأضواء ، وورد ما يدل على أن المهدي كان لا يتحرّج من استفتائه إذا اقتضت الضرورة ذلك ، وكان الإمام عليه السلام يجيبه حيثما يتعلق الأمر بخدمة الدين الحنيف ، فحين أراد المهدي توسعة المسجد الحرام بقيت دار في تربيعة المسجد ، فطلبها من صاحبها فامتنع ، فسأل عن ذلك الفقهاء ، فقالوا : « لا ينبغي أن يدخل شيئاً في المسجد الحرام غضباً ، فطلب علي بن يقطين من المهدي أن يكتب إلى موسى بن جعفر عليه السلام ليخبره بوجه الأمر في ذلك ، فكتب إلى والي المدينة ليسأل أبا الحسن عليه السلام فقال : اكتب : بسم الله الرحمن الرحيم ، إن كانت الكعبة هي النازلة بالناس فالناس أولى بفنائها ، وإن كان الناس هم النازلون بفناء الكعبة فالكعبة أولى بفنائها ، فلما أتى الكتاب إلى المهدي ، أمر بهدم الدار ،

(١) البداية والنهاية ١٠ : ١٣٧ و ١٥٧ و ١٩٥ .

(٢) خلاصة العلامة : ٢١١ / ٢ ، رجال ابن داود : ١٤٤ / ١١١١ .

فأتى أهل الدار أبا الحسن عليه السلام فسألوه أن يكتب لهم إلى المهدي كتاباً في ثمن دارهم ، فكتب إليه : أن أرضخ لهم ^(١) شيئاً ، فأرضاهم ^(٢) .

ولم يكن الإمام الكاظم عليه السلام بالذي يهاب المهدي من أن يواجهه بأحطر مسألة تعرض لها أهل البيت عليهم السلام ، وهي قضية فدك التي تمثل عند الإمام الكاظم عليه السلام رمزاً للحقّ المغتصب والخلافة المسلوّبة بناءً على التحديد الذي ذكره ، فقد ورد الإمام الكاظم عليه السلام مرة على المهدي فرآه يرد المظالم ، ولعل ذلك في موسم الحج ، فقال : « ما بال مظلمتنا لا تُرد ؟ » فقال له : وما ذاك يا أبا الحسن ؟ قال : فدك ، قال المهدي : حدها لي ، فقال : حدّها منها جبل أحد ، وحدّها منها عريش مصر ، وحدّها منها سيف البحر ، وحدّها منها دومة الجندل ، فقال له : كل هذا ؟ قال : نعم ، هذا كله مما لم يوجف أهله على رسول الله صلى الله عليه وآله بخيل ولا ركاب ، فقال : هذا كثير وأنظر فيه ^(٣) .

ولعل قرار سجن الإمام عليه السلام كان هو الجواب الذي نظر فيه المهدي ، فلما اشتهر الإمام عليه السلام وذاع صيته وتوسعت مرجعيته ، عمد المهدي إلى استدعائه إلى بغداد ، فحبسه ليكون محاصراً ومعزولاً عن شيعته في المدينة .

روى أبو خالد الزبالي خير اشخاصه من المدينة إلى بغداد من قبل المهدي العباسي ، فقد رآه الإمام عليه السلام منقبضاً تعلو وجهه سحابة قائمة من الوجد لأنه لا يأمن عليه في مسيره إلى الطاغية ، فطمأنه الإمام عليه السلام قائلاً : « يا أبا خالد ، ليس عليّ بأس » ^(٤) ، وفعلاً أطلقه المهدي بعد أن مكث مدة في السجن ملياً .

(١) أرضخ له : أعطاه عطاءً غير كثير ، أو قليلاً من كثير .

(٢) تفسير العياشي ١ / ٣٢٣ / ٧٢٩ .

(٣) الكافي ١ / ٤٥٦ / ٥ ، التهذيب ٤ / ١٤٨ / ٤١٤ .

(٤) الكافي ١ / ٤٧٧ / ٣ ، اثبات الوصية : ١٦٥ ، الخرائج والجرائح ١ / ٣١٥ / ٨ .

ذكر كثير من المؤرخين أن المهدي لم يطلقه إلا بعد أن رأى برهان ربه ، روى عن الفضل بن الربيع عن أبيه ، أنه لما حبس المهدي موسى بن جعفر رأى المهدي في النوم علي بن أبي طالب عليه السلام وهو يقول : « يا محمد ، ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴾ ^(١) ، قال الربيع : فأرسل لي ليلاً فراعني ذلك ، فجننته فاذا هو يقرأ هذه الآية ، وقال : عليّ موسى بن جعفر ، فجننته به فعانقه وأجلسه إلى جانبه وقال : يا أبا الحسن ، اني رأيت أمير المؤمنين علي بن أبي طالب في النوم يقرأ علي كذا ، فتؤمنني أن تخرج علي أو على أحد من ولدي ؟ فقال : الله لا فعلت ذاك ، ولا هو من شأني ، قال : صدقت ، يا ربيع أعطه ثلاثة آلاف دينار وردّه إلى أهله إلى المدينة ، قال الربيع : فأحكمت أمره ليلاً ، فما أصبح إلا وهو في الطريق خوف العوائق ^(٢) .

وكان المهدي يقصد قتله عليه السلام لكن مشيئة الله سبحانه كانت تحول دون ذلك ، ذكر ابن شهر آشوب أنه في الليلة التي أمر باطلاق الإمام عليه السلام كان قد أمر حميد بن قحطبة أن يقتله في السحر بغتة ، فرأى في تلك علياً عليه السلام يشير إليه ويقرأ الآية فاتنبه مذعوراً ، ونهى حميداً عما أمره ، وأكرم الكاظم عليه السلام ووصله ^(٣) . وذكر ابن عنبه أن المهدي تنكر له بعد اطلاقه ، فهلك قبل أن يوصل إلى

(١) سورة محمد : ٤٧ / ٢٢ .

(٢) تاريخ بغداد ١٣ : ٣٢ ، البداية والنهاية ١٠ : ١٩٧ ، صفة الصفوة / ابن الجوزي ٢ : ١٨٤ ، تذكرة الخواص / سبط ابن الجوزي ٢٤٩ ، وفيات الأعيان / ابن خلكان ٥ : ٣٠٨ ، سير أعلام النبلاء / الذهبي ٦ : ٢٧٢ ، الفصول المهمة / ابن الصباغ : ٢٣٠ ، تاريخ الطبري ٦ : ٣٩٨ ، مرآة الجنان / الياضي ١ : ٣٩٤ ، الصواعق المحرقة / الهيثمي : ١٢٣ ، مطالب السؤول / ابن طلحة : ٨٣ ، مناقب آل أبي طالب ٣ : ٣٥٣ .

(٣) مناقب آل أبي طالب ٣ : ٤١٨ .

الفصل الثاني : السلطة والإمام عليّ عليه السلام ٥١
الكاظم عليه السلام أذى^(١).

وعاد الإمام عليّ عليه السلام إلى المدينة مع حلول الظلام فالتقاه أبو خالد الزبالي ، فاذا هو على بغلة أمام القطار ، فسلم عليه وسرّ بمقدمه وهناك بالسلامة ، فقال عليّ عليه السلام : « يا أبا خالد ، ان لهم إليّ عودة لا أتخلص منها »^(٢). وستكون تلك العودة إلى أرض العراق في زمن الرشيد وبالتحديد سنة (١٧٩ هـ).

٣ - موسى الهادي (١٦٩ - ١٧٠ هـ) :

هو موسى بن محمد المهدي بن المنصور ، استبدت أمه الخيزران بالأمر في زمانه ، وأراد خلع أخيه هارون من ولاية العهد وجعلها لابنه جعفر ، فلم ترض أمه ذلك فزجرها ، فأمرت جواريتها أن يقتلنه فخنقنه في النصف من ربيع الأول أو الآخر سنة (١٧٠ هـ)^(٣).

موقفه من الطالبين :

وقع الطالبيون تحت وطأة ظلم صارخ ووحشية مروعة في زمانه ، فقد ذكر المؤرخون أن الهادي ألحّ في طلب الطالبين ، وأخافهم خوفاً شديداً ، وقطع ما كان المهدي يجريه لهم من الأرزاق والأعطيات ، وكتب إلى الآفاق في طلبهم وحملهم ، وأسرف في سفك دمائهم ، فقتل أيام حكمه الحسين بن علي صاحب فخ وجماعة من أهله منهم : عبد الله بن إسحاق بن إبراهيم بن الحسن ، وسليمان ابن عبد الله بن الحسن ، وضرب أعناق الأسرى صبراً ، منهم الحسن بن محمد ابن عبد الله بن الحسن.

وبلغ من حقد موسى الهادي على أهل بيت النبوة أنه كان علي بن الحسين

(١) بحار الأنوار ٤٨ : ٢٤٧ / ٥٧ .

(٢) الكافي ١ : ٤٧٧ / ٣ ، إثبات الوصية : ١٦٥ ، الخرائج والجرائح ١ : ٣١٥ / ٨ .

(٣) الأعلام / الزركلي ٧ : ٣٢٧ .

الإمام الكاظم عليه السلام سيرة وتاريخ ٥٢

ابن علي بن الحسين عليه السلام الملقب بالجزري ، قد تزوج رقية بنت عمرو العثمانية ، وكانت قبله تحت المهدي ، فبلغ ذلك الهادي ، فأرسل إليه وحمل إليه ، فقال له : أعياك النساء إلا امرأة أمير المؤمنين ؟ قال : ما حرم الله على خلقه إلا نساء حمدي عليه السلام ، أما غيرهن فلا ولا كرامة ، فشجّه بمحصرة كانت في يده ، وجلده خمسمائة سوط ، وأراد أن يطلقها فلم يفعل ، وكان قد غشى عليه من الضرب (١).

موقفه من الإمام الكاظم عليه السلام :

رغم قصر مدة حكم الهادي العباسي التي لا تتجاوز سنة وشهراً ، فقد صمّم بعد مقتل الحسين صاحب فخ على التنكيل بالإمام الكاظم عليه السلام ، فاتّهمه بخروج الحسين وتوعده بالقتل ، لولا توجه الإمام عليه السلام إلى الله تعالى بالدعاء للخلاص من شرّه وظلمه ، فاستجاب الله دعاءه وقصم ظهر الهادي الغشوم قبل أن ينال الإمام بسوء.

روى ابن طائوس بالإسناد عن أبي الوضاح محمد بن عبد الله النهشلي ، قال : « أخبرني أبي ، قال : لما قُتل صاحب فخ وتفرّق الناس عنه ، حمل رأسه والأسرى من أصحابه إلى موسى الهادي ... ثم أمر برجل من الأسرى فوبّخه ثم قتله ، ثم صنع مثل ذلك بجماعة من ولد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ... إلى أن ذكر موسى بن جعفر عليه السلام فنال منه . وقال : والله ما خرج حسين إلا عن أمره ، ولا اتبع إلا محبّته ، لأنه صاحب الوصية في أهل هذا البيت ، قتلني الله إن أبقيت عليه . فقال له أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم القاضي ، وكان جريئاً عليه : يا أمير المؤمنين ، أقول أم أسكت ؟ فقال : قتلني الله إن عفوت عن موسى بن جعفر ،

(١) تاريخ يعقوبي ٢ : ٤٠٤ ، مقاتل الطالبين : ٢٨٨ .

ولولا ما سمعته من المهدي فيما أخبر به المنصور بما كان به جعفر من الفضل المبرز عن أهله في دينه وعلمه وفضله ، وما بلغني من السفاح فيه من تقريظه وتفضيله ، لنبشت قبره وأحرقته بالنار إحراقاً.

فقال أبو يوسف : نساؤه طوالق ، وعتق جميع ما يملك من الرقيق ، وتصدّق بجميع ما يملك من المال ، وحبس دوابه ، وعليه المشي إلى بيت الله الحرام ، إن كان مذهب موسى بن جعفر الخروج ، لا يذهب إليه ، ولا مذهب أحد من ولده ، ولا ينبغي أن يكون هذا منهم ، ولم يزل يرفق به حتى سكن غضبه.

قال : وكتب علي بن يقطين إلى أبي الحسن موسى بن جعفر عليه السلام بصورة الأمر ، فورد الكتاب إليه ، فأشار عليه أصحابه أن يغيب شخصه عن هذا الجبار لأنه لا يؤمن شره وعاديته وغشمه ، فتبسم موسى عليه السلام ثم تمثل بيت كعب بن مالك أخي بني سلمة وهو :

زعمت سخينة أن ستغلب ريمها فلغيغن مغالب الغلاب (١)

ثم أقبل على من حضره من مواليه وأهل بيته فقال : ليفرخ روعكم ، انه لا يرد أول كتاب من العراق إلا بموت موسى بن المهدي وهلاكه إلى أن قال : وقال : بينما أنا جالس في مصالي بعد فراغي من وردي ، وقد تنومت عياني ، إذ سنع جدي رسول الله صلى الله عليه وآله في منامي ، فشكوت إليه موسى بن المهدي ، وذكرت ما جرى منه في أهل بيته ، وأنا مشفق من غوائله ، فقال لي : لتطب نفسك يا موسى ، فما جعل الله لموسى عليك سيلاً ، فبينما هو يحدثني إذ أخذ بيدي وقال لي : قد أهلك الله أنفأ عدوك ، فليحسن الله

(١) البيت لكعب بن مالك ، وقيل : لحسان بن ثابت ، وسخينة : لقب قريش ، لأنها كانت تعاب بأكل السخينة ، وهي طعام يتخذ من الدقيق ، يأكلونه أيام القحط.

الإمام الكاظم عليه السلام سيرة وتاريخ ٥٤
شكرك.

قال : ثم استقبل أبو الحسن عليه السلام القبلة ورفع يديه إلى السماء يدعو ، قال :
فسمعناه وهو يقول في دعائه : شكراً لله جلت عظمته ، إلهي كم من عدو
انتضى علي سيف عداوته... إلى آخر الدعاء — وهو دعاء طويل جليل
المضامين ، يسمى دعاء الجوشن الصغير .

وفي ذلك يقول بعض من حضر موسى بن جعفر عليه السلام من أهل بيته يصف
تلك الدعوة وسرعة إجابتها :

وسارية لم تسر في الأرض تبتغي محلاً ولم يقطع بها العبد قاطع
تمرّ وراء الليل والليل ضارب بجمانه فيه سمير وهاجع
تفتح أبواب السماء ودونها إذا قرع الأبواب منهن قارِع
إذا وردت لم يردد الله وفدها على أهلها والله راءٍ وسامع
واني لأرجو الله حتى كأئنا أرى بجميل الظن ما الله صانع» (١)
٤ — الرشيد (١٧٠ — ١٩٣ هـ) :

هو هارون بن محمد المهدي بن المنصور العباسي الملقب بالرشيد باطلاً ،
خامس ملوك الدولة العباسية وأشهرهم ، كان كثير الغزوات يلقب بجبار بني
العباس ، ولم يجتمع على باب ملك ما اجتمع على بابيه من علماء السوء والشعراء
والكتاب والندماء ، وهو أول (خليفة) لعب بالكرة ، وهو صاحب وقعة
البرامكة ، وهم من أصل فارسي ، وكان قد فوّض إليهم شؤون الدولة ، فقلق من
تحكمهم فأوقع بهم في ليلة واحدة (٢).

(١) مهج الدعوات / ابن طائوس : ٢١٧ ، والحديث في عيون أخبار الرضا ١ : ٧٩ /
٧ ، أمالي الصدوق : ٤٥٩ / ٦١٢ ، أمالي الطوسي : ٤٢١ / ٩٤٤ .
(٢) تاريخ يعقوبي ٢ : ٤٢٩ ، البداية والنهاية ١٠ : ١٧١ ، الأعلام ٨ : ٦٢ .

وحرص قارون اللا رشيد لعنه الله على اختيار شعراء البلاط بما ينسجم مع توجهاته ، فقرب النواصب من الشعراء وعلى رأسهم مروان بن أبي حفصة (١٠٥ - ١٨٢ هـ) الذي مدحه وأباه وجمع من الجوائز والهبات ثروة واسعة ، وكان رسم بني العباس أن يعطوه بكل بيت يمدحهم به ألف درهم ، وكان يتقرب إلى هارون بمحاء العلويين ^(١).

موقفه من الشيعة :

كان هارون يأمر بحمل الشيعة إليه بذرائع مختلفة ، فيتعرضون للحبس والضرب وشتى وسائل التعذيب ، ومن هؤلاء محمد بن أبي عمير الأزدي البغدادي ، وهو من أوثق الناس عند الخاصة والعامة وأنسكهم وأورعهم وأعبدهم ، وحكي عن الجاحظ قوله فيه : كان أوحده أهل زمانه في الأشياء كلها. حبس أيام الرشيد على التشيع نحو (١٧) سنة ، وطلب منه أن يدل على الشيعة وأصحاب موسى بن جعفر عليه السلام في العراق ، وضرب على ذلك (١٢٠) خشبة حتى كاد يقر لعظيم الألم ، فسمع محمد بن يونس يقول له : اتق الله يا محمد ، فصبر ففرج الله عنه ، وذلك بعد أن أدى من ماله واحداً وعشرين ألف درهم ، ومما يدل على مدى الظلم الذي لحق بشيعة الإمام أن اخت ابن أبي عمير دفنت كتبه حينما كان في السجن خوفاً من السلطة حتى تلفت الكتب ^(٢).

وقتل هارون عبد الحميد بن عواض الطائي الكسائي الكوفي بعد استدعائه مع مرازم وجريز ابني حكيم ، وهو من أصحاب الإمام الباقر والصادق

(١) الأعلام / الزركلي ٧ : ٢٠٨ ، الأغاني ٩ : ٣٤ ، تاريخ بغداد ١٣ : ١٤٢ ، النجوم الزاهرة ٢ : ١٠٦ ، الوافي بالوفيات ٢٤ : ١٥٨ ، معجم المؤلفين ١٢ : ٢٢١ .

(٢) رجال النجاشي : ٢٢٨ ، خلاصة العلامة : ٢٣٩ / ١٨ ، الفهرست : ١٤٢ ، شرح مشيخة الفقيه ٣ : ٥٦ ، الذريعة ٢٥ : ٣٠٦ .

الإمام الكاظم عليه السلام سيرة وتاريخ ٥٦
والكاظم عليه السلام ، وكان ثقة (١).

وروي أنه في زمانه اختفى هشام بن الحكم لطلب السلطة له بسبب
مناظراته حتى توفي بعد نكبة البرامكة بمدة يسيرة متستراً ، وكان من خواص
الإمام موسى بن جعفر عليه السلام ، وقيل : بل توفي في زمان المأمون (٢).
موقفه من الطالبين :

أزاد هارون من وتيرة الضغط على الطالبين طيلة مدة حكمه التي دامت
(٢٣) عاماً ، فأكثر من تتبعهم بالاقصاء والاستبعاد والقمع ، وبطش بسراهم
وسادتهم ، روى أبو الفرج عن النوفلي عن أبيه ، قال : كان الرشيد مغرماً
بالمسألة عن أمر آل أبي طالب وعمن له ذكر ونباهة منهم (٣).

وتعرض في زمانه كثير منهم للاعتقال ، وكان يوصي بالتضييق عليهم
وزيادة التقييد والحديد ، وبعضهم مات في الحبس لطول التعذيب ، أو ضربت
أعناقهم صبراً ، أو أمر بقتلهم خنقاً ، وعاش آخرون مختلفين طوال حياتهم ،
وقتل حميد بن قحطبة وحده ستين علويّاً.

وممن تعرض لبطش هارون في زمانه : عبد الله بن الحسن بن علي بن
الحسين عليه السلام ، سجنه اللا رشيد ثم حوله إلى جعفر بن يحيى البرمكي ، فضرب
عنقه وغسل رأسه وجعله في منديل وأهداه إلى هارون مع هدايا النيروز (٤).

والحسين بن عبد الله بن اسماعيل بن عبد الله بن جعفر ، أخذه بكار الزبيري

(١) من لا يحضره الفقيه ٤ : ٥١٩ ، جامع الرواة / الأردبيلي ١ : ٤٠٠.

(٢) الفهرست : ٢٥٨ / ٧٨٣.

(٣) مقاتل الطالبين : ٣٢٧.

(٤) مقاتل الطالبين : ٣٢٧.

بالمدينة فضربه بالسوط ضرباً مبرحاً ، فمات من ذلك الضرب^(١) .

ويجيى بن عبد الله بن محمد بن عمر الأطرف بن علي بن أبي طالب عليه السلام ، من أصحاب الصادق عليه السلام ، وكان يدعى بالصالح والصوفي ، لكثرة زهده وورعه وتقشفه ولبسه الصوف الخشن ، حبسه هارون ثم أمر بخنقه في الحبس ، ودفن بمقابر مسجد السهلة^(٢) .

ومحمد بن يحيى بن عبد الله بن الحسن ، حبسه بكار الزبيري ، وجعل هارون يتبعه برسول بعد رسول يأمره بالتضييق عليه ، ثم أمره بتقييده ، ثم أمره بإتقاله والزيادة في حديده ، فمات في حبسه^(٣) .

وإسحاق بن الحسن بن زيد بن الحسن ، حبسه هارون فمات في حبسه^(٤) ، وعلي بن الأفطس المعروف بخززي ، قتله ظلماً وعدواناً^(٥) .

أما العباس بن محمد بن عبد الله بن علي بن الحسين عليه السلام ، فكان ممن قتلهم هارون بحضرتة ليطفئ الغلّ الذي يتوقد في نفسه ، فقد دخل العباس على هارون فكلمه كلاماً طويلاً ، فأمر به فأدين فضربه بعمود من حديد حتى قتله^(٦) .

وجعل هارون يحيى بن عبد الله الحسيني في سرداب بعد أن أعطاه الأمان ، واستمر على هذا الحال إلى أن قتل في الحبس بالجوع والعطش والتعذيب نحو

(١) مقاتل الطالبين : ٣٣٠ .

(٢) عمدة الطالب / ابن عتبة : ٣٦٧ ، معجم رجال الحديث ٢١ : ٧٠ / ١٣٥٧٣ ، المجدي في أنساب الطالبين / علي بن محمد العلوي : ٢٨١ .

(٣) مقاتل الطالبين : ٣٢٩ .

(٤) مقاتل الطالبين : ٣٣٦ .

(٥) المجدي في أنساب الطالبين : ٢١٣ .

(٦) مقاتل الطالبين : ٣٣١ .

الإمام الكاظم عليه السلام سيرة وتاريخ ٥٨
سنة (١٨٠ هـ)^(١).

واستعمل أسلوب الضدّ النوعي في تصفية الخصوم ، فقد ندب سليمان بن جرير الجزري أحد متكلمي الزيدية ، ليقتل إدريس بن عبد الله بن الحسن ، فسقاه السم سنة (١٧٧ هـ)^(٢).

وفّر بعض الطالبين من السجن ، غير أنهم عاشوا متوارين ، منهم أحمد بن عيسى بن زيد بن علي ، وكان فاضلاً عالماً بالدين والحديث ، أحضره هارون إلى بغداد وسجنه بالرافقة سنة (١٨٨ هـ) ، وفرّ من السجن واختفى في البصرة ، فأذكى هارون عليه العيون ، وجعل لمن جاء به الأموال ، فلم يقدر عليه ، واستمر مستتراً إلى أن مات^(٣).

وروي عن عبيد الله البزاز النيسابوري عن حميد بن قحطبة أنه قتل ستين علويّاً بأمر هارون ، كان قد جعلهم في بيوت مغلقة ، وكانوا مقيدين وعليهم الشعور والذوائب ، وكلهم من العلوية ، وبعد أن قتلهم رمى بأجسادهم ورؤوسهم في الآبار. روى الصدوق بالإسناد عن عبيد الله البزاز ، أنه دخل على حميد بن قحطبة الطائي الطوسي فرآه يأكل في وقت الصيام من شهر رمضان ، وحينما سأله قال : إذا كان فعلي هذا ، وقد قتلت ستين نفساً من ولد رسول الله ، فما ينفعني صومي وصلاتي؟!^(٤).

(١) مقاتل الطالبين : ٣١٣ — ٣٢٣ ، تاريخ يعقوبي ٢ : ٤٠٨ ، البداية والنهاية ١٠ : ١٧٨ ، الأعلام / الزركلي ٨ : ١٥٤ .

(٢) مقاتل الطالبين : ٣٢٤ — ٣٢٦ ، تاريخ يعقوبي ٢ : ٤٠٤ ، تاريخ أبي الفداء ٢ : ١٢ ، عمدة الطالب : ١٥٧ ، الأعلام / الزركلي ١ : ٢٧٩ .

(٣) تاريخ يعقوبي ٢ : ٤٢٢ ، الأعلام ١ : ١٩١ .

(٤) عيون أخبار الرضا / الشيخ الصدوق ٢ : ١٠٠ .

موقفه من الإمام الكاظم عليه السلام :

عاش الإمام الكاظم عليه السلام أطول فترة من إمامته في زمان هارون لعنة الله عليه ، فكان نصيبه من ظلم هذا الطاغية كبيراً ، اذ لم يرق لهارون ما يملك الإمام من امتداد واسع في الواقع الإسلامي ، وما يشاهده من اقبال الناس عليه ورجوعهم إليه ، وتأثرهم بروحانيته ورجاحة علمه ، فاستدعى الإمام عليه السلام إلى بغداد وعرضه للسجن والتعذيب بذرائع وهم شتى ، أثبتت الوقائع براءته عن كل ما يرمى به منها ، حتى أن رأس السلطة صرح بذلك في أكثر من مناسبة ، حيث قال هارون نفسه : الناس يحملوني على موسى بن جعفر وهو برئ مما يرمى به ^(١) . لأن الإمام عليه السلام كان يعتزل العمل السياسي ، فلم يخرج على حاكم ولا دعا أحداً إلى مبايعته ، ولم يتحرك ضد هارون ولا غيره ، ولكنها الغيرة من النجاحات الهائلة التي حققها الإمام عليه السلام في مختلف أوساط الأمة .

وشهدت هذه الفترة من جانب آخر كثيراً من المناظرات التي خاضها الإمام مع هذا الطاغية وغيره من رجال السلطة ، تتعلق بأهم الشبهات المثارة من قبل بني العباس حول الإمامة وحقوق أهل البيت عليهم السلام .

إشخاص الإمام إلى العراق :

ذكر كثير من المؤرخين أن الإمام عليه السلام أقام في المدينة بعد أن أطلقه المهدي العباسي إلى أيام هارون ، فقدم هارون منصرفاً من عمرة شهر رمضان سنة (١٧٩ هـ) ^(٢) ، فحمل موسى الكاظم معه إلى بغداد وحبسه بها إلى أن استشهد في حبسه مسموماً سنة (١٨٣ هـ) ، وقيل : سنة (١٨٦ هـ) ^(٣) .

(١) الكافي ١ : ٣٦٦ / ٩٩ ، بحار الأنوار ٤٨ : ١٦٥ / ٧ .

(٢) وحدد الشيخ الكليني : لعشر ليال يقين من شوال سنة (١٧٩ هـ) .

(٣) تاريخ بغداد ١٣ : ٢٩ ، وفيات الأعيان ٥ : ٣٠٨ ، الكافي ١ : ٤٧٦ .

وقد انصرف هارون من الحج على طريق البصرة ، فحمل الإمام الكاظم عليه السلام مقيداً ، وخرج على بغلين عليهما قبتان مغطتان هو في احدهما ، ووجه مع كل واحد منهما خيلاً ، فأخذوا بواحدة على طريق البصرة والأخرى على طريق الكوفة ، ليعمي على الناس أمره ، وكان الإمام في التي مضت إلى البصرة. فأمر المأمور أن يسلمه إلى عيسى بن جعفر بن المنصور ، وكان على البصرة حينئذ ، فحبسه عيسى عنده سنة ، ثم كتب إليه الرشيد في سفك دمه ، فاستشار عيسى بعض خاصته فأشاروا عليه بالتوقف عن ذلك والاستعفاء منه ، فكتب عيسى إلى هارون : قد طال أمر موسى بن جعفر ومقامه في حبسي ، وقد اختبرت حاله ووضعت عليه العيون طول هذه المدة ، فما وجدته يفتقر عن العبادة ، ووضعت من يسمع منه ما يقول في دعائه ، فما دعا عليك ولا علي ولا ذكرنا في دعائه بسوء ، وما يدعو لنفسه إلا بالمغفرة والرحمة ، فإن أنت أنفذت إليّ من يتسلمه مني وإلاّ خلّيت سبيله فاني متحرج من حبسه.

وأنت تلاحظ دقة المراقبة التي تتابع الإمام عليه السلام حتى في انقطاعه إلى ربه ودعائه الذي يقوله في صلاته ، فوجه هارون من تسلمه من عيسى وحبسه عند الفضل بن الربيع ببغداد ، فبقي محبوساً عنده مدة طويلة ، وأراد هارون على شيء من أمره فأبى.

روى الشيخ الصدوق بسنده عن الفضل بن الربيع ، قال : « قد أرسلوا إليّ في غير مرة يأمروني بقتله فلم أجبهم إلى ذلك ، وأعلمتهم أنني لا أفعل ذلك ، ولو قتلوني ما أحببتهم إلى ما سألونني » ^(١).

(١) عيون أخبار الرضا ١ : ١٠٦ / ١٠ ، أمالي الصدوق : ١٣٦ / ١٨.

وكتب هارون إلى الفضل بن الربيع ليسلمه إلى الفضل بن يحيى البرمكي ،
فتسلمه منه وأراد هارون ذلك منه فلم يفعله ، وبلغه أنه عنده في رفاهية وسعة
وهو حينئذ بالرقعة ، فكتب إليه ينكر ذلك عليه ويأمره بقتله ، فتوقف عن ذلك
ولم يقدم عليه ، فاغتاظ هارون من ذلك ، ودعا مسروراً الخادم أن يخرج على
البريد من وقته إلى بغداد ، ويحمل كتابين إلى العباس بن محمد والسندي بن
شاهك ، وحين وصول الكتابين جلد ابن شاهك الفضل بن يحيى مائة سوط ،
وحبس الإمام عنده.

روى الشيخ الخصبي بالاسناد عن علي بن أحمد البزاز ، قال : « أمر هارون
السندي بن شاهك أن يبني لموسى عليه السلام محبساً في داره ويقيده بثلاثة قيود من
ثلاثة أرتال حديد ، ويغلق الباب في وجهه إلا وقت الطعام ووضوء
الصلاة » (١).

وجلس هارون في مجلس حافل ، فأمر الناس بلعن الفضل بن يحيى
فلعنوه ، ثم ان يحيى بن خالد قال لهارون : ان الفضل حدث وأنا أكفيك ما تريد ،
ثم دعا يحيى بن خالد السندي فأمره فيه بأمره فامثله ، فقتل الإمام على يد
السندي بسمّ جعله في طعام ، وقيل : في رطب قدمه إليه ، ولبث ثلاثاً بعده
موعوكاً ، ثم مات في اليوم الثالث.

فلما استشهد الإمام عليه السلام أدخل السندي الفقهاء ووجوه أهل بغداد عليه ،
فانظروا إليه لا أثر به وشهدوا على ذلك ، وإنما فعل السندي ذلك
لإخفاء جريمة قتل الإمام عليه السلام بالسّم ، وأخرج الجثمان المطهر فوضع
على الجسر ببغداد ، ونودي : هذا موسى بن جعفر قد مات فانظروا

(١) الهداية الكبرى / الخصبي : ٢٦٥.

الإمام الكاظم عليه السلام سيرة وتاريخ ٦٢ إليه .

فجعل الناس يتفرون في وجهه وهو ميت ، وأمر يحيى ابن خالد أن ينادى عليه عند موته : هذا موسى بن جعفر الذي تزعم الرافضة أنه لا يموت فانظروا إليه .

فنظر الناس إليه ميتاً ، ثم حمل فدفن في مقابر قريش ^(١) .

وفي هذا يقول أحد الشعراء ^(٢) :

ما أنصفتك بنو الأعمام إذ قطعت
أبكيك رهن السجون المظلمات وقد
لبثت فـيهن أعواماً ثمانية
تسمي وتغدو بنو العباس في مرح
دسوا اليك نقيع السم في رطب
حتى قضيت غريب الدار منفرداً
أبكي لنعشك والأبصار ترمقه
أبكيك ما بين حمالين أربعة
نادوا عليه نداء تقشعر له
لم تجتمع هاشم البطحا لديه ولا
كأهما ما درت أن العميد مضى

أواصراً برسول الله تتحد
ضاق الفضا وتولى حولك الرصد
ما بارحتك القيود الدهم والصفد
وأنت في محبس السندي مضطهد
فاحضر لونك مذ ذابت به الكبد
لله ناء غريب الدار منفرد
ملقى على الجسر لا يدنو له أحد
تشال جهراً وكل الناس قد شهدوا
السبع الطباق فهلا زلزل البلد
الأشراف من مضر الحمراء تحتشد
ومن رواق علاها قد هوى العمد ^(٣)

(١) الإرشاد ٢ : ٢٤٠ ، مناقب آل أبي طالب ٣ : ٤٤٠ ، مقاتل الطالبين : ٣٣٦ ، الغيبة / الطوسي : ٢٦ / ٦ ، اعلام النورى / الطبرسي ٢ : ٣٣ ، الفصول المهمة / ابن الصباغ : ٢٢٠ .

(٢) هو الشيخ محمد علي يعقوبي (ت / ١٣٨٥ هـ) .

(٣) ديوان يعقوبي الموسوم بالدخائر : ٥٥ .

أسباب استدعاء الإمام وسجنه :

أولاً - الخوف من عمل الإمام عليه السلام :

وتلك عقدة لم تفارق غالبية الحكام العباسيين ومن قبلهم الأمويين ، فجميعهم يساورهم الشك بعمل الأئمة من أهل البيت عليهم السلام ويعتقدون أنهم يمتلكون من القوة والهيبة ما يستطيعون إزاحتهم عن عروشهم ، هذا مع قناعة بني العباس بابتعاد الإمام الكاظم عليه السلام عن واقع الحياة السياسية.

يروى أن هارون اللارشيد لعنه الله لما صار إلى المدينة وصل كل هاشمي أو قرشي أو مهاجري أو أنصاري ممن دخل عليه بخمسة آلاف درهم وما دونها إلى مائتي دينار ، على قدر شرفه وهجرة آبائه ، وحين دخل الإمام الكاظم عليه السلام رحّب به ، وعند منصرفه من الحج أمر بصرة سوداء فيها مائتا دينار أرسلها إليه ، فسأله المأمون وكان جريئاً عليه : يا أمير المؤمنين ، تعطي أبناء المهاجرين والأنصار وسائر قریش وبني هاشم ومن لا يعرف حسبه ونسبه خمسة آلاف دينار إلى ما دونها ، وتعطي موسى بن جعفر وقد أعظمته وأجلته مائتي دينار؟! أحسن عطية أعطيتها أحداً من الناس. فقال : اسكت لا أم لك ، فاني لو أعطيت هذا ما ضمنته له ، ما كنت آمنه أن يضرب وجهي غداً بمائة ألف سيف من شيعته ومواليه ، وفقر هذا وأهل بيته أسلم لي ولكم من بسط أيديهم وأعينهم^(١).

وهذه الذريعة عينها التي جعلت سلطة السقيفة تمنع الزهراء عليها السلام نخلتها ، وبقي الحكام بعدهم يركون عجلة الحرب الاقتصادية ، ويضيّقون على آل البيت عليهم السلام ويقللون من أعطياتهم لسلب القدرة الاقتصادية التي قد تمكّنهم من استعادة سلطاتهم المسلوب والتفاف الأنصار حولهم.

(١) عيون أخبار الرضا : ١ / ٨٨ / ١١.

وخوف هارون الطاغية اللعين من الإمام يتجلى من خلال تصريح سليمان ابن المنصور عم هارون ، حين قيل له : هذا موسى بن جعفر مات في الحبس ، فأمر هارون أن يدفن بحاله. فقال سليمان : موسى بن جعفر يدفن هكذا ! فإن في الدنيا من كان يُخاف على الملك ، في الآخرة لا يوفى حقه ؟ ^(١).

ثانياً — الحقد والغيرة :

إن دأب الطغاة في كل عصر هو احتكار أسباب العظمة والتعالي لذواتهم ، فتستعر نفوسهم غيرة وحقداً على كل شخصية مرموقة في المجتمع ، ويزداد ذلك كلما كان الحاكم على مستوى متدنٍ في سيرته وخلقه ، فلم يرق له أن يسمع الناس وهم يتحدثون عن شخص يجتمع فيه الكمالات الروحانية والفكرية قولاً وعملاً ، ويعدّ اختصاراً لشخص الرسول الكريم صلى الله عليه وآله في مظاهر العظمة من العبادة ورجاحة العلم والحلم والزهد والكرم والشجاعة وغيرها.

إن بغض أهل البيت عليهم السلام ثقافة يرثها الحاكم عن أسلافه ويتقرب بها إليه أخلافه ، ففي رواية الشيخ الصدوق عن المأمون يقول : ما زلت أحب أهل البيت وأظهر للرشيد بغضهم تقرباً إليه ^(٢).

وما ذنب الأئمة عليهم السلام حتى يُحقد عليهم إذا أحب الناس العلم وأهله والحق ومن انتصر له ؟ ذنبهم الوحيد عند الطغاة أنهم ورثة الأنبياء عليهم السلام ، وأنهم أئمة حق وهدى وغيرهم أئمة باطل وضلال.

وتتجسد غيرة هارون اللئيم من الإمام الكاظم عليه السلام في موقف افتخر فيه الإمام عليه السلام على هارون حين جاء مكة حاجاً ، فأتى قبر النبي صلى الله عليه وآله زائراً له وحوله قریش وأفياء القبائل ومعه موسى بن جعفر عليه السلام ، فلما انتهى إلى القبر

(١) مناقب آل أبي طالب ٣ : ٤٤١ .

(٢) أمالي الصدوق : ٣٠٧ / ١ ، عيون أخبار الرضا : ١ / ٩٣ / ١٢ .

قال : « السلام عليك يا رسول الله يا بن عمي. افتخاراً على من حوله ، لأنه كان في مقام استعراض ، لذلك يريد التضليل على الناس بالايحاء بأنه أقربهم إلى الرسول صلى الله عليه وآله ، وبذلك فهو أحق بالخلافة.

فدنا موسى بن جعفر عليه السلام فقال : السلام عليك ، يا أبة. وزاد في رواية أخرى : أسأل الله الذي اصطفاك واجتياك وهداك وهدى بك أن يصلي عليك. فتغير وجه هارون وتبين فيه الغضب ، وقال : هذا الفخر يا أبا الحسن حقاً. ولم يَحتملها هارون ، فلم يزل ذلك في نفسه حتى استدعاه وسجنه فأطال سجنه فلم يخرج إلا ميتاً مقيداً مسموماً ^(١).

ثالثاً — الوشاية :

ذكر المؤرخون عدة ممن وشوا بالامام عند هارون ليزدادوا قرباً إليه وينالوا من حطام دنياه ، بدعوى قديمة جديدة هي أن الإمام عليه السلام تجبى له الأموال الطائلة من شتى ديار الإسلام ، وأنه يدعو إلى نفسه بالخلافة ويكتب إلى سائر الأمصار بذلك ، وأن الناس يبايعون له ، وما إلى ذلك من البهتان الذي أُعد سلفاً قبل حمل الإمام عليه السلام إلى العراق ، وقد تعاون جماعة من رجال البلاط على اختلاق تلك التهم وبدلوا الأموال الطائلة في سبيل اغراء بعض الجماعات المقربة من الإمام عليه السلام كي توقع به وتدلي بدلوها أمام الرشيد ، ومع أن الأخير قد ثبت لديه بالدليل بطلان ما يقولون لكنه كان مصراً على تنفيذ مآربه إلى النهاية.

(١) تاريخ بغداد ١٣ : ٣١ ، وفيات الأعيان ٥ : ٣٠٩ ، سير أعلام النبلاء ٦ : ٢٧٣ ، البداية والنهاية ١٠ : ١٩٧ ، اعلام الورى ٢ : ٢٨ ، كامل الزيارات : ١٨ ، الكافي ٤ : ٥٥٣ / ٨ ، تمذيب الأحكام ٦ : ٦ / ٣ ، اسعاف الراغبين / ابن الصبان : ٢٤٨ ، الصواعق المحرقة : ٢٠٢ .

من الذين وشوا بالإمام عليه السلام ؟ :

١ - علي بن إسماعيل بن جعفر :

ذكرت بعض الأخبار أن علي بن إسماعيل ابن الإمام جعفر الصادق عليه السلام كان قد سعى بعمه ، وسبب ذلك أن الرشيد وضع ابنه محمد الأمين في حجر جعفر ابن محمد بن الأشعث ، فحسده يحيى بن خالد بن برمك خوفاً من أن يخسر موقعه بعد أن يفرض الأمر إلى الأمين وابن الأشعث ، وكان مذهب جعفر بن الأشعث التشيع ، فأظهر له يحيى أنه على مذهبه ، وأفضى إليه جعفر بجميع أموره ، فسعى به إلى هارون وزاد عليه بما يقدر في قلبه ، فذكر أنه لا يصل إلى ابن الأشعث مال من الخراج إلا أخرج خمسه فوجه به إلى موسى بن جعفر عليه السلام ، وكان هارون يكذب ذلك بعد الاختبار والتجربة ، وجعل يحيى يمتال في اسقاط ابن الأشعث ، فطلب من ثقاته رجلاً من آل أبي طالب له رغبة في الدنيا ، فدل علي بن إسماعيل بن جعفر ، فوعده يحيى بمزيد من الاحسان ، وقرر الخروج إلى العراق ، فأحس به الإمام موسى عليه السلام فاعترض عليه ، فاعتذر بأن عليه ديناً ، ووعد الإمام عليه السلام بقضاء دينه وكفاية عياله ، فلم يلتفت إلى ذلك ، وأبى إلا الخروج ، فأرسل إليه ثلاثمائة دينار وأربعة آلاف درهم ، فقال : « اجعل هذا في جهازك ، ولا تؤتم ولدي .

فلما قام من بين يديه قال أبو الحسن موسى عليه السلام لمن حضره : والله ليسعين في دمي ، ويؤمن أولادي . فقالوا له : جعلنا الله فداك ، فأنت تعلم هذا من حاله وتعطيه وتصله ! قال لهم : نعم ، حدثني أبي ، عن آبائه ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : أن الرحم اذا قطعت فوصلت فقطعت قطعها الله ، وانني أردت أن أصله بعد قطعه لي ، حتى اذا قطعني قطعه الله .

فخرج علي بن إسماعيل حتى أتى يحيى بن خالد ، ثم أوصله يحيى إلى

هارون ، فسأله عن عمه موسى بن جعفر ، فسعى به إليه ، وقال له : ان الأموال تحمل إليه من المشرق والمغرب ، وان من كثرة المال عنده أنه اشترى ضيعة تسمى اليسيرة بثلاثين ألف دينار. وذكر هارون أنه يجتمع على باب عمه من الناس أكثر مما يجتمع على باب هارون لعنه الله ، فأمر له بمائتي ألف درهم وولاه على بعض النواحي ، ومضت رسله لقبض المال ، فدخل إلى الخلاء فزحر زحرة خرجت منها حشوته كلها فسقط لوجهه ، واجتهدوا في ردها فلم يقدروا ، فوقع لما به ^(١) ، فجاءه المال وهو يترع ، فقال : ما أصنع به وأنا في الموت ؟ ومات ولم ينتفع بالمال ، وخرج الرشيد في تلك السنة إلى الحج ، وبدأ بالمدينة فقبض فيها على أبي الحسن موسى عليه السلام « ^(٢) ».

٢ — محمد بن اسماعيل بن جعفر :

وفي رواية أن الذي وشى بالامام عليه السلام هو محمد بن اسماعيل ابن الإمام جعفر الصادق عليه السلام ، في قصة مشابهة لما تقدم ، رواها علي بن جعفر بن محمد ، وفيها أن محمد بن اسماعيل بن جعفر استأذن الإمام الكاظم عليه السلام في الخروج إلى العراق فأذن له ، وقال له : « أوصيك أن تتقي الله في دمي. فقال : لعن الله من يسعى في دمك. ثم ناوله أبو الحسن عليه السلام (٤٥٠) ديناراً فقبضها محمد ، ثم أمر له بألف وخمسمائة درهم كانت عنده ، فقلت له في ذلك واستكثرتة ، فقال : هذا ليكون أوكد لحجتي اذا قطعتي ووصلته.

قال : فخرج إلى العراق ، واستأذن على هارون فأمر بدخوله ، وقال : يا أمير المؤمنين ، خليفتان في الأرض ، موسى بن جعفر بالمدينة يجيى له الخراج ،

(١) أي ان حالته حالة الموت.

(٢) عيون أخبار الرضا ١ : ٦٩ / ١ ، الارشاد ٢ : ٢٣٨ ، مقاتل الطالبين : ٣٣٣ ، روضة الواعظين : ٢١٨ ، التتمة في تواريخ الأئمة عليهم السلام : ١١٣ .

وأنت بالعراق يجيى لك الخراج. فقال : والله. فقال : والله. قال : فأمر له بمائة ألف درهم ، فلما قبضها وحملت إلى منزله أخذته الذبحة في جوف ليلته فمات ، وحُوِّل من الغد المال الذي حمل إليه إلى الرشيد «^(١).

وقال ابن شهر آشوب : « كان محمد بن اسماعيل بن الصادق عليه السلام عند عمه موسى الكاظم عليه السلام يكتب له الكتب إلى شيعته في الآفاق ، فلما ورد هارون الحجاز سعى بعمه إلى هارون ، فقال : أما علمت أن في الأرض خليفتين يجيى اليهما الخراج ؟ فقال الرشيد : ويلك أنا ومن ؟ قال : موسى بن جعفر ، وأظهر أسراره ، فقبض عليه ، وحظي محمد عند هارون ، ودعا عليه موسى الكاظم عليه السلام بدعاء استجاب الله فيه وفي أولاده «^(٢).

٣ — محمد بن جعفر الصادق عليه السلام :

وفي بعض الروايات أن محمد بن الإمام جعفر الصادق عليه السلام هو الذي وشى بالامام الكاظم عليه السلام ، عن علي بن جعفر ، قال : « جاءني محمد بن اسماعيل بن جعفر ، وذكر لي أن محمد بن جعفر دخل على هارون الرشيد فسلم عليه بالخلافة ، ثم قال له : ما ظننت أن في الأرض خليفتين حتى رأيت أخي موسى ابن جعفر يسلم عليه بالخلافة »^(٣).

ويبدو أنه محمد بن اسماعيل بن جعفر المتقدم إلا أنه منسوب إلى الجد ، لأن محمد بن جعفر كان معروفاً بالفضل والتقوى ، وكان مخالفاً لبني العباس ، وقد خرج أيام المأمون ، وتسمّى بأمر المؤمنين في سنة (١٩٩ هـ).

٤ — يعقوب بن داود :

وروي أن يعقوب بن داود كان ممن سعى بالامام الكاظم عليه السلام ، وكان يرى

(١) رجال الكشي : ٢٦٣ / ٤٧٨ .

(٢) مناقب آل أبي طالب ٣ : ٤٤٠ .

(٣) عيون أخبار الرضا ١ : ٧٢ / ٢ .

الفصل الثاني : السلطة والإمام عليه السلام ٦٩
رأي الزيدية ^(١).

رابعاً — مناظرة الرشيد في مسألة فدك :

كان الإمام الكاظم عليه السلام قد ذكر قضية فدك في مجلس المهدي بأسلوب المطالب ، ويعيد طرحها هنا لكن باكراه والحاح من الحاكم ، ومهما تكن الظروف المحيطة بالامام عليه السلام فان المؤدّى واحداً ، هو أن فدك رمز لحقّ مغتصب وخلافة مسلووبة ، لأن الكاظم عليه السلام ذكر بلدان الخلافة العباسية عند تحديدها ، ولا ريب أن صاحب الحق فيها هو عليه السلام ، والرشيد يدرك ذلك تماماً.

روى المؤرخون أن هارون الرشيد كان يقول لموسى بن جعفر عليه السلام : « حدّ فدكاً حتى أردّها اليك ، فيأبى حتى ألح عليه ، فقال : لا آخذها إلاّ بمحدودها ، قال : وما حدودها ؟ قال : إن حدّتها لم تردّها ؟ قال : بحق جدك إلاّ فعلت ، قال : أما الحد الأول فعدن ، فتغير وجه الرشيد ، وقال : إيهاً ، قال : والحد الثاني سمرقند ، فاربّد وجهه ، والحد الثالث افريقية ، فاسودّ وجهه ، وقال : هيه ، قال : والرابع سيف البحر ما يلي الجزر وأرمينية ، قال الرشيد : فلم يبقَ لنا شيء ، فتحول إلى مجلسي . قال موسى عليه السلام : قد أعلمتك أنني إن حدّتها لم تردّها ، فعند ذلك عزم على قتله .»

وفي رواية : قال الرشيد : « هذا كله ، هذه الدنيا ! . فقال : هذا كان في أيدي اليهود فأفأه الله على رسوله بلا خيل ولا ركاب ، فأمره الله أن يدفعه إلى فاطمة عليها السلام » ^(٢).

خامساً — مناظرة هشام :

وروي أن السبب الذي يمكن أن يضاف إلى باقي الأسباب ، هو مناظرة

(١) عيون أخبار الرضا ١ : ٧٢ .

(٢) ربيع الأبرار / الزمخشري ١ : ٣١٦ ، المناقب / ابن شهر آشوب ٣ : ٤٣٤ .

اضطروا فيها هشام بن الحكم إلى الافصاح عن رأيه ، روى ذلك الكشي عن يونس بن عبد الرحمن ذكر فيه أن يحيى بن خالد البرمكي قد وجد على هشام ابن الحكم شيئاً من طعنه على الفلاسفة ، وأحب أن يغري به هارون ، فذكر لهارون أن هشاماً يزعم أن لله في أرضه اماماً مفروض الطاعة ، وأنه لو أمره بالخروج لخرج ، فاحتال هارون بعقد مجلس جمع فيه المتكلمين ، وجعل يسمع هو من وراء الستر لثلاثا يفتنوا به ، فشحن يحيى المجلس بالمتكلمين ، وكان منهم ضرار بن عمرو ، وسليمان بن جرير ، وعبد الله بن يزيد الاباضي ، ورأس الجالوت وغيرهم ، فتساءلوا فتكافؤوا وتناظروا وتقاطعوا ، وأخيراً تراضوا بهشام حكماً بينهم ، فأتوا به فابتدعوا الكلام في فساد اختيار الناس الإمام ، فسأل سليمان بن جرير هشاماً عن علي بن أبي طالب عليه السلام مفروض الطاعة ؟ فقال هشام : نعم ، قال : فإن أمرك الذي بعده بالخروج بالسيف معه تفعل وتطيعه ؟ فقال هشام : لا يأمرني ، قال : ولم اذا كانت طاعته مفروضة عليك ، وعليك أن تطيعه ؟ فقال هشام : عد عن هذا فقد تبين فيه الجواب. إلى أن قال سليمان : ليس أسألك إلا على سبيل سلطان الجدل ، ليس على الواجب انه لا يأمرك. فقال هشام : كم تحوم حول الحمى ! هل هو إلا أن أقول لك إن أمرني فعلت ، فتنقطع أقبح الانقطاع ، ولا يكون عندك زيادة ، وأنا أعلم بما يجب قولي ، وما إليه يؤول جوابي. قال : فتغير وجه هارون وقال : قد أفصح ، قال : فبلغنا أن هارون قال ليحيى : شد يدك بهذا وأصحابه ، وبعث إلى أبي الحسن موسى عليه السلام فحبسه ، فكان هذا سبب حبسه مع غيره من الأسباب ^(١) ، فعاش هشام متوارياً.

الإمام يرد التهم :

وتتعلم من الإمام الكاظم عليه السلام درساً في الدفاع عن الحق ودفع التهم التي

(١) اختيار معرفة الرجال / الطوسي ٢ : ٥٣٠ / ٤٧٧.

يلصقها أعداء الدين بالعقيدة الحقّة وأهلها ، لقد دفع الإمام عليه السلام التهم عن نفسه إلى الحد الذي أقنع رأس السلطة بخلو ساحته من أيّ تهمة ألصقت به أو أعدت له ، وعدم وجود أي نشاط مريب ضده ، لكن الرشيد كان مصراً على المضي في مخططة القاضي بتصفية الإمام إلى نهايته .

روى محمد بن الزبرقان الدامغاني ، عن أبي الحسن موسى بن جعفر عليه السلام قال : « لما أمر هارون الرشيد بجملي ، دخلت عليه فسلمت ورأيتُه مغضباً ، فرمى إليّ بطومار فقال : اقرأه ، فإذا فيه كلام ، قد علم الله عزوجل براءتي منه ، وفيه أن موسى بن جعفر يجي إليه خراج الآفاق من غلاة الشيعة إلى أن قال : قلت : يا أمير المؤمنين ، والذي بعث محمداً صلى الله عليه وآله بالنبوة ما حمل إليّ أحد درهماً ولا ديناراً من طريق الخراج ، لكننا معاشر آل أبي طالب نقبل الهدية التي أحلها الله عزوجل لنبيه صلى الله عليه وآله في قوله : لو اهدي لي كراع لقبلت ، ولو دعيت إلى ذراع لأجبت . وقد علم أمير المؤمنين ضيق ما نحن فيه ، وكثرة عدونا ، وما معنا السلف من الخمس الذي نطق لنا به الكتاب ، فضاق بنا الأمر ، وحرمت علينا الصدقة ، وعوضنا الله عزوجل عنها الخمس ، واضطرونا إلى قبول الهدية ، وكل ذلك مما علمه أمير المؤمنين . فلما تم كلامي سكت . ثم قلت : إن رأى أمير المؤمنين أن يأذن لابن عمه في حديث عن آبائه ، عن النبي صلى الله عليه وآله فكانه اغتنمها ، فقال : مأذون لك ، هاته ! فقلت : حدثني أبي ، عن جدي يرفعه إلى النبي صلى الله عليه وآله : أن الرحم اذا مست رحماً تحركت واضطربت . فان رأيت أن تناولني يدك ، فأشار بيده إليّ ، ثم قال : ادن ، فدنوت فصافحني وجذبني إلى نفسه ملياً ، ثم فارقتي وقد دمعت عيناه ، فقال لي : اجلس يا موسى ، فليس عليك بأس ، صدقت وصدق جدك وصدق النبي صلى الله عليه وآله ، لقد تحرك دمي ، واضطربت عروقي ،

وأعلم أنك لحمي ودمي ، وأن الذي حدثني به صحيح» ^(١).

وفي حديث آخر عنه عليه السلام أن الرشيد قال : « يا موسى ، خليفتيين يجيئ اليهما الخراج؟! فقلت : يا أمير المؤمنين ، اعينك بالله أن تبوء باثمي واثمك ، وتقبل الباطل من أعدائنا علينا ، فقد علمت أنه قد كذب علينا منذ قبض رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بما علم ذلك عندك» ^(٢) إلى آخر الحديث المتقدم.

المبحث الثاني

مواقف الإمام عليه السلام إزاء تصرفات السلطة

كان الإمام الكاظم عليه السلام يدرك حرجة الموقف الذي مر به وهو في تباشير إمامته ، فكان من جانب ملزماً باتباع أسلوب الحذر والكتمان من إبداء أي نشاط يدل على إمامته لشدة طلب المنصور لصاحب الوصية من أهل البيت عليهم السلام بعد الإمام الصادق عليه السلام ، ومن جانب آخر كان ينبغي أن يقوم بما يتوجب عليه تجاه أصحابه باعتباره قائداً رسالياً ، سيما وأن بعض الشيعة قد قال بإمامة غيره ، لكنه استطاع التوفيق بين الأمرين عن طريق التصريح بالوصية لخاصته وخلص أصحابه ريثما تتوفر الفرصة المناسبة لذلك ، ولعل من إفرازات تلك المرحلة أن الرواة من خالص أصحابه كانوا لا يسندون الحديث إليه بصريح اسمه حفظاً له وتقية من الظلم المسلط في ذلك العهد ، بل يكون عنه بالعبد الصالح والعالم والسيد والرجل والماضي ، تعمية على رجال السلطة. ولم يشترك الإمام عليه السلام في الميادين السياسية بل كان منقطعاً إلى العلم والعبادة والزهد ، ولم ينضم إلى الثوار من الطالبيين ، لعلمه المسبق بمصير الثورة ، ولأنه لم يكن في

(١) الاختصاص : ٤٨ .

(٢) عيون أخبار الرضا : ١ / ٨١ / ٩ .

موقع المقاومة المسلحة للسلطة لعدم توفر عناصر القوة على مواجهة الحكم بالرفض الصريح والعمل الثوري من أجل إقامة دولة العدل ، وهناك مصالح أخرى يقدرها الإمام عليه السلام ويحسب حسابها ، ومع كل ذلك كان مبعث رعب وقلق في نفوس الحاكمين من بني العباس ، فأفقدوه حريته وجعلوه مفرداً غريباً وبالتالي تأمروا على حياته.

وفيما يلي نذكر مواقف الإمام عليه السلام من جملة الأمور الأخرى التي تمهه وتتطلب تدخله ، سواء ما يخص رجال السلطة أو أصحابه وشيعته أو ساجنيه.

١ - موقفه في السجن :

السجن في عرف الإمام عليه السلام هو ابتلاء ينقضي مثلما ينقضي الرخاء ، لكن هناك يوم طويل أعده الله للمقاصّة من الطغاة الظالمين ، ذلك هو فحوى رسالته التي بعثها الإمام عليه السلام من السجن إلى هارون لما طال سجنه ، ونصها : « إنه لن ينقضي عني يوم من البلاء إلاّ انقضى عنك معه يوم من الرخاء حتى نقضي جميعاً إلى يوم ليس له انقضاء يخسر فيه المبطلون »^(١).

والسجن عند الإمام الكاظم عليه السلام مدرسة للعبادة والطاعة والصبر يسخرها الإنسان العارف لبلوغ مدارج الكمال ، ويتعلم فيها ويعلم العزم الثابت والإرادة الصلبة والتصميم الراسخ على تحمّل الأزمات ، فصبر راضياً بما قضاه الله حتى سمي الكاظم لما تحمّل من صعاب وما كظم من غيظ عما فعله الظالمون به.

كان عليه السلام في السجن سيد الصابرين وإمام العابدين الذي يشكر خالقه لأنه حقق مراده وفرّغه لعبادته والانقطاع لطاعته بقوله : « اللهم إنك تعلم أني كنت

(١) البداية والنهاية ١٠ : ١٩٧ ، تاريخ بغداد ١٣ : ٣٣ ، نور الأبصار / الشبلنجي : ٢٠٤ ، إسعاف الراغبين / ابن الصبان : ٢٤٨ ، تذكرة الخواص : ٣٦٠ ، الفصول المهمة : ٢٢٢ ، الكامل في التاريخ ٦ : ١٦٤ ، سير أعلام النبلاء ٦ : ٢٧٣ .

الإمام الكاظم عليه السلام سيرة وتاريخ ٧٤

أسألك أن تفرغني لعبادتك ، اللهم وقد فعلت ، فلك الحمد » ^(١). من هنا كان عليه السلام يحيي الليل كله صلاة وقراءة للقرآن ودعاء ، ويصوم النهار في أكثر الأيام.

لقد واجه الإمام الكاظم عليه السلام السجن بروح ملؤها الصبر والإصرار والتحدّي ، فلم يهن ولم تلن له قناة ، بل بقي في موقع القوة والصلابة والعنفوان والإخلاص لله ولرسوله وللإسلام والأمة ، كما لم يخطر بباله أن يظهر الإذعان والخضوع إلى السلطان الجائر كي يستدرّ عطفه وشفقته ، فقد قيل له عليه السلام وهو في الحبس : « لو كتبت إلى فلان يكلم فيك الرشيد ؟ فقال : حدثني أبي عن آبائه : أن الله عزوجل أوحى إلى داود : يا داود ، إنه ما اعتصم عبد من عبادي بأحد من خلقي دوني... إلا وقطعت عنه أسباب السماء ، وأسخت الأرض من تحته » ^(٢).

٢ — موقفه من الرشيد :

تفاوت مواقف الإمام الكاظم عليه السلام من الرشيد بحسب المقام الذي يمليه عليه ، فقد يواجهه بالموعظة الحسنة أحياناً.

عن إسماعيل بن بشر بن عمّار ، قال : « كتب هارون الرشيد إلى أبي الحسن موسى بن جعفر عليه السلام : عِظني وأوجز. قال : فكتب إليه : ما من شيءٍ تراه عينك إلا وفيه موعظةٌ » ^(٣).

وعن عبدالعظيم الحسيني ، عن محمد بن علي ، عن أبيه ، قال : « دخل موسى ابن جعفر عليه السلام على هارون الرشيد ، وقد استخفه الغضب على رجلٍ ، فقال له :

(١) الإرشاد ٢ : ٢٤٠ ، الفصول المهمة : ٢٢٠.

(٢) تاريخ اليعقوبي ٢ : ٤١٤.

(٣) أمالي الصدوق : ٥٩٩ / ٨٢٩.

أثما تغضب لله عزوجل ، فلا تغضب له بأكثر مما غضب لنفسه » ^(١).

وقال الرشيد لموسى بن جعفر عليه السلام : « اني قاتلك ! فقال : لا تفعل ، فياني سمعت أبي يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : إن العبد يكون واصلاً لرحمه وقد بقي من أجله ثلاث سنين فيمدها الله له حتى ثلاثين سنة ، ويكون العبد قاطعاً لرحمه وقد بقي من أجله ثلاثون سنة فيصيرها الله حتى يجعلها ثلاث سنين » ^(٢).

وقد تكون المواجهة أشد وأكثر وقعاً ، كما في المناظرات التي ردّ فيها الإمام عليه السلام شبهات الرشيد المتعلقة بالامامة وحقوق أهل البيت عليهم السلام ، وانتسأهم إلى جدّهم المصطفى صلى الله عليه وآله ، وفضلهم على بني العباس. ومنها ما رواه هاني بن محمد بن محمود ، عن أبيه ، رفعه إلى موسى بن جعفر عليه السلام أنه قال : « دخلت على الرشيد فقال لي : لِمَ جوزتم للعامة والخاصة أن ينسبوكم إلى رسول الله صلى الله عليه وآله ويقولون لكم : يا بني رسول الله ، وأنتم بنو علي ، وإنما ينسب المرء إلى أبيه ، وفاطمة إنما هي وعاء ، والنبي جدكم من قبل أمكم ؟

فقلت : يا أمير المؤمنين ، لو أن النبي صلى الله عليه وآله نشر فخطب إليك كريمتك ، هل كنت تجيبه ؟ فقال : سبحان الله ! ولم لا أجيبه ؟ بل أفتخر على العرب والعجم وقريش بذلك. فقلت : لكنه صلى الله عليه وآله لا يخطب إلي ولا أزوجه. فقال : ولم ؟ فقلت : لأنّه ولدني ولم يلدك. فقال : أحسنت يا موسى.

ثم قال : كيف قلتم : إنا ذرية النبي صلى الله عليه وآله ، والنبي لم يعقب ، وإنما العقب للذكر لا للإنثى ، أنتم ولد البنات ، ولا يكون لها عقب ؟

فقلت : أسألك بحق القرابة والقبر ومن فيه إلا ما أعفيتني عن هذه المسألة. فقال : لا أو تخبرني بحجتكم فيه يا ولد علي ، وأنت يا موسى

(١) أمالي الصدوق : ٧١ / ٣٩ ، عيون أخبار الرضا : ١ / ٢٩٢ / ٤٤ .

(٢) ربيع الأبرار / الزمخشري ٣ : ٥٥٣ .

يعسوبهم وإمام زمانهم ، كذا أُنهي إليّ ، ولست أعفيك في كل ما أسألك عنه ، حتى تأتيني فيه بحجة من كتاب الله تعالى ، وأنتم تدعون معشر ولد علي أنه لا يسقط عنكم منه شيء ألف ولا واو إلاّ وتأويله عندهم ، واحتججتم بقوله عزوجل : ﴿ مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ﴾ ^(١) وقد استغفيتم عن رأي العلماء وقياسهم .

فقلت : تأذن لي في الجواب ؟ فقال : هات ! فقلت : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ ﴾ ^(٢) من أبو عيسى يا أمير المؤمنين ؟ فقال : ليس لعيسى أب . فقلت : انما ألحقناه بذراري الأنبياء عليهم السلام من طريق مريم عليها السلام ، وكذلك ألحقنا بذراري النبي صلى الله عليه وآله من قبل أمنا فاطمة عليها السلام .

أزيدك يا أمير المؤمنين ؟ قال : هات ! قلت : قول الله عزوجل : ﴿ فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ ﴾ ^(٣) ولم يدع أحد أنه أدخل النبي صلى الله عليه وآله تحت الكساء عند مباهلة النصارى إلاّ علي بن أبي طالب وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام ، فكان تأويل قوله عزوجل : ﴿ أَبْنَاءَنَا ﴾ الحسن والحسين عليهم السلام ﴿ وَنِسَاءَنَا ﴾ فاطمة عليها السلام ﴿ وَأَنْفُسَنَا ﴾ علي بن أبي طالب عليه السلام « ^(٤) .

ونجد الإمام عليه السلام أكثر صلابة وأشدّ تحدياً للرشيد وبطانته في حادثة

(١) سورة الأنعام : ٦ / ٣٨ .

(٢) سورة الأنعام : ٦ / ٨٤ — ٨٥ .

(٣) سورة آل عمران : ٣ / ٦١ .

(٤) عيون أخبار الرضا : ١ : ٨٣ .

افتخاره عليه السلام على هارون ، حين جاء قبر النبي صلى الله عليه وآله زائراً له وحوله قريش وسائر القبائل ، فلما انتهى إلى القبر قال : « السلام عليك يا رسول الله يا بن عمي ، فدنا موسى بن جعفر عليه السلام فقال : السلام عليك يا أبه » ^(١).

ومثلها أيضاً أن الرشيد لما حج لقيه موسى بن جعفر عليه السلام على بغلة ، فقال له الفضل بن الربيع : « ما هذه الدابة التي تلقيت عليها أمير المؤمنين ؟ فأنت إن طلبت عليها لم تدرك ، وإن طلبت لم تفت. قال : إنها تطأطأت عن خيلاء الخيل ، وارتفعت عن ذلة العير ، وخير الأمور أوسطها » ^(٢). فإنما يتلقى الناس الخليفة على الخيل أو الابل الفارهة وليس على البغال ، لكن الإمام عليه السلام يريد أن يؤكد حقيقة أن أولى الناس بالتواضع هو خليفة المسلمين ، وعليه أن يتحلى بأوسط الأمور ويأمر الناس بما ، لأن التواضع خصلة كريمة ، والافراط بما يعني الخيلاء والتكبر ، والتفريط بما يعني الذلة والخنوع ، وهو هنا يقدم مثلاً رائعاً في الزهد والتواضع والترفع عن مظاهر الترف الزائلة.

٣ — مقاطعة الدولة :

اتخذ الإمام الكاظم عليه السلام ومن قبله آباؤه الميامين عليهم السلام موقفاً حازماً تجاه السلطات الحاكمة ، يتمثل في دعوة أصحابه إلى مقاطعتها وعدم الركون إليها ، والتحذير من شتى أنواع التعاون معها ، وتحريم الانضواء في أجهزتها إلا في حالات خاصة ، وصرح الإمام عليه السلام بهذا الموقف لصفوان بن مهران الجمال وغيره من أصحابه ، قال صفوان : « دخلت على أبي الحسن الأول عليه السلام فقال لي : يا صفوان ، كل شيء منك حسن جميل ما خلا شيئاً واحداً. قلت : جعلت فداك ، أي شيء ؟ قال : اكراؤك جمالك من هذا الرجل — يعني هارون — قال :

(١) تاريخ بغداد ١٣ : ٣١ .

(٢) مقاتل الطالبين : ٣٣٣ ، مناقب آل أبي طالب ٣ : ٤٣٣ ، اعلام الوری ٢ : ٢٧ .

والله ما أكرتته أشراً ولا بطراً ولا للصيد ولا للهو ، ولكنتي أكرتته لهذا الطريق — يعني طريق مكة — ولا أتولاه بنفسي ، ولكن أبعث معه غلماني. فقال لي : يا صفوان ، أيقع كراؤك عليهم ؟ قلت : نعم ، جعلت فداك. قال : فقال لي : أتخبّ بقاءهم حتى يخرج كراؤك ؟ قلت : نعم ، قال : من أحبّ بقاءهم فهو منهم ، ومن كان منهم كان ورد النار. قال صفوان : فذهبت فبععت جمالي عن آخرها ... » ^(١).

وعن زياد بن أبي سلمة قال : « دخلت على أبي الحسن موسى عليه السلام فقال لي : يا زياد ، أنك لتعمل عمل السلطان ؟ قال : قلت : أجل. قال لي : ولم ؟ قلت : أنا رجل لي مروءة وعليّ عيال وليس وراء ظهري شيء. فقال لي : يا زياد ، لئن أسقط من حالك فأتقطع قطعة أحبّ إليّ من أن أتولّي لأحدٍ منهم عملاً أو أطأ بساط رجلٍ منهم ، إلّا لماذا ؟ قلت : لا أدري جعلت فداك. قال : إلّا لتفريج كربة عن مؤمن ، أو فك أسره ، أو قضاء دينه. يا زياد ، إنّ أهون ما يصنع الله جل وعز بمن تولّي لهم عملاً أن يضرب عليه سرادق من نار إلى أن يفرغ من حساب الخلائق. يا زياد ، فإن وليت شيئاً من أعمالهم فأحسن إلى إخوانك فواحدة بواحدة ، والله من وراء ذلك » ^(٢).

أسباب هذا الموقف :

يمكن أن نوعز الأسباب التي أدت إلى اتخاذ هكذا موقف من قبل الإمام الكاظم عليه السلام وأبائه المعصومين إلى ما يلي :

أولاً : إنّ السلطات المعاصرة للأئمة عليهم السلام قد أمعنت في إقصائهم عن قيادة الأمة ، وعن أداء دورهم الرسالي الذي جعله الله تعالى حقاً لهم ، ومارست

(١) رجال الكشي : ٤٤٠ / ٨٢٨.

(٢) الكافي ٥ : ١٠٩ / ١ ، التهذيب ٦ : ٣٣٣ / ٩٢٤.

معهم شتى أساليب الظلم والجور والقتل والسجن وغيرها مما هو ثابت في صفحات التاريخ ، من هنا فإنّ التعاون مع تلك السلطات هو تعبير عن حالة الرضا عن ذلك الموقف ، وعن ممارسات الظلم التي يعاني منها غالبية الناس ، فلو لم يجد الحاكمون من يعينهم على ظلمهم وتعسفهم لما تمادوا إلى هذا الحدّ.

ثانياً : إنّ السلطة تعتبر كياناً قائماً على الظلم والجور وبعيداً عن المنهج الإسلامي الأصيل في ممارسة الإدارة والحكم وعن أبسط مبادئ الإسلام السامية وعقيدته السمحاء ، وعليه فإنّ العمل في أجهزتها يعبر عن الإقرار بشرعيتها والاعتراف بأحقية ممارستها.

ثالثاً : إنّ هذا الموقف هو بمثابة دعوة صريحة للأمة إلى الانفتاح على مبادئها الرسالية وتوعيتها على واقع الظلم والفساد الذي يعيشه الحكم بسبب السلوك الهزيل الذي تبناه الحاكمون في قيادة مسيرة الأمة.

استثناءات :

إلى جانب هذا الموقف نجد الإمام الكاظم عليه السلام أجاز في حالات استثنائية لبعض شيعته ممارسة العمل في أجهزة الدولة ، فكان من بين الذين زاولوا عمل السلطان أحد أصحابه الكبار وهو علي بن يقطين الذي تولّى ديوان الأرمّة^(١) أيام المهدي ، ومنصب الوزارة أيام هارون ، وأقره الإمام الكاظم عليه السلام . وعبد الله ابن سنان الكوفي ، وكان خازناً للمنصور والمهدي والهادي والرشيد ، وهو ثقة جليل لا يطعن عليه في شيء^(٢) .

وقد أجاز عليه السلام ذلك لمصالح وأسباب خاصة ، منها إرساء قواعد الحقّ

(١) وهو ديوان استحدثه عمر بن يزيد أيام المهدي لضبط الدواوين المتعددة وتولاه بعده علي بن يقطين. تاريخ الطبري ٨ : ١٦٧ ، أحداث سنة (١٦٨ هـ).

(٢) رجال النجاشي : ٢١٤ ، خلاصة العلامة : ١٩٢ .

الإمام الكاظم عليه السلام سيرة وتاريخ ٨٠

والعدل ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والمشاركة في دفع الظلم والجور عن كاهل الأبرياء من المؤمنين ، والإحسان إليهم وقضاء حوائجهم ، وتفريج الكرب عنهم ، وفك أسرهم كما هو مضمون حديث زياد بن أبي سلمة المتقدم.

وقال الإمام الكاظم عليه السلام : « إن قوماً يصحبون السلطان يتخذهم المؤمنون كهوفاً ، فهم الآمنون يوم القيامة ، إن كنت لأرى فلاناً منهم »^(١).
والمراد بفلان هو علي بن يقطين ، لكنه كنى عنه تقيّة عليه.

وعن علي بن يقطين قال : « قال لي أبو الحسن موسى بن جعفر عليه السلام : إن الله تبارك وتعالى مع السلطان أولياء يدفع بهم عن أوليائه »^(٢).

وقد طلب ابن يقطين من الإمام عليه السلام الإذن في ترك منصبه ، فلم يأذن له ، وأجابه : « لا تفعل ، فإن لنا بك أنساً ، ولاخوانك بك عزاً ، وعسى أن يجبر بك كسراً ، ويكسر بك نائرة المخالفين عن أوليائه. يا علي ، كفارة أعمالكم الإحسان إلى إخوانكم ، اضمن لي واحدة وأضمن لك ثلاثة ، اضمن لي أن لا تلقى أحداً من أوليائنا إلاّ قضيت حاجته وأكرمته ، وأضمن لك أن لا يظلك سقف سجن أبداً ، ولا ينالك حد سيف أبداً ، ولا يدخل الفقر بيتك أبداً. يا علي ، من سرّ مؤمناً فبالله بدأ ، وبالنبي صلى الله عليه وآله ثنى ، وبنا ثلث »^(٣).

٤ — موقفه من أصحابه ومواليه :

يؤكد الإمام عليه السلام على ضرورة تعزيز مبدأ الأخوة الإيمانية بين أصحابه ، ويسهم في دعمهم وقضاء حوائجهم وتحذيرهم من الفتن ، ودفعهم باتجاه التغذي بمائدة العلم والمعرفة.

(١) تاريخ اليعقوبي ٢ : ٤١٤ .

(٢) من لا يحضره الفقيه ٣ : ١٠٨ / ٤٥١ ، الكافي ٥ : ١١٢ / ٧ .

(٣) كتاب قضاء حقوق المؤمنين / الصوري — منشور في مجلة تراثنا — العدد ٣

الصفحة ١٨٧ — الحديث ٢٥ .

أ - تأكيد مبدأ الإخوة :

حرص الإمام الكاظم عليه السلام على تربية أصحابه تربية دينية تعكس روح الإسلام ومبادئه ، وقد مارس الإمام عليه السلام دور التربية والتوجيه لإعداد الجماعة الصالحة والقاعدة المؤمنة بمرجعياته الفكرية والروحية.

عن إبراهيم بن هاشم ، قال : « رأيتُ عبد الله بن جندب بالموقف ، فلم أر موقفاً أحسن من موقفه ، ما زال ماداً يديه إلى السماء ودموعه تسيل على خديهِ حتّى تبلغ الأرض ، فلما صدر الناس قلت له : يا أبا محمد ، ما رأيتُ موقفاً أحسن من موقفك. قال : والله ما دعوت إلاّ لإخواني ، وذلك أنّ أبا الحسن موسى بن جعفر عليه السلام أخبرني أنّه من دعا لأخيه بظهر الغيب نُودي من العرش : ولك مائة ألف ضعف ، فكرهت أن أدع مائة ألف ضعف مضمونة لواحدة لا أدري تستجاب أم لا » ^(١).

كما أكد الإمام الكاظم عليه السلام على مبادئ الإخوة الإيمانية وإشاعة أجواء المحبة والنصيحة بعيداً عن الأنانية والاستتار والغش والغيبة والتهمة ، وذلك من خلال جملة تعاليم إنسانية وحضارية راقية أدلى بها لأصحابه.

عن عبد المؤمن الأنصاري قال : « دخلت على الكاظم عليه السلام وعنده محمد بن عبد الله الجعفي ، فتبسمت في وجهه ، فقال : أتجه ؟ فقلت : نعم ، وما أحببته إلاّ فيكم ، فقال : هو أخوك ، المؤمن أخو المؤمن لأبيه ولأمه ، ملعون من أتهم أخاه ، ملعون من غش أخاه ، ملعون ملعون من لم ينصح أخاه ، ملعون ملعون من استأثر على أخيه ، ملعون ملعون من احتجب عن أخيه ، ملعون ملعون من اغتاب أخاه » ^(٢).

(١) أمالي الصدوق : ٥٤٠ / ٧٢٣.

(٢) اعلام الدين / الديلمي : ١٢٥.

ويؤكد الإمام عليه السلام ضرورة السعي لقضاء حاجة المؤمن ومساعدته وإجارته مبيناً ثواب هذا العمل وعقاب من لا يلتزم بما يقتضيه.

عن علي بن جعفر ، عن أخيه أبي الحسن عليه السلام ، قال : « سمعته يقول : من قصد إليه رجل من إخوانه مستجيراً به في بعض أحواله فلم يجره ، بعد أن يقدر عليه ، فقد قطع ولاية الله عز وجل » ^(١).

وقال عليه السلام : « إن لله حسنة ادخرها لثلاثة : لإمام عادل ، ومؤمن حكم أخاه في ماله ، ومن سعى لأخيه المؤمن في حاجته » ^(٢).

وكان عليه السلام لا يقتصر على إصدار الأحكام القولية ، بل يسعى إلى ذلك من خلال سيرته العملية ، وخير دليل على ذلك أياديه البيضاء التي امتدت بالمساعدة إلى قطاعات واسعة من أبناء المجتمع آنذاك ، بحيث أنهم لا يعرفون من أين يأتيهم المال والطعام إلا بعد اعتقاله عليه السلام ، كما سعى بنفسه لقضاء حاجة إخوانه ، وغرس هذا المبدأ العظيم في نفوس أصحابه.

عن محمد بن سالم ، قال : « لما حمل سيدي موسى بن جعفر عليه السلام إلى هارون جاء إليه هشام بن إبراهيم العباسي ، فقال له : يا سيدي ، قد كتب لي صك إلى الفضل بن يونس ، فسله أن يروج أمري. قال : فركب إليه أبو الحسن عليه السلام فدخل عليه حاجبه ، فقال : يا سيدي ، أبو الحسن موسى بالباب ، فقال : إن كنت صادقاً فأنت حر ولك كذا وكذا ، فخرج الفضل بن يونس حافياً يعدو حتى خرج إليه فوقع على قدميه يقبلهما ، ثم سأله أن يدخل فدخل ، فقال له : اقض حاجة هشام بن إبراهيم ، فقضاها » ^(٣).

(١) الكافي ٢ : ٣٦٦ / ٤ .

(٢) الكافي ٢ : ١٩٦ / ١٣ .

(٣) اختيار معرفة الرجال : ٥٠ / ٩٥٧ .

وكان نتيجة جهود الإمام عليه السلام في هذا المضمار أن وجدنا في هذا الوقت رجالاً من أصحابه يقاسمون إخوانهم المال والثياب ديناراً ديناراً ودرهماً درهماً وثوباً ثوباً^(١) ، لأنه عليه السلام كان يتابع أعمالهم بدقة في هذا الاتجاه.

ب - تحذيرهم من الفتن :

كان الإمام الكاظم عليه السلام حريصاً على تحذير أصحابه مما يتعرضون له من دسائس للإطاحة بهم ، وذلك لتفويت الفرصة على رجال السلطة من أن ينالوا من أصحابه ، فقد بعث عبد الرحمن بن الحجاج إلى هشام بن الحكم ، يأمره أن يسكت عن الخوض في الكلام ، فكف هشام عن ذلك حتى مات المهدي العباسي^(٢) ، وذلك في أعقاب تشديد المهدي العباسي على أهل الأهواء من الزنادقة وغيرهم^(٣).

وحذر الإمام عليه السلام علي بن يقطين أكثر من مرة ، لكونه متهماً بالولاء للإمام عليه السلام ومعرضاً لأقوال الوشاة وما يختلقه رجال البلاط من اتهامات ، فحدث مرة أن الرشيد أهدى إليه ثياباً أكرمه بها ، وكان من حملتها دراعة خزّ سوداء موشاة بالذهب ، فأهدى علي بن يقطين الثياب ومعها الدراعة إلى الإمام الكاظم عليه السلام ، ولما وصلت إلى الإمام عليه السلام ردّ الدراعة إلى علي بن يقطين وأمره أن يحتفظ بها ، وبعد أيام سعى بعض الوشاة إلى الرشيد ، وذكر له أن ابن يقطين يعتقد بإمامة موسى بن جعفر ويحمل إليه خمس ماله ، وأنه قد حمل إليه الدراعة التي أكرمه بها ، فاستشاط الرشيد غيظاً ، فاستدعى علي بن يقطين وطلب منه إحضارها ، فلم يلبث أن جاء بها في سبط محتوم ووضع بين يدي الرشيد ، فنظر

(١) راجع الحديث في بحار الأنوار ٤٨ : ١٧٤ عن كتاب قضاء حقوق المؤمنين.

(٢) رجال الكشي : ٢٢٧ / ١٣١ .

(٣) بحار الأنوار ٤٨ : ١٩٦ .

إلى الدراعة كما هي ، فسكن غضبه وأمر أن يُضرب الساعي^(١).

وكتب علي بن يقطين إلى موسى بن جعفر عليه السلام : « اختلف في المسح على الرجلين ، فإن رأيت أن تكتب ما يكون عملي عليه فعلت .

فكتب أبو الحسن عليه السلام : الذي أمرك به أن تتمضمض ثلاثاً ، وتستنشق ثلاثاً ، وتغسل وجهك ثلاثاً ، وتخلل شعر لحيك ثلاثاً ، وتغسل يديك ثلاثاً ، وتمسح ظاهر اذنيك وباطنهما ، وتغسل رجلك ثلاثاً ، ولا تخالف ذلك إلى غيره ، فامتثل أمره وعمل عليه ، فقال الرشيد : أحب أن أستبرئ أمر علي بن يقطين فإنهم يقولون إنه رافضي والرافضة يخفون في الوضوء ، فلما دخل وقت الصلاة راقبه الرشيد بحيث يرى علي بن يقطين ولا يراه هو ، فتوضأ كما أمره الإمام عليه السلام ، فقام الرشيد وقال : كذب من زعم أنك رافضي ، فورد على علي ابن يقطين كتاب الإمام عليه السلام : توضأ من الآن كما أمر الله ، اغسل وجهك مرة فريضة والأخرى إسباً ، واغسل يديك من المرفقين كذلك ، وامسح مقدم رأسك وظاهر قدميك من فضل نداوة وضوئك ، فقد زال ما يخاف عليك »^(٢).

٥ — هداية الخلق :

هنا يسجل الإمام الكاظم عليه السلام موقفاً يمثل أحد أهم واجبات الأنبياء وأوصيائهم عليه السلام باعتبارهم قادة الرسالة والمعنيين بتبليغها ، لانقاذ من أغرهم

(١) روضة الواعظين / الفتال : ٢١٣ ، اعلام الورى : ٣٠٢ ، الخرائج والجرائح ١ : ٣٣٤ / ٢٥ ، الفصول المهمة / ابن الصباغ المالكي : ٢١٨ ، نور الأبصار / الشبلنجي : ٢٠١ .

(٢) اعلام الورى : ٢٩٣ ، مناقب آل أبي طالب ٤ : ٢٨٨ ، الثاقب في المناقب : ٤٥١ ، الخرائج والجرائح ١ : ٣٣٥ / ٢٦ .

الدنيا وإخراجهم من ظلمات الجهل والضلال إلى نور العلم وساحل الأمان ، من خلال التأثير بسيرتهم الصالحة وبكراماتهم التي حباها لهم الله ، أو من خلال الوعظ والإرشاد ، مما له بالغ الأثر في هداية واستبصار الكثيرين ، وقد سجلت لنا كتب الحديث والتاريخ بعض آثار الإمام الكاظم عليه السلام في دعوته إلى الإصلاح والإرشاد في أوساط الأمة المختلفة.

فعلى يده عليه السلام تاب بشر الحافي لأنه اجتاز على داره ببغداد ، فسمع الملاهي وأصوات الغناء والقصب تخرج من تلك الدار ، فخرجت جارية ويدها قمامة البقل فرمت بها في الدرب ، فقال لها : « يا جارية ، صاحب هذه الدار حرّ أم عبد ؟ ، فقالت : بل حر . فقال : صدقت ، لو كان عبداً خاف من مولاه . فلما دخلت قال مولاه وهو على مائدة السكر : ما أبطأك علينا ؟ فقالت : حدثني رجل بكذا وكذا ، فخرج حافياً حتى لقي مولانا الكاظم عليه السلام فتاب على يده » ^(١).

ولما انتقل الإمام عليه السلام إلى سجن السندي بن شاهك بأمر هارون ، تعرفت عليه أخت السندي وتأثرت بمديته وصلاحه وعبادته ، فكانت إذا نظرت إليه قالت : خاب قوم تعرضوا لهذا الرجل ^(٢) . فاعتنقت فكره ومذهبه ، ولعل من آثار ذلك أن أصبح كشاحم الشاعر حفيد السندي من أعلام الشيعة في عصره .

ونقل ابن شهر آشوب عن كتاب الأنوار : « أن هارون الرشيد أنفذ إلى موسى بن جعفر عليه السلام جارية حسيمة لها جمال ووضاءة لتخدمه في السجن ، فقال للخادم : قل له : ﴿ بَلْ أَنْتُمْ بِهَدْيَتِكُمْ تَفْرَحُونَ ﴾ ^(٣) لا حاجة لي في هذه ولا في أمثالها . قال : فاستطار هارون غضباً وقال : ارجع إليه وقل له : ليس

(١) منهاج الكرامة / العلامة الحلي : ٥٨ .

(٢) تاريخ بغداد ١٣ : ٣٢ ، تاريخ أبي الفداء ٢ : ١٥ .

(٣) سورة النمل : ٢٧ / ٣٦ .

الإمام الكاظم عليه السلام سيرة وتاريخ ٨٦

برضاك حبسناك ، ولا برضاك أخذناك. واترك الجارية عنده وانصرف ، قال : فمضى ورجع ، ثم قام هارون عن مجلسه ، وأنفذ الخادم إليه ليتفحص عن حالها ، فرآها ساجدة لربها لا ترفع رأسها ، تقول : قدوس ، سبحانك سبحانك ! فقال هارون : سحرها والله موسى بن جعفر بسحره عليّ بها ^(١).

وهدى إلى مذهب أهل البيت عليهم السلام الحسن بن عبد الله ، وهو رجل زاهد معني بدينه ، وذلك بعد أن طلب منه أن يتفقّه ويطلب الحديث عن فقهاء أهل المدينة ثم يعرض عليه الحديث ، ثم جاء فقرأه عليه فأسقطه كله ، ثم طلب منه أن يسلك سبيل المعرفة ، وعرفه ما يجب عليه معرفته من منهج أهل البيت عليهم السلام وما أوجب الله لهم ^(٢).

ودخل نفر من اليهود على الإمام الصادق عليه السلام ، وكان ولده الكاظم عليه السلام طفلاً في الخامسة من عمره ، فسألوا الإمام الكاظم عليه السلام عن الآيات التسع التي أوتيتها موسى بن عمران عليه السلام فذكرها لهم ، وسأله عما أعطي النبي صلى الله عليه وآله من الآيات التي نفت الشك عن قلوب من أرسل إليهم ، فعدد عليه السلام نحو ستاً وعشرين آية ودلالة من دلالات نبوة خاتم الأنبياء عليهم السلام ، فقالوا : نشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، وأنكم الأئمة القادة والحجج من عند الله على خلقه ، فوثب أبو عبد الله عليه السلام فقبل بين عينيه ، ثم كساهم أبو عبد الله عليه السلام ووهب لهم ، وانصرفوا مسلمين ^(٣).

وأسلم على يده كثير من رهبان النصارى منهم راهب شامي ومعه جماعة بعد أن سألته ، ومن جملة المسائلة قال : « كيف طوبى أصلها في دار عيسى ،

(١) مناقب ابن شهر آشوب ٤ : ٢٩٧ .

(٢) الكافي ١ : ٣٥٣ / ٨ ، الإرشاد ٢ : ٢٢٣ .

(٣) قرب الاسناد : ١٣٢ ، الخرائج والجرائح ١ : ١١١ / ١٨٦ .

وعندكم في دار محمد ، وأغصانها في كل دار ؟ فقال عليه السلام : الشمس قد وصل ضوءها إلى كل مكان وكل موضع ، وهي في السماء ، قال : والجنة لا ينفد طعامها وإن أكلوا منه ولا ينقص منه شيء ؟ قال : السراج في الدنيا يقتبس منه ولا ينقص منه شيء ، قال : ما يؤكل ويشرب في الجنة لا يكون بولاً ولا غائطاً ؟ قال : الجنين في بطن أمه ، قال : أهل الجنة لهم خدم يأتونهم بما أرادوا بلا أمر ؟ فقال : إذا احتاج الإنسان إلى شيء عرفت أعضاؤه ذلك ، ويفعلون بمراده من غير أمر ، قال : مفاتيح الجنة من ذهب أو فضة ؟ قال : مفتاح الجنة لسان العبد لا إله إلا الله ، قال : صدقت ^(١).

وأناه رجل من أهل نجران من الرهبان ومعه راهبة ، فاستأذن لهما الفضل ابن سوار ، فبدأت الراهبة بالمسائل ، فسألت عن مسائل كثيرة ، كل ذلك يجيبها ، وسألها أبو إبراهيم عليه السلام عن أشياء لم يكن عندها فيها شيء فأسلمت ، ثم سأله الراهب عن مسائل كثيرة ، كل ذلك يجيبه فيها ، وسأل الراهب عن أشياء حتى انقطع الراهب ولم يكن عنده فيها شيء ، فأخبره بها ، فأسلم الراهب ، ودعا أبو إبراهيم عليه السلام بجة خز وقميص قوهي وطيلسان وخف وقلنسوة فأعطاه إيها ^(٢).

وأناه رجل نصراني وهو بالعريض ، فسأله عن عدة مسائل فأجابته حتى قطع زناره وصليباً كان في عنقه من ذهب وأسلم فحسن إسلامه ، وتزوج امرأة من بني فهر ، وأصدقها أبو إبراهيم عليه السلام خمسين ديناراً من صدقة علي بن أبي طالب عليه السلام وأخدمه وبوآه ، وأقام حتى أخرج أبو إبراهيم إلى البصرة ، فمات بعد

(١) مناقب آل أبي طالب ٣ : ١٨٦ ، بحار الأنوار ٤٨ : ١٠٥ .

(٢) الكافي ١ : ٤٨١ / ٥ .

الإمام الكاظم عليه السلام سيرة وتاريخ ٨٨
مخرجه بثمان وعشرين ليلة ^(١).

وناظر بريهة النصراني هشام بن الحكم ، وكان يطلب الإسلام ويطلب من يحتج عليه ممن يقرأ كتبه ويعرف المسيح بصفاته ودلائله وآياته ، وعرف بذلك حتى اشتهر في النصرارى والمسلمين واليهود والمجوس ، وافتخرت به النصرارى ، وكان طالباً للحق والإسلام ، وكانت معه امرأة تخدمه ، فجاب بريهة البلدان حتى جاء إلى دكان هشام في الكرخ فناظره حتى أفحم بريهة ، ثم طلب منه أن يصحبه إلى الصادق عليه السلام ، فلقوا موسى بن جعفر عليه السلام ، فحكى له هشام الحكاية ، فلما فرغ قال عليه السلام لبريهة النصراني : « كيف علمك بكتابك ؟ » ، قال : أنا عالم به وبتأويله ، قال : فابتدأ موسى عليه السلام يقرأ الإنجيل ، فقال بريهة : والمسيح لقد كان يقرأها هكذا ، وما قرأ هكذا إلا المسيح ، إياك كنت أطلب منذ خمسين سنة أو مثلك ، فأمن على يديه وحسن إيمانه ، وآمنت المرأة وحسن إيمانها ، فلزم بريهة أبا عبد الله عليه السلام حتى مات أبو عبد الله عليه السلام ، ثم لزم موسى بن جعفر عليه السلام حتى مات في زمانه ، فغسله بيده وكفنه بيده ولحده بيده ، وقال : هذا حوارى من حوارىي المسيح ، يعرف حق الله عليه » ^(٢).

* * *

(١) الكافي ١ : ٤٧٨ / ٤ .

(٢) الكافي ١ : ٢٢٧ / ١ ، مناقب آل أبي طالب ٣ : ٤٢٦ ، التوحيد : ٢٧٠ .

الفصل الثالث

الهوية الشخصية للإمام الكاظم عليه السلام

نسبه :

هو أبو الحسن موسى الكاظم ابن جعفر الصادق ابن محمد باقر العلم ابن علي زين العابدين ابن الحسين السبط الشهيد ابن علي أمير المؤمنين وسيد الوصيين ، سابع أئمة أهل البيت الطاهرين صلوات الله عليهم أجمعين^(١).

أمّه :

أمّه أم ولد يُقال لها حميدة ابنة صاعد البربرية ، وتلقب أيضاً بالأندلسية ،

(١) انظر : ترجمة الإمام الكاظم عليه السلام في الكافي ١ : ٤٧٦ — باب مولد أبي الحسن موسى ابن جعفر عليه السلام ، الارشاد / الشيخ المفيد ٢ : ٢١٥ ، اعلام الوري ٢ : ٥ — الباب السادس ، الهداية الكبرى / الخصبيني : ٢٦٣ ، تاريخ اليعقوبي ٢ : ٤١٤ ، مناقب آل أبي طالب / ابن شهر آشوب ٣ : ٤٣٧ ، روضة الواعظين ١ : ٢٦٤ ، تاريخ بغداد ١٣ : ٢٧ ، شذرات الذهب / ابن العماد الخنبلي : ٣٠٤ ، وفيات الأعيان ٥ : ٣٠٨ ، عمدة الطالب / ابن عتبة الحسيني : ٢٢٥ ، البداية والنهاية / ابن كثير ١٠ : ١٩٧ ، صفة الصفوة / ابن الجوزي ٢ : ١٨٤ ، ميزان الاعتدال / الذهبي ٣ : ٢٠٩ ، مقاتل الطالبين : ٤٩٩ ، تذكرة الخواص / سبط ابن الجوزي : ١٩٦ ، تاريخ التراث العربي / سزكين ٣ : ٢٧٩ ، أعيان الشيعة ٤ : ٨٠ ، الاعلام / الزركلي ٨ : ٢٧٠ ، تاج المواليد / الطبرسي : ١٢١ ، كشف الغمة / الإربلي ٢ : ٢١٢ ، دلائل الإمامة / الطبري : ١٤٦ ، كفاية الطالب / الكنجي : ٤٥٧ ، الفصول المهمة / ابن الصباغ : ٢٣٢ ، سير اعلام النبلاء ٦ : ٢٧٠ ، نور الأبصار / الشبلنجي : ٣٠١ ، مطالب السؤول / ابن طلحة : ٨٣ ، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم / ابن الجوزي ٩ : ٨٧ .

الإمام الكاظم عليه السلام سيرة وتاريخ ٩٠

وقال الخصبي: والبربرية أصح، وقيل: أنها روميّة، وقال ابن عنبه: حميدة المغربية، وتعرف بلؤلؤة والمصفاة^(١).

وفي رواية أن الإمام الصادق عليه السلام هو الذي لقبها بالمصفاة، بقوله: «حميدة مصفاة من الأدناس كسيكة الذهب، ما زالت الأملاك تحرسها حتى أدّيت إليّ كرامة من الله لي وللحجة من بعدي»^(٢).

اشتراها الإمام الباقر عليه السلام وأهداها لولده الإمام الصادق عليه السلام، فأولدها الإمام موسى بن جعفر عليه السلام وإسحاق ومحمد^(٣)، وقيل: موسى وإسحاق وفاطمة^(٤)، وكانت من التقيات الثقات، ولها كرامات.

عن ابن عكاشة الأسدي في حديث طويل حاصله أنه لما أراد الباقر عليه السلام تزويج ابنه جعفر الصادق عليه السلام أمر بشراء حميدة، فلما أحضرت قال لها: «ما اسمك؟ قالت: حميدة، فقال عليه السلام: حميدة في الدنيا، محمودة في الآخرة، ثم قال لابنه جعفر عليه السلام: يا جعفر، خذها إليك. فولدت خير أهل الأرض موسى ابن جعفر عليه السلام»^(٥).

مولده:

ولد الإمام موسى الكاظم عليه السلام في الأبواء^(٦)، وكانت ولادته عليه السلام على أصح

(١) الكافي ١: ٤٧٩، الإرشاد ٢: ٢١٥، تاريخ يعقوبي ٢: ٤١٤، إكمال الدين / الصدوق ١: ٣٠٧، مناقب آل أبي طالب ٣: ٤٣٧، الهداية الكبرى: ٢٦٣، تذكرة الخواص: ١٩٦، صفة الصفوة ٢: ١٨٤، اعلام الورى ٢: ٥، بحار الأنوار ٤٨: ٧.

(٢) الكافي ١: ٤٧٧ / ٢.

(٣) الإرشاد ٢: ٢٠٩.

(٤) تاريخ أهل البيت عليهم السلام / رواية كبار المحدثين والمؤرخين: ١٢٣.

(٥) الكافي ١: ٤٧٦ / ١.

(٦) الأبواء: قرية من أعمال الفرع من المدينة، بينها وبين المحفة ما يلي المدينة ثلاثة وعشرون ميلاً، وبها قبر أمينة بنت وهب أم النبي صلى الله عليه وآله.

الفصل الثالث : الهوية الشخصية للإمام الكاظم عليه السلام ٩١

الروايات يوم الأحد السابع من صفر سنة (١٢٨ هـ)^(١) ، في أيام مروان الحمار آخر ملوك بني أمية ، أو يوم الثلاثاء قبل الفجر من نفس التاريخ المتقدم^(٢) ، وقيل : كان مولده سنة (١٢٩ هـ)^(٣) .

وفي رواية منسوبة إلى الإمام أبي محمد الحسن بن علي عليه السلام : ولد بالأبواء بين مكة والمدينة ، في شهر ذي الحجة سنة (١٢٧ هـ)^(٤) .

واحتفى الإمام الصادق عليه السلام بولده فرحاً وسروراً ، قال أبو بصير : «كنت مع أبي عبد الله عليه السلام في السنة التي ولد فيها ابنه موسى عليه السلام ، فلما نزلنا الأبواء وضع لنا أبو عبد الله عليه السلام الغداء ولأصحابه وأكثره وأطابه ، فبينما نحن نتغدى إذ أتاه رسول حميدة : إن الطلق قد ضربني ، وقد أمرتني أن لا أسبقك بابنك هذا. فقام أبو عبد الله عليه السلام فرحاً مسروراً ، فلم يلبث أن عاد إلينا حاسراً عن ذراعيه ضاحكاً سنّه ، فقلنا : أضحك الله سنك ، وأقرّ عينك ، ما صنعت حميدة ؟ فقال : وهب الله لي غلاماً ، وهو خير من برأ الله ، ولقد خبرتني عنه بأمر كنت أعلم به منها. قلت : جعلت فداك وما خبرتك عنه حميدة ؟ قال : ذكرت أنه لما وقع من بطنها وقع واضعاً يديه على الأرض رافعاً رأسه إلى السماء ، فأخبرتها أن

(١) الكافي ١ : ٤٧٦ ، روضة الواعظين ١ : ٢٦٤ ، الإرشاد ٢ : ٢١٥ ، اعلام الورى ٢ : ٥ ، تاج المواليد / الطبرسي : ١٢١ ، مناقب آل أبي طالب ٣ : ٤٣٧ ، الهداية الكبرى : ٢٦٣ ، كشف الغمة ٢ : ٢١٢ ، تاريخ بغداد ١٣ : ٢٧ ، دلائل الإمامة : ١٤٦ ، تذكرة الخواص : ١٩٦ ، كفاية الطالب : ٤٥٧ ، الفصول المهمة : ٢٣٢ ، الدروس للشهيد : ١٥٤ ، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ٩ : ٨٧ .

(٢) تاج المواليد : ٤٥ ، بحار الأنوار ٤٨ : ٧ .

(٣) تاريخ أهل البيت عليهم السلام : ٨٢ ، مطالب السؤل : ٨٣ ، صفة الصفوة ٢ : ١٨٧ ، تذكرة الخواص : ١٩٧ ، نور الأبصار : ٣٠١ ، وراجع المصادر المتقدمة .

(٤) دلائل الإمامة : ٣٠٣ .

تلك أمانة رسول الله صلى الله عليه وآله وأمانة الإمام من بعده»^(١).

ولم يقيم الصادق عليه السلام بعد ولادته في الأبناء طويلاً ، بل عاد إلى يشرب ، فأولم بهذه المناسبة وأطعم ضيوفه ثلاثة أيام ، عن منهال القصاب ، قال : خرجت من مكة وأنا أريد المدينة ، فمررت بالأبناء وقد ولد لأبي عبد الله عليه السلام ، فسبقته إلى المدينة ، ودخل بعدي فأطعم الناس ثلاثاً ، فكنت آكل فيمن يأكل ، فما آكل شيئاً إلى الغد حتى أعود فأكل ، فمكنت بذلك ثلاثاً أطعم حتى أرتفق ثم لا أطعم شيئاً إلى الغد^(٢).

حليته وصفته :

وُصف عليه السلام في المصادر التي ترجمت له بأنه أسمر عميق حالك ، أي شديد السمرة ، وكان عليه السلام أزهر إلا في القيظ لحرارة مزاجه ، ربع^(٣) كثر اللحية^(٤) .
ووصفه عليه السلام شقيق بن إبراهيم البلخي الأزدي^(٥) حينما خرج حاجاً في سنة (١٤٩ هـ) ، قال : فنظرت إلى فتى حسن الوجه ، شديد السمرة ، ضعيف ، فوق ثيابه ثوب من صوف ، مشتمل بشملة ، في رجله نعلان^(٦).

(١) الكافي ١ : ٣١٦ / ١ ، المحاسن / البرقي ٢ : ٣١٤ / ٣٢ ، بصائر الدرجات / الصفار : ٤٦٠ / ٤ .

(٢) المحاسن ٢ : ٤١٨ / ١٨٧ .

(٣) الأزهر : المشرق المتلألئ لا الأبيض ، وقوله : لحرارة ، تعليل لعدم الزهرة في القيظ ، والربع : متوسط القامة .

(٤) الفصول المهمة : ٢٣٢ ، بحار الأنوار ٤٨ : ١١ .

(٥) زاهد صوفي ، من مشاهير المشايخ في خراسان ، حدث عن أبي حنيفة ، وقتل في غزاة كولان سنة (١٥٣ هـ) ، وقيل : سنة (١٩٤ هـ) . سير أعلام النبلاء ٩ : ٣١٣ ، حلية الأولياء ٨ : ٥٨ .

(٦) كشف الغمة ٣ : ٣ ، نور الأبصار : ١٤٩ ، تذكرة الخواص : ٣٤٨ ، صفة الصفوة ٢ :

ووصفه المأمون حين دخوله على الرشيد في موسم الحج : « شيخ مسخد^(١) ، قد أمهكته العبادة ، كأنه شنّ بال ، قد كلم السجود وجهه وأنفه »^(٢) .
ومن صفات نفسه الزكية أنه كان أحل الناس شأناً ، وأعلاهم في الدين مكاناً ، وأسخاهم بناناً ، وأفصحهم لساناً ، وأشجعهم جناناً ، وقد خص بشرف الولاية ، وحاز إرث النبوة ، وبوّأ محلّ الخلافة ، سليل النبوة ، وعقيد الخلافة^(٣) .
وكان عليه السلام عظيم الفضل ، رابط الجأش ، واسع العطاء ، لقب بالكاظم لكظمه الغيظ وحلمه^(٤) .

كنيته :

كان عليه السلام يكنى أبا الحسن وأبا إبراهيم وأبا علي ، أو الخاص أبا علي^(٥) ، وقيل : أبو اسماعيل^(٦) ، وأشهرها الأول ، وقيل : الأثبت أبو إبراهيم ، لأنه قال عليه السلام : « منحني أبي كنيّتين »^(٧) ، ويقال له أبو الحسن الأول أو الماضي ، وللرضا عليه السلام أبو الحسن الثاني ، ولعلي بن محمد النقي عليه السلام أبو الحسن الثالث ، فإذا ورد حديث عن أبي الحسن وأطلق أو خصص بالماضي أو الأول ، فالمراد موسى

١٨٥ ، الفصول المهمة : ٢٣٣ ، إسعاف الراغبين : ٢٤٧ ، دلائل الإمامة : ١٥٢ ، مطالب السؤول : ٨٣ .

(١) أي مصفر الوجه .

(٢) عيون أخبار الرضا ١ : ٨٨ / ١١ .

(٣) مناقب آل أبي طالب ٣ : ٤٣٧ .

(٤) عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب : ٢٢٦ .

(٥) روضة الواعظين : ٢٦٤ ، الهداية الكبرى : ٢٦٣ ، بحار الأنوار ٤٨ : ١١ ، اعلام الورى ٢ : ٥ ، تاج المواليد : ٤٥ ، مناقب آل أبي طالب ٣ : ٤٣٧ .

(٦) مطالب السؤول : ٨٣ ، بحار الأنوار ٤٨ : ١١ .

(٧) الارشاد ٢ : ٢١٥ .

الإمام الكاظم عليه السلام سيرة وتاريخ ٩٤
ابن جعفر الكاظم عليه السلام (١).

ألقابه ونعوته :

عرف عليه السلام بألقاب ونعوت كثيرة تدل على خصال نفسه الكريمة وخلال روحه السامية ، كالكاظم ، والعالم ، والأمين ، والمأمون ، والصابر ، والصالح ، والوفى ، وراهب بني هاشم ، ومنقذ الفقراء ، وأسحقى العرب ، وأعيد أهل زمانه ، وأفقه الثقلين ، ومطعم المساكين ، وحليف كتاب الله ، والنفوس الزكية ، وزين المجتهدين ، والزاهر ، وسمي بذلك لأنه زهر بأحلاقه الشريفة وكرمه المضيئ التام ، والمصلح ، والمبرهن ، والبيان ، وذو المعجزات ، والرشيد ، والطيب ، والسيد ، والمبارك ، والتابع لمرضاة الله ، والدليل على ذات الله عز وجل ، والسبط ، والكهف الحصين ، وقوام آل محمد ، ونظام أهل البيت ، ونور أهل بيت الوحي ، ولقبه الله في اللوح بالمنتخب ، وعرف في بعض الأسانيد وغيرها بالعبد الصالح ، لعبادته واجتهاده وقيامه بالليل ، وعرف بعد وفاته بباب الحوائج إلى الله ، لنجح مطالب المتوسلين إلى الله تعالى به (٢).

وأشهر ألقابه عليه السلام الكاظم ، والكاظم في اللغة : الممتلئ خوفاً وحنناً ، ومنه : كظم قربته ، إذا شد رأسها ، والكاظمة : البئر الضيقة والسقاية المملوغة .
واختلف المؤرخون في سبب اطلاق هذا اللقب ، لكنهم اتفقوا على أنه سمي

(١) التتمة في تواريخ الأئمة عليهم السلام / تاج الدين العاملي : ١٣٦ ، ألقاب الرسول وعترته / لقدماء المحدثين : ٦ .

(٢) روضة الواعظين : ٢٦٤ ، الارشاد : ٢ : ٢١٥ ، مناقب آل أبي طالب : ٣ : ٤٣٧ ، تذكرة خواص الأئمة : ١٩٦ ، الغيبة / النعماني : ١٣٠ ، مطالب السؤول : ٨٣ ، تاريخ أهل البيت عليهم السلام : ١٣٨ ، الهداية الكبرى : ٢٦٣ ، بحار الأنوار : ٤٨ : ١١ و ١٧٤ ، ملحقات إحقاق الحق / السيد المرعشي : ٣٣ : ٨٢٩ .

الفصل الثالث : الهوية الشخصية للإمام الكاظم عليه السلام ٩٥

الكاظم لكظمه الغيظ ، وسعة حلمه ، وكثرة تجاوزه ، واحسانه إلى من يسيء إليه ، وكان هذا دأبه دائماً.

وقالوا : إنما سمي عليه السلام بالكاظم لما كظمه من الغيظ ، واحتمل من الأذى ، وصبر على فعل الظالمين به ، وسقوه السم مراراً حتى مضى عليه السلام قتيلاً في حبسهم ووثاقهم^(١).

عن ربيع بن عبد الرحمن ، قال : « كان والله موسى بن جعفر عليه السلام من المتوسمين ، يعلم من يقف عليه^(٢) بعد موته ، ويجحد الإمام بعده إمامته ، فكان يكظم غيظه عليهم ، ولا يبدي لهم ما يعرفه منهم ، فسمي الكاظم لذلك »^(٣).

وقال سبط ابن الجوزي : « كان موسى عليه السلام جواداً حليماً ، وإنما سمي الكاظم لأنه كان إذا بلغه عن أحد شيء بعث إليه بمال »^(٤).

نقش خاتمه :

أخرج الصدوق عن الإمام الرضا عليه السلام قال : « كان نقش خاتم أبي الحسن موسى بن جعفر عليه السلام : حسبي الله ، قال الحسين بن خالد : وبسط أبو الحسن الرضا عليه السلام كفه وخاتم أبيه في إصبعه حتى أراي النقش »^(٥).
وعن يونس والبزنطي ، عن الرضا عليه السلام ، قال : « كان نقش خاتم

(١) تذكرة الخواص : ١٩٦ ، اعلام الورى : ٢ : ٣٢ ، مناقب آل أبي طالب ٣ : ٤٣٧ ، ألقاب الرسول وعترته : ٦٣ ، بحار الأنوار ٤٨ : ١١ .

(٢) أي يتوقف عليه ويدعي مهديته ، ولا يقول بإمامة ولده الرضا عليه السلام .

(٣) عيون أخبار الرضا : ١ : ١١٢ .

(٤) تذكرة الخواص / سبط ابن الجوزي : ١٩٦ .

(٥) أمالي الصدوق : ٥٤٣ / ٧٢٦ ، عيون أخبار الرضا : ٢ : ٥٤ / ٢٠٦ .

الإمام الكاظم عليه السلام سيرة وتاريخ ٩٦

أبي الحسن عليه السلام : حسبي الله ، وفيه وردة وهلال في أعلاه » ^(١).

وعن الحسن بن علي بن مهران وعلي بن مهزيار ، قال : « دخلت على أبي الحسن موسى عليه السلام وفي اصبعه خاتم فصبه فيروزج ، نقشه : الله المَلِكُ » ^(٢).

وعن ابن الصباغ وغيره : نقش خاتمه : الملك لله وحده ^(٣).

وعن الإربلي والكفعمي : نقش خاتمه : كن من الله على حذر ، وقيل : من كثرت سلامته دامت علته ^(٤).

شاعره :

شاعره عليه السلام السيد الحميري ^(٥) ، والظاهر من حديث درست بن أبي منصور أن الكميت بن زيد كان يتردد على الإمام الكاظم ^(٦).

بوابه :

بوابه عليه السلام : محمد بن الفضل ^(٧).

عمره ومدّة إمامته :

تقدم أن الإمام الكاظم عليه السلام ولد في سنة (١٢٨ هـ) ، وقيل : سنة (١٢٩ هـ) ،

(١) الكافي ٦ : ٤٧٣ ، بحار الأنوار ٨٤ : ١٠ و ١١ .

(٢) الكافي ٦ : ٤٧٢ / ٢ ، ثواب الأعمال / الصدوق : ٢٠٩ ، مكارم الأخلاق : ٨٩ ، عدة الداعي / ابن فهد : ١١٩ .

(٣) الفصول المهمة / ابن الصباغ : ٢٣٢ .

(٤) مصباح الكفعمي : ٥٢٣ ، كشف الغمة ٢ : ٦٨ ، التتمة في تواريخ الأئمة عليهم السلام : ١٠٦ .

(٥) الفصول المهمة : ٢٣٢ ، بحار الأنوار ٤٨ : ١٧٣ .

(٦) اختيار معرفة الرجال / الطوسي ٢ : ٤٦٥ / ٣٦٤ .

(٧) الفصول المهمة : ٢٣٢ ، تاريخ أهل البيت عليهم السلام : ١٤٨ ، الهداية الكبرى : ١٢٨ ،

مصباح الكفعمي : ٥٢٣ ، نور الأبصار : ١٦٤ ، وفي مناقب آل أبي طالب ٣ : ٤٣٨ :

بوابه الفضل بن عمر ، والظاهر أنه تصحيف محمد بن الفضل بن عمر المتقدم .

الفصل الثالث : الهوية الشخصية للإمام الكاظم عليه السلام ٩٧
واستشهد مسموماً في حبس الرشيد لعنه الله سنة (١٨٣ هـ) ، وقيل : سنة
(١٨٦ هـ) وبناءً على ذلك ، فإن مدة عمره عليه السلام على أصح الروايات خمس
وخمسين سنة ، عشرون منها مع أبيه عليه السلام ، لشهادة أبيه الصادق عليه السلام سنة
(١٤٨ هـ) ، وهي مدة إمامته ^(١).

وقال سبط ابن الجوزي : « واختلفوا في سنه على أقوال ، أحدها : خمس
وخمسون سنة ، والثاني : أربع وخمسون ^(٢) ، والثالث : سبع وخمسون ، والرابع :
ثمان وخمسون ^(٣) ، والخامس : ستون ^(٤) ، وذكر الخصبي أنه عليه السلام مضى وله تسع
وأربعون سنة ^(٥).

وعن سليمان بن حفص ، أنه عليه السلام توفي وهو ابن سبع وأربعين سنة ^(٦).
أما قوله : أربع وخمسون وسبع وخمسون وثمان وخمسون سنة ، فهو مبني
على الخلاف المتقدم في سنة ولادته ووفاته ، وباقي الأقوال لا يوجد ما يؤيدها ،
ومعارضة بالمسلم من الروايات في هذا الشأن.
وذكر الخصبي أن مقامه مع أبيه جعفر الصادق عليه السلام أربع عشرة سنة ^(٧) ،
وهو يستلزم إما تأخر ولادته بأربع سنين ، أو تقدم موت أبيه بهذا القدر ، ولم

(١) الارشاد ٢ : ٢١٥ ، اعلام الورى ٢ : ٥ ، مناقب آل أبي طالب ٣ : ٤٣٧ ، تاج
الموليد : ١٢١.

(٢) وهو مروى في الكافي ١ : ٤٨٦ عن أبي بصير ، وذكر الشيخ الكليني أنه قبض
وهو ابن أربع أو خمس وخمسين سنة.

(٣) ورد هذا القول أيضاً في تاريخ اليعقوبي ٢ : ٤١٤.

(٤) تذكرة الخواص : ١٩٦.

(٥) الهداية الكبرى : ٢٦٣.

(٦) عيون أخبار الرضا ٢ : ٩٧ / ٧.

(٧) الهداية الكبرى : ٢٦٣.

ترد رواية تؤيد ذلك.

أزواجه :

كل أزواجه أمهات أولاد ، منهن أم الإمام الرضا عليه السلام ، وهي السيدة نجمة ، وكنيتها أمّ البنين ، وهي جارية مولّدة من أشرف العجم ، حيث ولدت في ديار العرب ، ونشأت مع نسائهم وبناتهم وتأدّبت بأدابهم ، ولها أسماء وألقاب أخرى ، وهي سكن ، وأروى ، وسمانة ، وخيزران المرسية ، وشقراء ، وصقر ، وسكينة النويّبة ، وشهد ، وسُلافة ، ولما ولدت الرضا عليه السلام سمّاها الإمام الكاظم عليه السلام الطاهرة ، وسمّاها الإمام الكاظم عليه السلام تكتم حين ملكها ^(١) ، قال الشاعر :

ألا أن خير الناس نفسا ووالدا ورهطا وأجدادا عليّ المعظم
أتتنا به للعلم والحلم ثامنا إماما يؤدّي حجّة الله تكتم ^(٢)

وكانت في غاية العبادة والتقى ، وجاء في فضلها كثير من الأخبار ، ذكر الشيخ الصدوق : « أن الإمام الكاظم عليه السلام أمر هشام بن أحمر بشرائها من نخاس كان قد أتى بها من أقصى بلاد المغرب ، وجعلها عند أمه السيدة حميدة ، وجاء عنها أمّا رأّت النبي صلى الله عليه وآله في المنام فقال لها : يا حميدة ، هي نجمة لابنك موسى ، فأنته سيولد له منها خير أهل الأرض ، فوهبتها له » ^(٣).

وفي رواية : قال أبو عبد الله عليه السلام : « يا ابن أحمر ، أما أمّا تلد مولوداً ليس

(١) إكمال الدين ١ : ٣٠٧ ، الاختصاص / الشيخ المفيد : ١٩٧ ، كشف الغمّة ٢ : ٢٦٧ ، فرق الشيعة / النوبختي : ٩٦ ، تراجم أعلام النساء / الأعلمي ٢ : ٢٠٧ ، بحار الأنوار ٤٩ : ٣ / ٣ / ٦ / ٧ ، و ١٥ و ١٦ .

(٢) عيون أخبار الرضا ١ : ١٣ / ٢ .

(٣) عيون أخبار الرضا ١ : ١٤ / ٤ ، الاختصاص / المفيد : ١٩٦ .

بينه وبين الله حجاب» (١).

أولاده :

اختلف المؤرخون في عدد أولاد الإمام الكاظم عليه السلام وعدد الأناث والذكور منهم وأسمائهم ، فأقل ما قالوه أنهم ثلاثون : خمسة عشر ولداً وخمس عشرة أنثى ، وذكروا أنهم سبعة وثلاثون : عشرون ابناً وسبع عشرة بنتاً ، وقيل : ثمان وثلاثون : عشرون ابناً وثمانية عشر بنتاً ، وقيل : تسع وثلاثون ولداً ذكراً وأنثى ، بينما ذكر بعضهم أنهم أربعون : عشرون ذكراً وعشرون أنثى ، أو واحد وأربعون : ثمانية عشر ذكراً وثلاث وعشرون بنتاً ، وأكثر ما قالوه ستون ، منهم سبع وثلاثون بنتاً وثلاثة وعشرون ابناً.

فالمعدود من الذكور ثمانية عشر وهم : الإمام علي الرضا عليه السلام ، وإبراهيم ، والعباس ، والقاسم ، وإسماعيل ، وجعفر ، وهارون ، والحسن ، وأحمد ، ومحمد ، وعبيد الله ، وحمزة ، وزيد ، وعبد الله ، وإسحاق ، والحسين ، والفضل ، وسليمان . وزاد آخرون : إبراهيم الأصغر ، وأبو بكر ، وجعفر الأصغر ، وعمر ، وعبد الرحمن ، ويحيى ، وعقيل ، وداود.

ودرج منهم خمسة لم يعقبوا بغير خلاف وهم : عبد الرحمن ، وعقيل ، والقاسم ، ويحيى ، وداود.

أما الأناث فالمعدود منهن تسع عشرة وهنّ : فاطمة الكبرى ، وفاطمة الصغرى ، ورقية الكبرى ، وحكيمة ، وأم أبيها ، ورقية الصغرى ، وكلثم ، وأم جعفر ، ولبابة ، وزينب ، وخديجة ، وعليه ، وآمنة ، وحسنة ، وبريهة ، وعائشة ، وأم سلمة ، وميمونة ، وأم كلثوم . وزاد آخرون : أم فروة ، وأسماء ، وأم عبد الله ،

(١) بحار الأنوار ٤٨ : ٩ .

الإمام الكاظم عليه السلام سيرة وتاريخ ١٠٠
وزينب الصغرى ، وأم القاسم ، وحواء ، وأسماء الصغرى ، ومحمودة ، وأمامة ^(١).

في سيرة بعضهم :

لكل واحد من ولد أبي الحسن موسى بن جعفر عليه السلام فضل ومنقبة مشهورة ، وكان أفضل ولد أبي الحسن موسى عليه السلام وأنبههم وأعظمهم قدراً ، وأعلمهم وأجمعهم فضلاً ، هو أبو الحسن علي بن موسى الرضا عليه السلام ، ثامن أئمة الهدى وأعلام التقى من أهل البيت عليهم السلام ^(٢).

وفيما يلي نذكر سيرة بعض أولاد الإمام أبي الحسن موسى بن جعفر عليه السلام.

١ - إبراهيم الأكبر : وكان سخياً شجاعاً كريماً ، تقلد الإمرة على اليمن في أيام المأمون من قبل محمد بن محمد بن زيد بن علي الذي بايعه أبو السرايا بالكوفة ، ومضى إليها ففتحها وأقام بها مدة إلى أن كان من أمر أبي السرايا ما كان ، فأخذ له الأمان من المأمون ^(٣).

٢ - إبراهيم الأصغر : وهو المشهور بإبراهيم الحجاب ، المدفون بالحائر الحسيني ، وهو جد السيدين الجليلين الشريفين : السيد المرتضى ، والسيد الرضي ^(٤).

(١) كفاية الطالب : ٤٥٧ ، تاريخ يعقوبي ٢ : ٤١٤ ، الارشاد ٢ : ٢١٥ ، ملحقات إحقاق الحق ٣٣ : ٨٢١ و ٨٣٢ ، الفصول المهمة : ٢٤١ ، بحار الأنوار ٤٨ : ٢٨٧ و ٣٠٣ ، تذكرة الخواص : ١٩٧ ، مطالب السؤول : ٨٤ ، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ٩ : ٨٧ ، البداية والنهاية ١٠ : ١٩٧ ، كشف الغمة ٢ : ٢١٣ ، عمدة الطالب : ١٩٦ ، سير أعلام النبلاء ٦ : ٢٧٤ .

(٢) الارشاد ٢ : ٢٤٥ ، الفصول المهمة : ٢٣٢ .

(٣) الارشاد ٢ : ٢٤٥ ، مقاتل الطالبين : ٣٥٥ ، الفصول المهمة : ٢٣٢ ، سر السلسلة العلوية / أبو نصر البخاري : ٣٧ .

(٤) عمدة الطالب : ٢٠٢ ، بحار الأنوار ٤٨ : ٣٠٣ ، والظاهر من أغلب المحدثين أن

الفصل الثالث : الهوية الشخصية للإمام الكاظم عليه السلام ١٠١

٣ - أحمد : وكان كريماً جليلاً ورعاً ، وكان أبو الحسن موسى عليه السلام يحبه ويقدمه ، ووهب له ضيعته المعروفة باليسيرة ، ويقال : ان أحمد بن موسى أعتق ألف مملوك ^(١) . وهو المدفون بشيراز ويعرف بسيد السادات ، ويعرف عند أهل شيراز بشاه جراغ ، وفي عهد المأمون قصد شيراز مع جماعة ، وكان من قصده الوصول إلى أخيه الرضا عليه السلام ، فلما سمع به عامل المأمون على شيراز توجه إليه وقتله خارج البلد في مكان يقال له : خان زينان ، ففترق عنه أصحابه ، وتوجه نحو شيراز فاتبعوه وقتلوه ، وقيل : إنه لما دخل شيراز احتفى واشتغل بعبادة ربه ، حتى توفي لأجله ، ويعتقد البعض أن مشهد السيد أحمد في بلخ ^(٢) ، ويعتقد البعض أن الذي بشيراز هو أحمد بن موسى الميرقع .

٤ - إسحاق : ذكره الشيخ في رجاله في أصحاب الرضا عليه السلام ، وكان يلقب بالأمين ، وتوفي سنة (٢٤٠ هـ) في المدينة ^(٣) .

٥ - إسماعيل : وهو صاحب الجعفریات ، وقبره في مصر ، قال النجاشي : سكن مصر وولده بها ، وله كتب يرويها عن أبيه عن آبائه عليهم السلام منها : كتاب الطهارة ، كتاب الصلاة ، كتاب الزكاة ، كتاب الصوم ، كتاب الحج ، كتاب

المسمى بإبراهيم من أولاد أبي الحسن عليه السلام رجل واحد ، ولكن عبارة صاحب عمدة الطالب تدل على أن إبراهيم من ولده اثنان : إبراهيم الأكبر وإبراهيم الأصغر ، والأصغر يلقب بالمرتضى والعقب منه ، وأمه أم ولد نويبة اسمها نجية ، ومعلوم أن علماء النسب أعلم من غيرهم بهذا الشأن ، وصرح بحر العلوم أن الأصغر هو جد المرتضى والرضي ، وهو المدفون في الحائر الحسيني خلف ظهر الحسين عليه السلام .

(١) الارشاد ٢ : ٢٤٥ ، الفصول المهمة : ٢٣٥ ، ملحقات إحقاق الحق ٣٣ : ٨٣٣ .

(٢) بحار الأنوار ٤٨ : ٣٠٨ .

(٣) بحار الأنوار ٤٨ : ٢٨٤ و ٣١٤ ، الدرجات الرفيعة / السيد علي خان : ٤٨٨ .

الإمام الكاظم عليه السلام سيرة وتاريخ ١٠٢
الجناز ، كتاب الطلاق ، كتاب النكاح ، كتاب الحدود ، كتاب الدعاء ، كتاب
السنن والآداب ، كتاب الرؤيا ^(١).

٦ - **جعفر** : ويقال له الخواري ، ويقال لولده الخواريون والشحريون لأن
أكثرهم بادية حول المدينة يرعون الشجر ، وفي مشجر العميدي : كان جعفر
موصوفاً بالشجاعة والفروسية ، وعده أبو نصر البخاري من خلص الموسوية
الذين لم يجد أحداً يشك فيهم من النسب ^(٢).

٧ - **زيد** : وهو الخارج بالبصرة أيام الأمين والمأمون ، عقد له محمد بن محمد
ابن زيد بن علي على الأهواز أيام أبي السرايا ، ولما دخل البصرة وغلب عليها
أحرق دور بني العباس فقبل له زيد النار ، وحاربه الحسن بن سهل فظفر به ،
وأرسله إلى مرو مقيداً ، فعفا عنه المأمون ، ثم سقاه السم وقتله ، وقبره
بمرو ^(٣).

٨ - **القاسم** : وكان أبوه عليه السلام يحبه كثيراً ويرأف عليه ، وقبره في ناحية القاسم
التابعة لقضاء الهاشمية في الحلة من العراق ، وهو مزار متبرك به ، يقصده الناس
للزيارة وطلب البركة ، وقد ذكر قبره ياقوت في معجم البلدان ، وعبد المؤمن
البغدادي في مراصد الاطلاع ، ونص السيد ابن طاوس في مصباح الزائر على
استحباب زيارته ^(٤) ، وله كرامات كثيرة يعرفها جميع العراقيين.

٩ - **محمد** : هو الملقب بالعباد ، وكان من أهل الفضل والصلاح والعبادة

(١) بحار الأنوار ٤٨ : ٣١٤ .

(٢) بحار الأنوار ٤٨ : ٢٨٤ .

(٣) تاريخ الطبري ١٠ : ٢٣١ ، سر السلسلة العلوية : ٣٧ ، عمدة الطالب : ٢٢١ ،
تذكرة الخواص : ١٩٧ ، بحار الأنوار ٤٨ : ٢٨٥ و ٣١٥ .

(٤) عمدة الطالب : ٢٢٩ ، بحار الأنوار ٤٨ : ٣١٠ .

الفصل الثالث : الهوية الشخصية للإمام الكاظم عليه السلام ١٠٣
والكرم ، توفي بشيراز ودفن حيث مرقدته اليوم مزار متبرك به ، وقيل دخل
شيراز من جور العباسيين ، واختفى .ممكان فكان يكتب القرآن ، وقد اعتق
ألف نسمة من أجرة كتابته ^(١) .

١٠ - فاطمة عليها السلام : لها منزلة عظيمة ، وكرامات كثيرة وهي فاطمة الكبرى ،
المدفونة في قم ، قيل : إن ولادتها في المدينة غرة ذي القعدة سنة (١٧٩ هـ) ، أي
في نفس السنة التي حمل فيها الرشيد الإمام عليه السلام إلى بغداد ، وخرجت فاطمة
تقصد أباها الرضا عليه السلام في سنة (٢٠١ هـ) ، فلما وصلت إلى ساوة مرضت ،
فطلبت حملها إلى قم ، ونزلت في بيت موسى بن خزرج الأشعري ، ثم توفيت
فأمر موسى بدفنها في أرض كانت له ، ودفنت إلى جنبها أم محمد بنت موسى بن
محمد بن علي الرضا عليه السلام ، وميمونة أختها ، وأم القاسم بنت علي الكوكبي ،
وجاءت عدة روايات في فضل زيارتها مروية عن أبي الحسن الرضا
والجواد عليهما السلام ^(٢) .

أخوته :

كان لأبي الحسن عليه السلام ستة أخوة وهم : إسماعيل ، وعبد الله ، وإسحاق ،
ومحمد ، والعباس ، وعلي ، وثلاث أخوات وهن : أم فروة ، وأسماء ،
وفاطمة ^(٣) .

(١) الارشاد ٢ : ٢٤٥ ، بحار الأنوار ٤٨ : ٢٤٥ و ٢٨٤ و ٢٩٠ و ٣١٦ ، ملحقات
إحقيق الحق ٣٣ : ٨٣٣ ، الفصول المهمة : ٢٣٢ .

(٢) كامل الزيارات : ٣٢٤ / ١ و ٢ ، عيون أخبار الرضا ٢ : ٢٦٧ / ١ ، ثواب
الأعمال : ٩٨ ، تاريخ قم : ٢١٣ ، بحار الأنوار ٤٨ : ٢٨٠ .

(٣) الارشاد ٢ : ٢٠٩ ، تاج المواليد : ٤٥ ، الهداية الكبرى : ٢٤٧ ، تاريخ أهل
البيت عليهم السلام : ١٠٥ ، بحار الأنوار ٤٨ : ٢٩٥ .

في سيرة بعضهم :

١ - إسحاق : هو ومحمد أخوا الإمام موسى الكاظم عليه السلام لأمه وأبيه. وكان إسحاق من أهل الفضل والصلاح والورع والاجتهاد ، وروى عنه الناس الحديث والآثار ، وكان ابن كاسب إذا حدث عنه يقول : حدثني الثقة الرضي إسحاق بن جعفر ، وكان إسحاق يقول بإمامة أخيه موسى بن جعفر عليه السلام ، وروى عن أبيه النص بالإمامة على أخيه موسى عليه السلام^(١).

وقال ابن عنبه : « ويكنى أبا محمد ، ويلقب المؤمن ، وولد بالعريض ، وكان من أشبه الناس برسول الله ﷺ ، وأمه أم أخيه موسى الكاظم عليه السلام ، وكان محدثاً جليلاً ، وادّعت طائفة من الشيعة فيه الإمامة ، وكان سفيان بن عيينة إذا روى عنه يقول : حدثني الثقة الرضي إسحاق بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين عليه السلام .

وهو زوج السيدة نفيسة بنت الحسن بن زيد بن الحسن السبط عليه السلام صاحبة الروضة المعروفة بالقاهرة بالسنة نفيسة ، سافرا معاً إلى مصر ، وأقاما بالفسطاط^(٢).

٢ - إسماعيل : وكان أبوه الصادق عليه السلام شديد المحبة له والبرّ به والاشفاق عليه ، وكان قوم من الشيعة يظنون أنه القائم بعد أبيه والخليفة له من بعده ، إذ كان أكبر أخوته سناً ، ولليل أبيه إليه وإكرامه له ، لكنه مات في حياة أبيه بالعريض^(٣) سنة (١٤٣ هـ) ، وقيل : سنة (١٣٣ هـ) ، وحمل على رقاب الرجال ، وتقدم الصادق عليه السلام سريره بلا حذاء ولا رداء ، وأمر بوضع سريره على الأرض

(١) الارشاد ٢ : ٢١١ .

(٢) بحار الأنوار ٤٨ : ٢٩٩ .

(٣) العريض : واد بالمدينة فيه بساتين نخل .

الفصل الثالث : الهوية الشخصية للإمام الكاظم عليه السلام ١٠٥
قبل دفنه مراراً كثيرة ، وكان يكشف عن وجهه يريد عليه السلام بذلك تحقيق أمر وفاته
عند الظانين خلافته له من بعده ، وإزالة الشبهة عنهم في حياته ، ودفن
بالبيق.

وإسماعيل هو جد الخلفاء الفاطميين في المغرب ومصر ^(١) ، وكان عالماً فقيهاً
ثقة ، ومن رواة الحديث ، له عدة كتب رواها عن أبيه عليه السلام ^(٢).

٣ - عبد الله الأفطح : وكان أكبر أخوته بعد إسماعيل ، وكان متهماً
بالخلاف على أبيه في الاعتقاد ، ويقال إنه كان يخالط الحشوية ويميل إلى مذاهب
المرجئة ، وادعى بعد أبيه الإمامة ، واحتج بأنه أكبر أخوته الباقين ، فاتبعه على
قوله جماعة من أصحاب أبي عبد الله عليه السلام ، ثم رجعوا بعد ذلك إلى القول بامامة
أخيه موسى عليه السلام لما تبيينوا ضعف دعواه وقوة أمر أبي الحسن عليه السلام ودلالة حقه
وبراهين إمامته ^(٣).

٤ - علي بن جعفر العريضي : كنيته أبو الحسن ، وهو أصغر ولد أبيه ،
قيل : مات أبوه عليه السلام وهو ابن سنتين ، وسكن العريض من نواحي المدينة ونسب
إليه ، وكان كثير الفضل ، جليل القدر ، شديد الورع ، شديد الطريق ، وهو
مُحدِّث ثقة مشهور ، وكان شديد التمسك بأخيه موسى عليه السلام والانقطاع إليه ،
والتوفر على أخذ معالم الدين منه ، وله مسائل مشهورة عنه ، وجوابات رواها
سماعاً منه ، وهي مطبوعة ومتداولة إلى اليوم ، وعمّر طويلاً حتى أدرك الإمام
الجواد عليه السلام وقال بإمامته ومن قبله من الأئمة ، له كتب منها كتاب المناسك ،
وكتاب في الحلال والحرام ، وله مشاهد ثلاثة ، الأول في قم مشهور ، والثاني في

(١) الارشاد ٢ : ٢٠٩ ، بحار الأنوار ٤٨ : ٢٩٥ ، الاعلام / الزركلي ١ : ٣١١ .

(٢) رجال النجاشي : ٢٦ / ٤٨ ، الفهرست / الشيخ الطوسي : ٤٥ / ٣١ .

(٣) الارشاد ٢ : ٢١١ ، بحار الأنوار ٤٨ : ٢٩٩ .

الإمام الكاظم عليه السلام سيرة وتاريخ ١٠٦

خارج قلعة سمنان ، والثالث في العريض ^(١).

٥ - محمد : وكان زاهداً عابداً شجاعاً سخيّاً ، كثير الفضل ، راوية للحديث ، سكن مكة وروى بها الحديث ، وأقام بمرو وروى عن الإمام الرضا عليه السلام ، وكان يرى رأي الزيدية في الخروج بالسيف ، خرج على المأمون في سنة (١٩٩ هـ) بمكة ، واتبعته الزيدية الجارودية ، فخرج لقتاله عيسى الجلودي ففرق جمعه وأخذته وأنفذه إلى المأمون ، فلما وصل إليه أكرمه وأدى مجلسه منه وأحسن جائزته ، فكان مقيماً معه بخراسان حتى توفي بها .

وقيل : سافر مع المأمون حين عودته من خراسان إلى العراق ، فلما وصل المأمون جرجان قتله بالسهم ، وكان قبره معروفاً بجرجان إلى القرن الرابع ^(٢).

* * *

(١) رجال النجاشي : ٢٥١ / ٦٦٢ ، الفهرست / الطوسي : ١١٣ / ٣٧٩ ، رجال الطوسي : ٢٤١ / ٢٨٩ ، رجال الخلي : ٩٢ / ٤ ، تقريب التهذيب : ٢ / ٣٣ / ٣٠٤ ، تهذيب التهذيب : ٧ / ٢٩٣ / ٥٠٢ ، لسان الميزان : ٧ / ٣١٠ / ٤١٠١ ، شذرات الذهب : ٢ / ٢٤ ، العبير : ١ / ٨٢ ، عمدة الطالب : ١٩٥ و ٢٤١ ، تاريخ قم : ٢٢٤ ، مناقب ابن شهر آشوب : ٤ / ٢٨٠ ، بحار الأنوار : ٤٨ / ٣٠٠ ، معجم رجال الحديث / السيد الخوئي : ١١ / ٢٨٨ / ٧٩٦٥ ، مقدمة كتاب مسائل علي بن جعفر : ١٥ .

(٢) الارشاد : ٢ / ٢١٠ ، بحار الأنوار : ٤٨ / ٣٠٠ .

الفصل الرَّابِع

النص عليه بالإمامة

كل واحد من أئمة أهل البيت عليهم السلام إنما صار إماماً بعهد من الإمام الذي سبقه ، فضلاً عن النصوص الجامعة الواردة عن رسول الله صلى الله عليه وآله بأسمائهم عليهم السلام ، وحصال الكمال التي اجتمعت في نفوسهم ، وسبقم في العلم والمعرفة.

قال الشيخ المفيد : « وكان الإمام بعد أبي عبد الله عليه السلام ابنه أبا الحسن موسى ابن جعفر العبد الصالح عليه السلام ، لاجتماع خلال الفضل فيه والكمال ، ولنص أبيه بالإمامة عليه وإشارته بها إليه.

وكان عليه السلام أجلاً ولد أبي عبد الله عليه السلام قدراً ، وأعظمهم محلاً ، وأبعدهم في الناس صيتاً ، ولم ير في زمانه أسخى منه ، ولا أكرم نفساً وعشرة ، وكان أعبد أهل زمانه وأورعهم ، وأجلهم وأفقههم ، واجتمع جمهور شيعة أبيه على القول بإمامته ، والتعظيم لحقه ، والتسليم لأمره. ورووا عن أبيه عليه السلام نصوصاً كثيرة عليه بالإمامة ، وإشارات إليه بالخلافة ، وأخذوا عنه معالم دينهم ، ورووا عنه من الآيات والمعجزات ما يقطع بها على حجية وصواب القول بإمامته » ^(١).

وفيما يلي نذكر أهم الأدلة الواردة في إمامته عليه السلام وكما يلي :

(١) الارشاد ٢ : ٢١٤ .

أولاً - نص آبائه عليه السلام :

وردت المزيد من النصوص عن النبي والآل المعصومين عليهم السلام تصرح بتعيين أولياء النبي صلى الله عليه وآله وخلفائه من عترته واحداً بعد واحد بأسمائهم وأوصافهم بشكل يجعلو العمى عن البصائر وينفي الشك عن القلوب ، نكتفي هنا بالإشارة إلى أهم مظان الأحاديث الواردة عن آبائه المعصومين عليهم السلام^(١).

ثانياً - نص أبيه عليه السلام :

روى صريح النص بالإمامة على أبي الحسن موسى عليه السلام عن أبيه الصادق عليه السلام من شيوخ أصحاب أبي عبد الله عليه السلام وخاصته وبطانته وثقاته : كالمفضل بن عمر الجعفي ، ومعاذ بن كثير ، وعبد الرحمن بن الحجاج ، والفيض ابن المختار ، ويعقوب السراج ، وسليمان بن خالد ، وصفوان بن مهران الجمال ، وحمزان بن أعين ، وأبي بصير ، وداود الرقي ، ويزيد بن سليط ، ويونس بن ظبيان وغيرهم. وروى ذلك من أخوته : إسحاق وعلي ابنا جعفر ، وكانا من الفضل والورع على ما لا يختلف فيه اثنان^(٢).

فيما يلي نعرض مختاراً من أهم النصوص الواردة عن أبيه عليه السلام في النص عليه والإشارة إليه بالإمامة من بعده :

١ - عن الفيض بن المختار ، قال : « قلت لأبي عبد الله عليه السلام خذ بيدي من النار ، من لنا بعدك ؟ فدخل عليه أبو إبراهيم عليه السلام ، وهو يومئذ غلام ، فقال : هذا

(١) أصول الكافي ١ : ٢٨٦ - باب ما نص الله ورسوله صلى الله عليه وآله على الأئمة عليهم السلام واحداً فواحداً ، إكمال الدين : ٢٥٠ - ٣٧٨ - الأبواب ٢٣ - ٣٦ ، بحار الأنوار ٣٦ : ١٩٢ - ٤١٨ - باب ٤٠ - ٤٨ .

(٢) الارشاد ٢ : ٢١٤ ، مناقب آل أبي طالب ٣ : ٤٣٤ .

صاحبكم ، فتمسك به »^(١).

٢ — عن معاذ بن كثير ، عن أبي عبد الله عليه السلام ، قال : « قلت له : أسأل الله الذي رزق أباك منك هذه المتزلة أن يرزقك من عقبك قبل الممات مثلها ، فقال : قد فعل الله ذلك ، قال : قلت : من هو جعلت فداك ؟ فأشار إلى العبد الصالح وهو راقد فقال : هذا الراقد ، وهو غلام »^(٢).

٣ — عن عبد الرحمن بن الحجاج ، قال : « دخلت على جعفر بن محمد عليه السلام في منزله ، فإذا هو في بيت كذا في داره في مسجد له ، وهو يدعو ، وعلى يمينه موسى ابن جعفر عليه السلام يؤمّن على دعائه ، فقلت له : جعلني الله فداك ، قد عرفت انقطاعي إليك وخدمتي لك ، فمن ولي الناس بعدك؟ فقال : إن موسى قد لبس الدرع واستوت عليه ، فقلت له : لا أحتاج بعد هذا إلى شيء »^(٣).

٤ — عن المفضل بن عمر ، قال : « كنت عند أبي عبد الله عليه السلام فدخل أبو إبراهيم عليه السلام وهو غلام ، فقال : استوص به ، وضع أمره عند من تثق به من أصحابك »^(٤).

٥ — إسحاق بن جعفر ، قال : « كنت عند أبي يوماً ، فسأله علي بن عمر بن علي ، فقال : جعلت فداك ، إلى من نفرع وينفرع الناس بعدك ؟ فقال : إلى صاحب الثوبين الأصفرين والغديرتين^(٥) ، وهو الطالع عليك من هذا الباب ، يفتح البابين بيده جميعاً ، فما لبثنا أن طلعت علينا كفان آخذة بالبابين ففتحهما ، ثم

(١) الكافي ١ : ٣٠٧ / ١ .

(٢) الكافي ١ : ٣٠٨ / ٢ .

(٣) الكافي ١ : ٣٠٨ / ٣ .

(٤) الكافي ١ : ٣٠٨ / ٤ .

(٥) يعني الذؤابتين.

الإمام الكاظم عليه السلام سيرة وتاريخ ١١٠
دخل علينا أبو إبراهيم عليه السلام « (١) .

٦ — عن صفوان الجمال ، عن أبي عبد الله عليه السلام ، قال : « قال له منصور بن حازم : بأبي أنت وأمي ، إن الأنفس يُغدى عليها ويُراح ، فإذا كان ذلك فمن ؟ فقال أبو عبد الله عليه السلام : إذا كان ذلك فهو صاحبكم ، وضرب بيده على منكب أبي الحسن الأيمن — في ما أعلم — وهو يومئذ خماسي ، وعبد الله بن جعفر جالس معنا » (٢) .

٧ — عن عيسى بن عبد الله بن محمد بن علي بن أبي طالب ، عن أبي عبد الله عليه السلام ، قال : « قلت له : إن كان كون — ولا أراي الله ذلك — فبمن أئتمم ؟ قال : فأوماً إلى ابنه موسى عليه السلام » (٣) .

٨ — عن المفضل بن عمر ، قال : « ذكر أبو عبد الله عليه السلام أبا الحسن عليه السلام وهو يومئذ غلام ، فقال : هذا المولود الذي لم يولد فينا مولود أعظم بركة على شيعتنا منه » (٤) .

٩ — عن فيض بن المختار — في حديث طويل — قال أبو عبد الله مشيراً إلى ولده أبي الحسن موسى عليه السلام : « هو صاحبك الذي سألت عنه ، فقم إليه فأقر له بحقه ، فقامت حتى قبلت رأسه ويده ، ودعوت الله عزّ وجلّ له » (٥) .

١٠ — عن طاهر بن محمد ، قال : « كان أبو عبد الله عليه السلام يلوم عبد الله ويعاتبه ويعظه ويقول : ما منعك أن تكون مثل أخيك ؟! فوالله إني لأعرف النور في

(١) الكافي ١ : ٣٠٨ / ٥ .

(٢) الكافي ١ : ٣٠٩ / ٦ .

(٣) الكافي ١ : ٣٠٩ / ٧ .

(٤) الكافي ١ : ٣٠٩ .

(٥) الغيبة / النعماني : ٣٤٤ / ٢ .

الفصل الرابع : النص عليه بالامامة ١١١

وجهه. فقال عبد الله : لِمَ؟ أليس أبي وأبوه واحداً ، وأمي وأمه واحدة؟! (١) ، فقال له أبو عبد الله عليه السلام : انه من نفسي وأنت ابني « (٢).

١١ — عن يعقوب السراج ، قال : « دخلت على أبي عبد الله عليه السلام وهو واقف على رأس أبي الحسن موسى عليه السلام وهو في المهد ، فجعل يساره طويلاً ، فجلست حتى فرغ ، فقممت إليه فقال لي : ادنُ من مولاك فسلم ، فدنوت فسلمت عليه... » (٣).

١٢ — عن سليمان بن خالد ، قال : « دعا أبو عبد الله عليه السلام أبا الحسن عليه السلام يوماً ونحن عنده ، فقال لنا : عليكم بهذا ، فهو والله صاحبكم بعدي » (٤).

١٣ — عن صفوان الجمال ، قال : « سألت أبا عبد الله عليه السلام عن صاحب هذا الأمر ، فقال : إن صاحب هذا الأمر لا يلهو ولا يلعب ، وأقبل أبو الحسن موسى عليه السلام وهو صغير ومعه عناق مكية ، وهو يقول لها : اسجدي لربك ، فأخذه أبو عبد الله عليه السلام وضمّه إليه ، وقال : بأبي وأمي من لا يلهو ولا يلعب » (٥).

١٤ — عن فيض بن المختار ، قال : « إني لعند أبي عبد الله عليه السلام إذ أقبل أبو الحسن موسى عليه السلام وهو غلام ، فالتزمته وقبلته ، فقال أبو عبد الله عليه السلام : أنتم السفينة وهذا ملاحها ، قال : فحججت من قابل ومعى ألفا دينار ، فبعثت بألف إلى أبي عبد الله عليه السلام ، وألف إليه ، فلما دخلت على أبي عبد الله عليه السلام قال : يا فيض

(١) في الارشاد واعلام الورى : أصلي وأصله واحداً.

(٢) الكافي ١ : ٣١٠ / ١٠.

(٣) الكافي ١ : ٣١٠ / ١١.

(٤) الكافي ١ : ٣١٠ / ١٢.

(٥) الكافي ١ : ٣١١ / ١٥.

الإمام الكاظم عليه السلام سيرة وتاريخ ١١٢
عدلته بي ؟ قلت : إنما فعلت ذلك لقولك ، فقال : أما والله ما أنا فعلت ذلك ، بل
الله عز وجل فعله به ^(١) .

١٥ — عن محمد بن الوليد ، قال : « سمعت علي بن جعفر الصادق عليه السلام يقول :
سمعت أبي جعفر بن محمد عليه السلام يقول لجماعة من خاصته وأصحابه : استوصوا
بابني موسى خيراً ، فإنه أفضل ولدي ومن أحلف من بعدي ، وهو القائم
مقامي ، والحجة لله تعالى علي كافة خلقه من بعدي » ^(٢) .

١٦ — عن إبراهيم الكرخي ، قال : « دخلت على أبي عبد الله عليه السلام ، فإني
لجالس عنده ، إذ دخل أبو الحسن موسى بن جعفر عليه السلام وهو غلام ، فقامت إليه
فقبلته وجلست ، فقال أبو عبد الله عليه السلام : يا إبراهيم ، أما أنه صاحبك من بعدي ،
أما ليهلكن فيه قوم ويسعد آخرون ، فلعن الله قاتله وضاعف على روحه
العذاب » ^(٣) .

١٧ — عن يزيد بن سليلط الزيدي ، قال : « لقينا أبا عبد الله جعفر
الصادق عليه السلام في الطريق قاصداً إلى مكة ونحن جماعة ، فقلت له : بأبي أنت وأمي ،
أنتم الأئمة المطهرون ، والموت لا يتعري منه أحد ، فأحدث إليّ شيئاً ألقى به إلى ما
يخلفني . فقال لي : نعم ، هؤلاء ولدي ، وهذا سيدهم — وأشار إلى ابنه موسى
الكاظم — ففيه العلم والحكمة والفهم والسخاء والمعرفة فيما يحتاج إليه
الناس فيما اختلفوا فيه من أمر دينهم ، وفيه حسن الخلق وحسن الجوار ،
وهو باب من أبواب الله عزّ وجلّ » ^(٤) .

(١) الكافي ١ : ٣١١ / ١٦ .

(٢) اعلام الوری : ٢٩١ ، بحار الأنوار ٤٨ : ٢٠ / ٣٠ .

(٣) إكمال الدين : ٣٣٤ / ٥ و ٦٤٧ / ٨ ، الغيبة / النعماني : ٩٠ / ٢١ .

(٤) الكافي ١ : ٣١٣ / ١٤ ، عيون أخبار الرضا ١ : ٢٣ / ٩ .

١٨ — وعن سلمة بن محرز ، قال : « قلت لأبي عبد الله عليه السلام : إن رجلاً من العجلية ^(١) ، قال لي : كم عسى أن يبقى لكم هذا الشيخ ، إما هو سنة أو سنتين حتى يهلك ، ثم تصيرون ليس لكم أحد تنظرون إليه ؟ فقال أبو عبد الله عليه السلام : ألا قلت له : هذا موسى بن جعفر قد أدرك ما يدرك الرجال » ^(٢).

١٩ — يزيد بن أسباط ، قال : « دخلت على أبي عبد الله عليه السلام في مرضته التي مات فيها ، فقال لي : يا يزيد ، أترى هذا الصبي ؟ إذا رأيت الناس قد اختلفوا فيه فاشهد علي بأني أخبرتك أن يوسف إنما كان ذنبه عند أخوته حتى طرحوه في الجبّ الحسد له حين أخبرهم أنه رأى أحد عشر كوكباً والشمس والقمر وهم له ساجدون ، وكذلك لا بدّ لهذا الغلام من أن يحسد ، ثم دعا موسى عليه السلام ، وعبد الله ، وإسحاق ، ومحمداً ، والعباس ، وقال لهم : هذا وصي الأوصياء ، وعالم علم العلماء ، وشهيد على الأموات والأحياء ، ثم قال : يزيد ﴿ سَتَكْتُبُ شَهَادَتَهُمْ وَيَسْأَلُونَ ﴾ ^(٣).

هذه هي بعض أهم النصوص وأوثقها ، وهناك المزيد من النصوص نقتصر فقط على الإشارة إلى مظاهرها ^(٤).

وصية الصادق عليه السلام :

إن الباحث في نصوص الإمام جعفر الصادق عليه السلام على ابنه موسى الكاظم عليه السلام ، والمتصفح لتاريخ الحقبة التي أعقبت وفاة الإمام الصادق عليه السلام ،

(١) وهم طائفة من الغلاة.

(٢) عيون أخبار الرضا ١ : ٢٤ / ٢٠.

(٣) مناقب آل أبي طالب ٣ : ٤٣٤ . والآية من سورة الزخرف : ٤٣ / ١٩.

(٤) غيبة النعماني : ٣٤٢ ، الإمامة والتبصرة / ابن بابويه القمي : ٦٦ ، كفاية الأثر /

الخرزاق القمي : ٢٥٥ ، اعلام الورى ٢ : ١١ ، بحار الأنوار ٨٤ : ١٢.

تواجهه جملة أخبار يصرح بها الإمام عليه السلام بالوصية إلى خمسة أو ثلاثة نفر.

منها خبر أبي أيوب النحوي ، قال : بعث إليّ أبو جعفر المنصور في جوف الليل فأتيته ، فدخلت عليه وهو جالس على كرسي ، وبين يديه شمعة وفي يده كتاب ، فقال لي : هذا كتاب محمد بن سليمان يجربنا أن جعفر بن محمد قد مات ، فانا لله وإنا إليه راجعون ، وأين مثل جعفر ؟ ثم قال لي : اكتب ، قال : فكتبت صدر الكتاب ، ثم قال : اكتب إن كان أوصى إلى رجل واحد بعينه فقدمه واضرب عنقه ، قال : فرجع إليه الجواب أنه قد أوصى إلى خمسة ، وأحدهم أبو جعفر المنصور ، ومحمد بن سليمان ، وعبد الله ، وموسى ، وحميدة ، فقال أبو جعفر : ليس إلى قتل هؤلاء سبيل.

ونحوه عن النضر بن سويد إلا أنه ذكر أنه أوصى إلى أبي جعفر المنصور ، وعبد الله ، وموسى عليه السلام ، ومحمد بن جعفر ، ومولى لأبي عبد الله عليه السلام^(١).

وفي رواية ابن شهر آشوب أنه أوصى إلى ابنه عبد الله ، وموسى عليه السلام ، وأبي جعفر المنصور^(٢).

والإمام كما هو معهود لا يوصي إلى أكثر من واحد ، لكن شدة تطلب الإمام المنصوص عليه بعد الصادق عليه السلام من قبل رأس السلطة وإصراره على تصفيته ، كما هو صريح الأخبار ، حدا بالامام الصادق عليه السلام إلى أن يتحاشى الصراحة في النص على إمامة ولده الكاظم عليه السلام إلا للخواص من شيوخ أصحابه وخاصته وبطانته وثقاته الفقهاء الصالحين ، كما تقدم عن الشيخ المفيد وغيره^(٣) ، وشدد عليه الإمام الصادق عليه السلام وهو يوصي الفضل بن عمر ، مشيراً

(١) الكافي ١ : ٣١٠ .

(٢) مناقب آل أبي طالب ٣ : ٤٣٣ .

(٣) الارشاد ٢ : ٢١٤ ، مناقب آل أبي طالب ٣ : ٤٣٤ .

إلى الإمام الكاظم عليه السلام : « استوص به ، وضع أمره عند من تشق به من أصحابك » ^(١).

لكن بعد انتشار خير إمامة أبي الحسن الكاظم عليه السلام وتوسع قاعدته والتفاف وجوه أصحاب أبيه عليه السلام حوله ، ورجوع من قال بإمامة غيره إليه ، فقد روى النص ونقله ما لا يحصون كثرة من أصحاب الصادق عليه السلام ، قال أمين الإسلام الطبرسي : « إن الجماعة التي نقلت النص عليه من أبيه وجدته وآبائه عليهم السلام قد بلغوا من الكثرة إلى حد يمتنع معه منهم التواطؤ على الكذب ، إذ لا يحصرهم بلد ومكان ، ولا يضمهم صقع ، ولا يحصيهم إنسان » ^(٢).

إذن كان النص على أبي الحسن عليه السلام خاصاً في أول صدوره ، ولم يصدر بين ليلة وضحاها ، بل استغرق مدة طويلة ، وكان الصادق عليه السلام في كل مناسبة يحيط أصحابه علماً بذلك منذ أن أشرقت الدنيا بولادة الكاظم عليه السلام ، وحيث كان في المهد ، ويوم كان صبيّاً صغيراً وخماسياً وغلماً ، وحين أدرك ما يدرك الرجال ، وأخيراً في مرضته التي مات فيها ، كما صرحت النصوص المتقدمة. والطابع العام في كل تلك النصوص ، هو زيادة التأكيد على ضرورة الكتمان حتى عن عامة الشيعة ريثما يتهاى الجو المناسب لذلك ، خوفاً من مكائد السلطة الحاكمة التي كانت تبرص بالامام عليه السلام وتراقبه أشد المراقبة ، وتبيت الغدر والعدوان على حياته ، سيما في السنين الأخيرة من حياته المباركة.

ولعل رواية هشام بن سالم خير مؤشر على ذلك ، قال حين أوماً إليه رجل هو رسول الإمام الكاظم عليه السلام : « رأيت رجلاً شيخاً لا أعرفه ، يومئ إلى ييده ، فخفت أن يكون عيناً من عيون أبي جعفر المنصور ، وذلك أنه كان له بالمدينة

(١) الكافي ١ : ٣٠٨ / ٤ .

(٢) اعلام الوری ٢ : ١٠ .

حواسيس ينظرون إلى من اتفقت شيعة جعفر عليه فيضربون عنقه ، فخفت أن يكون منهم» ^(١).

من هنا فإن هذه الوصية أسهمت في الحفاظ على حياة الإمام عليه السلام واخفات الأضواء عليه في أيام المنصور العباسي على الأقل ، لأنه كان عازماً على قتل وصي الصادق عليه السلام ، وقد حققت تلك الوصية مراد الإمام الصادق عليه السلام ، مما لا يتحقق بقراع الأسنّة.

أبعاد الوصية ورمزيتها :

عرفنا أن الوصية لأكثر من واحد ، ما هي إلاّ تدير من قبل الإمام الصادق عليه السلام للحفاظ على حياة وصيه ، وعلى الرغم من صراحة ذكر الأسماء فيها إلاّ أنه كان بعض الأصحاب يدرك المغزى الحقيقي وراءها ، لأن الإمام لا يوصى إلاّ إلى واحد ، كما هو معهود ، فلما أوصى إلى أكثر من واحد ، تأملوا معنيّ رمزياً وبعداً موحياً من خلال النص.

فقد روى داود بن كثير الرقي قال : « أتى أعرابي إلى أبي حمزة ، وكان جالساً في لمة من أصحابه ، فسأله خبراً ، فقال : توفي جعفر الصادق عليه السلام ، فشهب شهقة وأغمي ، فلما أفاق قال : هل أوصى إلى أحد ؟ قال : نعم ، أوصى إلى ابنه عبد الله وموسى وأبي جعفر المنصور ، فضحك أبو حمزة وقال : الحمد لله الذي هدانا ولم يضلنا ، بين لنا عن الكبير ، ودلنا على الصغير ، وأخفى عن أمر عظيم ، فسئل عن قوله فقال : بين عيوب الكبير ، ودلّ على الصغير بأن أدخل يده مع الكبير ، وستر الأمر الخطير بالمنصور ، لأنه لو سأل المنصور عن الوصي ل قيل : أنت » ^(٢).

(١) الكافي ١ : ٣٥١.

(٢) مناقب آل أبي طالب ٣ : ٤٣٣.

وأشار الشيخ المفيد إلى بعض أبعاد الوصية ومعناها الرمزي بقوله : « قد تظاهر الخبر فيما كان عن تدبير أبي عبد الله جعفر بن محمد عليه السلام ، وحراسته ابنه موسى بن جعفر عليه السلام بعد وفاته من ضرر بوصيته إليه ، وأشاع الخبر عند الشيعة إذ ذاك باعتقاد إمامته من بعده ، والاعتماد في حجتهم على إفراده بوصيته مع نصه عليه بنقل خواصه. فعدل عن إقراره بالوصية عند وفاته ، وجعلها إلى خمسة نفر : أولهم المنصور وقدمه على جماعتهم إذ هو سلطان الوقت ومدبر أهله ، ثم صاحبه الربيع من بعده ، ثم قاضي وقته ، ثم جاريتيه وأم ولده حميدة البربرية ، وختمهم بذكر ابنه موسى بن جعفر عليه السلام يستر أمره ويحرس بذلك نفسه. ولم يذكر مع ولده موسى أحداً من أولاده ، لعلمه بأن منهم من يدعي مقامه من بعده ، ويتعلق بادخاله في وصيته. ولو لم يكن موسى عليه السلام ظاهراً مشهوراً في أولاده معروف المكان منه وصحة نسبه واشتهار فضله وعلمه وحكمته وامتناله وكماله ، بل كان مثل ستر الحسن عليه السلام ولده ، لما ذكره في وصيته ، ولاقتصر على ذكر غيره ممن سميناه ، لكنه ختمهم في الذكر به كما بيناه » ^(١).

إمامة الكاظم عليه السلام :

استقبل الإمام الكاظم عليه السلام إمامته في جو مخفوف بالمخاطر ، فمن جهة يواجه سلطة تراقبه وتذكي عيونها لتبطل به ، فهو يضطر إلى الاستمرار في اتباع أسلوب الحذر والكتمان من إبداء أي نشاط يدل على إمامته لشدة طلب المنصور لصاحب الوصية من أهل البيت عليهم السلام بعد الإمام الصادق عليه السلام ، ومن جانب آخر هو مطالب برفع الحيرة عن شيعته ، الذين قال بعضهم بإمامة غيره ، وذلك يستوجب إظهار النص ونشره إلى أوسع قاعدة من أصحابه.

(١) المسائل العشر في الغيبة : ٧٠ — ٧١.

كان الإمام الكاظم عليه السلام في تباشير إمامته لا يباشر النص حتى لأصحابه ، ففي رواية هشام بن سالم الذي جاء متحرياً عنه ، قال : « فقلت له : جعلت فداك ، مضى أبوك ؟ قال : نعم. قال : جعلت فداك ، مضى في موت ؟ قال : نعم ^(١). قلت : جعلت فداك ، فمن لنا بعده ؟ فقال : إن شاء الله يهديك هُداك. قلت : جعلت فداك ، إن عبد الله يزعم أنه من بعد أبيه؟ فقال : يريد عبد الله أن لا يعبد الله ، قال : قلت له : جعلت فداك ، فمن لنا بعده؟ فقال : إن شاء الله أن يهديك هُداك أيضاً. قلت : جعلت فداك ، أنت هو ؟ قال : ما أقول ذلك. قلت في نفسي : لم أصب طريق المسألة. قال : قلت : جعلت فداك ، عليك إمام ؟ قال : لا ، فدخلى شيء لا يعلمه إلا الله إعظماً له وهيبه ، أكثر ما كان يحل بي من أبيه إذا دخلت عليه ^(٢).

يتبين من خلال مقاطع هذا الحوار مدى الحذر الذي يبديه الإمام عليه السلام حتى مع أقرب أصحابه ، خشية من أن يشيع الخبر ولو من غير قصد. وفي مقطع آخر يشير إلى تربص السلطة به وبأصحابه ، ويأخذ على صاحبه بالسرية إلا لمن يطمئن له ، ويكرر محذراً كلمة الذبح مرتين ، قال : « قلت : جعلت فداك ، أسألك عما كان يسأل أبوك ؟ قال : سل تخبر ولا تذع ، فإن أذعت فهو الذبح. قال : فسألته فإذا هو بجر. قال : قلت : جعلت فداك ، شيعتك وشيعة أبيك ضلال فالقي إليهم وأدعوهم إليك ، فقد أخذت عليّ الكتمان ؟ قال : من آنت منهم رشداً فألق إليهم ، وخذ عليهم الكتمان ، فإن أذاعوا فهو الذبح. وأشار بيده إلى حلقه ^(٣).

(١) فيه إشارة إلى التأثير بادعاء البعض غيبته ، وهم الناووسية.

(٢) الكافي ١ : ٣٥١.

(٣) الكافي ١ : ٣٥١.

وكان لأصحاب الأئمة دور في تمييز الحق بطرق ألفوها مع سائر الأئمة عليهم السلام عند ضباية النص لظروف خاصة ، وذلك من خلال تفوق الإمام بالعلم ، وظهور الكرامات على يده ، والأمارات التي تساعدهم في المعرفة على أنه صاحب الملكة النفسانية الرادعة عن المعاصي المسماة بالعصمة من بين سائر أولاد الإمام ، ومن بين الطرق التي تميز المدعي من غيره الاختبار العلمي ، وأخيراً لا يقطعون عليه إلا بعد تحري النص.

وهناك عدة روايات تدل على تشخيص خالص أصحاب الإمام الكاظم عليه السلام للإمام الحق ، وإسقاطهم المدعين للإمامة ، من خلال دقة تحريهم في هذا الأمر الخطير ، منها رواية هشام بن سالم المتقدمة ، التي يذهب بها إلى أسلوب اختبار المقدرة العلمية فضلاً عن النص ، قال : « كنا في المدينة أنا ومحمد ابن النعمان صاحب الطاق والناس مجتمعون على عبد الله بن جعفر على أنه صاحب الأمر بعد أبيه ، فدخلنا عليه والناس عنده ، فسألناه عن الزكاة في كم تجب ، فقال : في مائتي درهم خمسة دراهم ، فقلنا له : ففي مائة ؟ قال : درهمان ونصف ، قلنا : والله ما تقول المرجئة هذا. فقال : والله ما أدري ما تقول المرجئة.

من هنا أسقطوا عبد الله من الإمامة ، فتوجهوا إلى أبي الحسن عليه السلام ، فقال هشام قلت : جعلت فداك ، أسألك عما كان يُسأل أبوك ؟ قال : سل تخبر ولا تدع ، فإن أذعت فهو الذبح. قال : فسألته فإذا هو بجر. إلى أن قال : ثم لقينا الناس أفواجاً ، فكان كل من دخل عليه قطع عليه ، وفي كل ذلك يوصي أصحابه بالكتمان » ^(١).

(١) الكافي ١ : ٣٥١.

ومنها حديث محمد بن أبي عمير ، وحديث أبي جعفر محمد بن إبراهيم النيسابوري ^(١) ، إذ توجهها إلى عبد الله بن جعفر بمسائل عرفا من خلالها أنه ليس بصاحبها.

وأخيراً استطاع أبو الحسن الكاظم عليه السلام التوفيق بين حالة الكتمان والإعلان ، عن طريق التصريح بالوصية لخاصته وخلص أصحابه ، وأخذ الحيلة والحذر عليهم ريثما تتوفر الفرصة المناسبة لذلك ، وفي أيام المهدي العباسي اشتهر الإمام عليه السلام وتوسعت قاعدة مرجعيته ، بعد أن تساقط المدعين للإمامة واهتدى إليه أكثر من لم يقل بإمامته ، ورجعوا إليه في أمور دينهم.

حجتهما داخضة :

ذكرنا أن الظروف القاهرة جعلت الإمام الصادق عليه السلام يوصى إلى أكثر من واحد ، وجعلت الإمام بعده يضطر إلى أسلوب الكتمان ، حتى أن الرواة من خالص أصحابه كانوا إذا أسندوا الحديث إليه لا يصرحون باسمه تقيّة عليه ، من هنا استغل بعض الطامعين تلك الظروف ، فتمصّوا المنصب الإلهي الخطير ، وارتدوا غير ردائهم ، وأعلنوا إمامتهم ، كما أن الشيعة ممن لم يصلهم النص الذي اقتصر على الخواص مع أمر الكتمان اختلفوا بعد وفاة أبي عبد الله عليه السلام على أقوال سرعان ما انتهت جميعاً إلى القول بإمامة موسى عليه السلام .

فقال يقول : إن الصادق عليه السلام لم يموت ولا يموت حتى يظهر فيملاً الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً لأنه القائم المهدي ، وهم الناووسية ^(٢) ،

(١) الثاقب في المناقب / محمد الطوسي : ٤٤٢ ، الخرائج والجرائح ١ : ٣٢٨ .

(٢) وهم فرقة من الغلاة ، منسوبون إلى عبد الله بن ناووس المصري — أو البصري — ، وقيل عجلان بن ناووس ، نسبة إلى ناووسا . المقالات والفرق / الأشعري : ٢١٢ .

وقولهم باطل لقيام الدليل على موته كقيامه على موت آبائه عليهم السلام ، وبانقراض هذه الفرقة بأسرها ، ولو كانت على شيء من البرهان لما انقرضت ^(١).

وقائل يقول بإمامة عبد الله بن جعفر ، وهم الفطحية ^(٢) ، وقولهم باطل لأنهم لم يعملوا في ذلك على نص عليه من أبيه بالإمامة ^(٣) ، وإنما عولوا في ذلك على أنه أكبر ولده ، وما روه أن الإمامة تكون في الأكبر ، وهذا حديث لم يرو قط إلا مشروطاً ، وهو أن الإمامة تكون في الأكبر ما لم تكن به عاهة ، وتواتر الخبر أن عبد الله كان به عاهة في الدين ، لأنه كان يذهب إلى مذاهب المرجئة ^(٤) ، الذين يقعون في علي عليه السلام وعثمان ، وأن أبا عبد الله عليه السلام قال وقد خرج من عنده : « عبد الله هذا مرجئ كبير » ^(٥). ودخل عليه عبد الله يوماً وهو يحدث أصحابه ، فلما رآه سكت حتى خرج ، فسئل عن ذلك فقال : « أو ما علمتم أنه من المرجئة » ^(٦).

(١) اعلام الورى ٢ : ٨ ، الفصول المختارة / السيد المرتضى : ٣٠٥.

(٢) سُميت بذلك لأن رئيساً لها يقال له عبد الله بن أفضح ، ويقال : انه كان أفضح الرجلين ، ويقال : بل كان أفضح الرأس ، ويقال : إن عبد الله كان هو الأفضح. أي أفضح الرأس ، بمعنى أنه كان ذا رأسٍ عريض ، أو أفضح الرجلين ، وهو أن يرتفع أخص قدمه.

(٣) فالرواية التي ورد فيها اسمه كانت للتمويه كما تقدم ، لذا لم يرو فيه نص خاص بمفرده ، وإنما ورد النص الخاص بموسى عليه السلام فيما أوردناه في محله.

(٤) وهم القائلون : لا يضرب مع الإيمان معصية ، كما لا ينفع مع الكفر طاعة ، وقالوا : الإيمان قول بلا عمل ، كأهم قدموا الإيمان وأرجأوا العمل ، أي أخروه ، لأنهم يرون أنهم لو لم يصلوا ولم يصوموا بنحاهم لإيمانهم ، وقد أسقطوا الوعيد جملة عن المسلمين. معجم الفرق الإسلامية / شريف يحيى الأمين : ٢١٩.

(٥) الفصول المختارة : ٢٥٣.

(٦) الفصول المختارة : ٢٥٣.

هذا مع أن عبد الله لم يكن له من العلم ما يتخصص به من العامة ، ولا روي عنه شيء من الحلال والحرام ، ولا كان بمتزلة من يُستفتى في الأحكام ، وقد ادّعى الإمامة بعد أبيه فامتحن بمسائل صغار فلم يجب عنها ، فأى علة أكبر مما ذكرناه تمنع من إمامة هذا الرجل !؟

مع أنه لو لم تكن علة تمنع من إمامته لما جاز من أبيه صرف النص عنه ، ولو لم يكن قد صرفه عنه لأظهره فيه ، ولو أظهره لنقل وكان معروفاً في أصحابه ، وفي عجز القوم عن التعلق بالنص عليه دليل على بطلان ما ذهبوا إليه ، وأيضاً فإنهم رجعوا عن ذلك ، إلا شذاذ منهم ، وانقرضت الجماعة الشاذة أيضاً فلا يوجد منهم أحد ^(١).

وقال فيه الصادق والكاظم عليه السلام أحاديث كثيرة تدل على نفي الإمامة عنه ، منها قول الصادق لأصحابه قبل وفاته : « انه ليس على شيء مما أنتم عليه » ^(٢) ، وقوله في الحديث المتقدم في النصوص : عن طاهر بن محمد ، قال : « كان أبو عبد الله عليه السلام يلوم عبد الله ويعاتبه ويعظه ويقول : ما منعك أن تكون مثل أخيك ؟! فوالله إني لأعرف النور في وجهه . فقال عبد الله : لم ؟ أليس أبي وأبوه واحداً ، وأمِّي وأمُّه واحدة ؟! ، فقال له أبو عبد الله عليه السلام : إنه من نفسي وأنت ابني » ^(٣).

وحديث محمد بن حمران : عن أبي الحسن موسى عليه السلام ، قال : « قلت له : أكان عبد الله إماماً ؟ فقال : لم يكن كذلك ، ولا أهل لذلك ، ولا موضع ذاك » ^(٤).

(١) الفصول المختارة : ٣٠٧.

(٢) الإمامة والتبصرة : ٧٣.

(٣) الكافي ١ : ٣١٠ / ١٠.

(٤) الإمامة والتبصرة : ٧٢.

ومنهم من قال بإمامة إسماعيل بن جعفر على اختلاف بينهم ، فمنهم من أنكر وفاة إسماعيل في حياة أبيه ، وزعم أنه بقي ونص أبوه عليه ، وهم شذاذ. ومنهم من قال : إن إسماعيل توفي في زمن أبيه ، غير أنه قبل وفاته نص على ابنه محمد فكان الإمام بعده ، وهؤلاء هم : القرامطة ، نسبوا إلى رجل يقال له : قرمطويه ، ويقال لهم : المباركية ، نسبة إلى المبارك مولى إسماعيل بن جعفر عليه السلام .

وأما ما اعتلت به الإسماعيلية من أن إسماعيل كان الأكبر ، وأن النص يجب أن يكون على الأكبر ، فمعلوم أن ذلك يجب إذا كان الأكبر باقياً بعد أبيه ، وأما إذا كان المعلوم من حاله أنه يموت في حياته ولا يبقى بعده ، فليس يجب ما ادعوه ، بل لا معنى للنص عليه ، ولو وقع لكان كذباً ، لأن معنى النص أن المنصوص عليه خليفة الماضي فيما كان يقوم به ، وإذا لم يبق بعده لم يكن خليفة ، فيكون النص حينئذ عليه كذباً لا محالة ، وإذا علم الله أنه يموت قبل الأول وأمره باستخلافه ، لكان الأمر بذلك عبثاً مع كون النص كذباً لأنه لا فائدة فيه ولا غرض صحيح ، فبطل ما اعتمدوه في هذا الباب.

فأما من ذهب إلى إمامة محمد بن إسماعيل بنص أبيه عليه ، فإنه منتقض القول فاسد الرأي ، من قبل أنه إذا لم يثبت لإسماعيل إمامة في حياة أبي عبد الله عليه السلام لاستحالة وجود إمامين في زمان واحد ، لم يجوز أن تثبت إمامة محمد ، لأنها تكون حينئذ ثابتة بنص غير إمام ، وذلك فاسد بالنظر الصحيح^(١).

فإذا فسدت الأقوال المتقدمة ثبتت إمامة أبي الحسن موسى عليه السلام ، وإلا أدى إلى خروج الحق عن جميع أقوال الأمة.

(١) الفصول المختارة : ٣٠٨ .

ثالثاً — شواهد أخرى :

هناك شهادات أخرى تؤكد كون الإمام الكاظم عليه السلام أحد الأئمة الاثني عشر أو سابعهم أو أحد الأوصياء أو إمام الحق وغيرها من الصفات ، نوردها — وإن كنا في غنى عنها — لأنها صدرت عن بعض أعدائه ومخالفيه ولو على سبيل نقل القول ، وهي تؤكد شهرة النص حتى عند المخالفين ، وفيما يلي نذكر مختاراً منها :

١ — روى المؤرخون عن هارون الرشيد أنه وصف الأئمة عليهم السلام من أمير المؤمنين إلى الإمام الكاظم بالأوصياء ، فقد دخل عليه علي بن حمزة الكسائي ، فأخبره الرشيد باختلاف الأمين والمأمون ، وما يقع بينهما من سفك الدماء وهتك الستور وكثرة القتلى ، فقال له الكسائي : أيكون ذلك — يا أمير المؤمنين — لأمرٍ رؤي في أصل مولدهما ، أو لآثرٍ وقع لأمر المؤمنين في أمرهما ؟ فقال : لا والله إلاّ بآثرٍ واجب حمله العلماء عن الأوصياء عن الأنبياء. قالوا : فكان المأمون يقول في خلافته : قد كان الرشيد سمع جميع ما جرى بيننا من موسى بن جعفر بن محمد ، فلذلك قال ما قال ^(١).

٢ — وقال الرشيد للمأمون : « يا بني هذا وارث علم النبيين ، هذا موسى بن جعفر عليه السلام ، إن أردت العلم الصحيح تجده عند هذا ، قال المأمون : فحينئذٍ انغرس في قلبي حبّهم » ^(٢). وقال في موضع آخر : « يا بني نحن أئمة الملك وهذا إمام الدين » ^(٣).

(١) مروج الذهب ٣ : ٣٥١ ، الفتوح / ابن أعثم ٤ : ٤١٦ ، الأخبار الطوال / الدينوري : ٥٦٦ — وفيه أن الداخل عليه كان الأصمعي.

(٢) أمالي الصدوق : ٣٠٧ / ١ ، عيون أخبار الرضا عليه السلام ١ : ٩٣ / ١٢.

(٣) الهداية الكبرى / الخصبي : ٢٧٢.

٣ - وقال الرشيد يصف الإمام الكاظم عليه السلام لابنه المأمون حين سأله عنه عند انصرافه من الموسم ، قال : « يا أمير المؤمنين ، من هذا الرجل الذي قد عظمته وأجللته ، وقمت من مجلسك إليه فاستقبلته ، وأعدتته في صدر المجلس وجلست دونه ، ثم أمرتنا بأخذ الركاب له ؟ قال : هذا إمام الناس ، وحجة الله على خلقه ، وخليفته على عباده. فقلت : يا أمير المؤمنين ، أليست هذه الصفات كلها لك وفيك !؟ فقال : أنا إمام الجماعة في الظاهر والغلبة والقهر ، وموسى بن جعفر إمام حق. والله يا بني ، انه لأحق بمقام رسول الله صلى الله عليه وآله مني ومن الخلق جميعاً ، والله لو نازعتني هذا الأمر لأخذت الذي فيه عينك ، فإن الملك عقيم » ^(١).

٤ - ابن خلكان ، قال : « أبو الحسن موسى الكاظم ابن جعفر الصادق ابن محمد الباقر ابن علي زين العابدين... أحد الأئمة الاثني عشر رضي الله عنهم أجمعين » ^(٢).

٥ - ابن العماد الحنبلي : قال في حوادث سنة (١٨٣ هـ) : « وفيها توفي السيد الجليل أبو الحسن موسى الكاظم ابن جعفر الصادق ، ... وهو أحد الأئمة الاثني عشر المعصومين على اعتقاد الإمامية » ^(٣).

٦ - اليافعي ، قال : « السيد أبو الحسن موسى الكاظم... كان صالحاً عابداً جواداً حليماً كبير القدر ، وهو أحد الأئمة الاثني عشر المعصومين في اعتقاد الإمامية ، وكان يدعى بالعبد الصالح من عبادته واجتهاده ، وكان سخياً كريماً » ^(٤).

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام ١ : ٨٨ / ١١ .

(٢) وفيات الأعيان ٥ : ٣٠٨ / ٧٤٦ .

(٣) شذرات الذهب ١ : ٣٠٤ .

(٤) مرآة الجنان ١ : ٣٩٤ .

الإمام الكاظم عليه السلام سيرة وتاريخ ١٢٦

٧ — عبد الوهاب الحنفي الشعراي ، قال : « أحد الأئمة الاثني عشر ، وهو ابن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين... كان يكنى العبد الصالح لكثرة عبادته واجتهاده وقيامه بالليل »^(١).

* * *

(١) الطبقات الكبرى : ٣٣.

الفصل الخامس

مكارم أخلاقه عليه السلام

إن كل واحد من أئمة الهدى من آل البيت عليه السلام هو نسخة ناطقة بمكارم أخلاق جددهم رسول الله ﷺ ، واختصار لشخصيته بجميع عناصرها الأخلاقية والروحية والإنسانية ، قال أبو عبد الله الصادق عليه السلام في وصف ولده أبي الحسن موسى عليه السلام كلمة اختصر فيها هذه الحقيقة : « إنه نبعة نبوة »^(١).

وهكذا كان الإمام الكاظم عليه السلام يتحلى كسائر آبائه الطاهرين بصفات الكمال ومعالي الأخلاق التي ميزت شخصيته العظيمة عن سائر من عاصره ، فلم ير مثله في غزارة العلم والحكمة والبلاغة والعبادة والانقطاع إلى الله ، وضرب أروع الأمثلة في الكرم والحلم والزهد والتقوى وحسن السيرة.

قال أبو عبد الله الصادق عليه السلام : « هؤلاء ولدي ، وهذا سيدهم — وأشار إلى ابنه موسى الكاظم — ففيه العلم والحكمة والفهم والسخاء والمعرفة فيما يحتاج إليه الناس فيما اختلفوا فيه من أمر دينهم ، وفيه حسن الخلق وحسن الجوار ، وهو باب من أبواب الله عز وجل »^(٢).

كان الإمام الكاظم عليه السلام يتحرك في المجتمع ضمن مجموعة من القيم يتصف بها ويوصي بها ويدافع عنها ، تلك هي قيم النبوة ومثل الإسلام التي أبعدها

(١) الكافي ٢ : ٤١٨ / ٣ .

(٢) الكافي ١ : ٣١٣ / ١٤ ، عيون أخبار الرضا عليه السلام ١ : ٢٣ / ٩ .

الإمام الكاظم عليه السلام سيرة وتاريخ ١٢٨
الحكام عن واقع الناس ، الأمر الذي جعل الإمام عليه السلام في موقع محبة الناس كلهم ،
كما فتح عليه باب الصراع مع الحكام في حرب باردة يتغاضى الكثيرون عن
ذكر أسبابها ، لكونها تتعلق بغيرة الحاكم وحسده وأنانيته وعدم التزامه .

من هنا نال الإمام عليه السلام اعجاب كبار العلماء والمحدثين ممن أدركه وغيرهم ،
على اختلاف مشاربهم وميولهم ، وكلهم أشاد بشخصيته الفذة وسجاياه
الحميدة ومعالي أخلاقه وتفوقه على سائر المعاصرين له .

قال أحمد بن حجر المهيتمي المكي في الإمام الكاظم عليه السلام : « هو وارث أبيه
علماً ومعرفةً وكمالاً وفضلاً ، سمي الكاظم لكثرة تجاوزه وحلمه ، وكان معروفاً
عند أهل العراق بباب قضاء الحوائج عند الله ، وكان أعبد أهل زمانه وأعلمهم
وأسخاهم » ^(١) .

وقال محمد بن طلحة الشافعي : « هو الإمام الكبير القدر ، العظيم الشأن ،
المجتهد الجاد في الاجتهاد ، المشهور بالكرامات ، يبيت الليل ساجداً وقائماً ،
ويقطع النهار متصديقاً وصائماً ، ونفطر حلمه وتجاوزه عن المعتدين عليه دعوى
كاظماً ، كان يجازي المسيء بإحسانه إليه ، ويقابل الجاني بعفوه عنه ، ولكثرة
عبادته كان يسمى بالعبد الصالح ، ويعرف بالعراق بباب الحوائج إلى الله ، لنجح
مطالب المتوسلين إلى الله تعالى به ، كراماته تُحار منها العقول ، وتقضى بأن له
عند الله تعالى قدم صدق لا تزل ولا تزول » ^(٢) .

في ما يلي نأتي إلى نبذة من الملكات القدسية الفذة والخصال الروحانية
الفريدة التي تحلى بها الإمام الكاظم عليه السلام من العلم والعبادة والزهد والكرم
والمرورة والتواضع والحلم والسماحة :

(١) الصواعق المحرقة : ١١٢ .

(٢) مطالب السؤول : ٧٦ .

أولاً - العلم :

استقى الإمام الكاظم علمه من أبيه أبي عبد الله الصادق عليه السلام ، مؤسس مدرسة أهل البيت العلمية الكبرى ، فقد نشأ ودرج في حجره ، وأخذ عنه العلم ، وورث منه مصادر الإيمان والحق ، وأثنى الإمام الصادق عليه السلام على قدراته العلمية ونبوغه منذ أن كان يافعاً في أكثر من مناسبة ، قال الإمام الرضا عليه السلام : « إن موسى بن جعفر عليه السلام تكلم يوماً بين يدي أبيه فأحسن ، فقال له : يا بني ، الحمد لله الذي جعلك خلفاً من الآباء ، وسروراً من الأبناء ، وعوضاً عن الأصدقاء »^(١).

كان عليه السلام أعلم أهل زمانه وأفقههم وأحفظهم لكتاب الله ، وكان يعرف بالعالم لسعة علمه وعمق حكمته ، ولما روي عنه في فنون العلم المختلفة.

واعترف له بالتقدم في العلم والفضل حتى أعدائه كما قدمنا^(٢).

وعلى صعيد رواية العلم فقد قال الشيخ المفيد : « وقد روى الناس عن أبي الحسن موسى عليه السلام فأكثروا »^(٣). واستطاع عليه السلام أن يتواصل مع نشاط مدرسة أبيه عليه السلام ، عن طريق الحفاظ على النخبة الصالحة من أقطابها الرواة الثقات والفقهاء والمؤلفين الذين أسهموا في رواية الحديث ونشر سائر علوم أهل البيت ، وقد بلغ عدد أصحابه الذين رووا عنه وغيرهم أكثر من خمسمائة^(٤) ،

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام ١ : ١٢٧.

(٢) راجع : عيون أخبار الرضا عليه السلام ١ : ٩٣ / ١٢ ، أمالي الصدوق : ٣٠٧ / ١.

(٣) الارشاد ٢ : ٢٣٥.

(٤) راجع : أحسن التراجم لأصحاب الإمام الكاظم عليه السلام / عبد الحسين الشيبستري. عدّ فيه ٥٣٣ رجلاً ممن روى عنه عليه السلام ، واستدرك سبعة غيرهم في آخر الكتاب.

الإمام الكاظم عليه السلام سيرة وتاريخ ١٣٠
منهم أخوه العالم الجليل علي بن جعفر ، الذي روى عنه شيئاً كثيراً ، وكان شديد
التمسك به عليه السلام والانقطاع إليه ، والتوفّر على أخذ معالم الدين منه ، وله مسائل
مشهورة عنه وجوابات رواها سماعاً منه ^(١).

وتوفّر أصحاب أبي الحسن عليه السلام على رواية العلم عنه ، ولم تكنهم حتى
ظروف السجن القاهرة عن الكتابة والرواية ، فقد كتب أبو عمران موسى بن
إبراهيم المروزي مسنداً رواه عن الإمام الكاظم عليه السلام وهو في سجن السندي ،
وكان المروزي يلي تعليم ولد السندي بن شاهك ^(٢).

وروى عنه العلماء والفقهاء على اختلاف آرائهم وتباين نزعاتهم ، ودونوا
عنه في كتبهم ومسانيدهم في شتى فروع العلم ، قال ابن شهر آشوب : « وذكر
عنه الخطيب في تاريخ بغداد ، والسمعاني في الرسالة القوامية ، وأبو صالح أحمد
المؤذن في الأربعين ، وأبو عبد الله بن بطة في الابانة ، والشعبي في الكشف
والبيان.

وكان أحمد بن حنبل مع انخرافه عن أهل البيت عليهم السلام لما روى عنه قال :
حدثني موسى بن جعفر ، قال : حدثني أبي جعفر بن محمد ، قال : حدثني أبي
محمد بن علي ، قال : حدثني أبي علي بن الحسين ، قال : حدثني أبي الحسين بن
علي ، قال : حدثني أبي علي بن أبي طالب ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله .
ثم قال أحمد : وهذا اسناد لو قرئ على المجنون لأفاق ^(٣).

لأنه إسناد رفيع يفتح على هذه الرموز كلها التي تمثل الثراء العلمي

(١) الارشاد ٢ : ٢١٤ و ٢٢٠ ، وكتاب مسائل علي بن جعفر متداول ومطبوع مع
مستدرك عليه بتحقيق مؤسسة آل البيت عليهم السلام .

(٢) طبع بتحقيق السيد محمد حسين الجلالي .

(٣) مناقب آل أبي طالب ٣ : ٤٣١ ، فصل في علمه عليه السلام .

والروحي كله ، في مواقع الحياة كلها ، وفي خطوط المسؤولية كلها.

وقال الذهبي : « الإمام ، القدوة ، السيد أبو الحسن العلوي ، والد الإمام علي بن موسى الرضا ، مدي نزل بغداد وحدث بأحاديث عن أبيه... له عند الترمذي وابن ماجه حديثان. غير أنه قال : روايته يسيرة لأنه مات قبل أوان الرواية » ^(١). ويفند ذلك ما تقدم من المصادر التي نقلت عنه عليه السلام وعدد الرواة الذين استقوا منه العلم ، والروايات الواردة عنه في أبواب الفقه المختلفة والتي جمعت وطبعت أخيراً في كتاب مستقل كبير ^(٢).

ثم أنه ليس ثمة زمن معين للرواية في مدرسة أهل البيت عليهم السلام ، بل ان التدوين والرواية لم يُمنع عندهم منذ فجر الإسلام حتى آخر الغيبة الصغرى للإمام المهدي عليه السلام وذلك سنة (٣٢٩ هـ) ، أما في مدرسة الخلافة فقد حظر تدوين الحديث الشريف منذ رحيل المصطفى صلى الله عليه وآله إلى زمان عمر بن عبد العزيز ، وإذا سلمنا أن الذهبي يريد بأوان الرواية ما بعد مدة الحظر ، فإن عهد الإمام موسى الكاظم عليه السلام خارج عن دائرة الحظر الزمنية.

النبوغ المبكر :

تميز الإمام الكاظم عليه السلام بنبوغه المبكر منذ نعومة أظفاره ، وقد توسم فيه أبو حنيفة هذا النبوغ وعلو الهمة ، وأذعن بتفوقه العلمي وسبقه المعرفي ولما يزل غلاماً صغيراً في الكتاب ، ذلك لأن علمه إلهامياً كعلم سائر الأنبياء والأوصياء ، وليس كسبياً كعلم بقية الناس.

روي عن أبي حنيفة النعمان بن ثابت ، قال : « دخلت المدينة فأتيت أبا عبد الله جعفر بن محمد عليه السلام فسلمت عليه ، وخرجت من عنده فرأيت ابنه موسى

(١) سير أعلام النبلاء ٦ : ٢٧٠.

(٢) هو مسند الإمام الكاظم عليه السلام للشيخ العطاردي.

الإمام الكاظم عليه السلام سيرة وتاريخ ١٣٢
في دهليزه قاعداً في مكتبته ، وهو صغير السن ، فقلت : أين يضع الغريب إذا كان
عندكم ، إذا أراد ذلك ؟ فنظر إليّ ثم قال : يجتنب شطوط الأنهار ، ومساقط
الثمار ، وأفنية الدار ، والطرق النافذة ، والمساجد ، ويضع بعد ذلك أين شاء.
فلما سمعت هذا القول نبيل في عيني ، وعظم في قلبي.

وقلت له : جعلت فداك ، ممن المعصية ؟ فنظر إليّ ، ثم قال : اجلس حتى
أخبرك. فجلست فقال : إن المعصية لا بدّ أن تكون من العبد ، أو من ربه ، أو
منهما جميعاً ، فإن كانت من الرب فهو أعدل وأنصف من أن يظلم عبده
ويؤاخذه بما لم يفعله ، وإن كان منهما جميعاً فهو شريكه ، فالقوي أولى
بإنصاف عبده الضعيف ، وإن كانت من العبد وحده فعليه وقع الأمر ، وإليه
توجه النهي ، وله حق الثواب والعقاب ، ولذلك وجبت له الجنة والنار.
ثم أنشأ يقول :

لم تخل أفعالنا التي نذم بها احدى ثلاث خصال حين نبيدها
أما تفرد بارينا بصنعتها فيسقط اللوم عنا حين نأتيها
أو كان يشركنا فيها فيلحقه ما كان يلحقنا من لائم فيها
أو لم يكن لإلهي في جنائتها ذنب فما الذنب إلاّ ذنب جانيتها
فلما سمعت ذلك قلت : ﴿ ذُرِّيَّةٌ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ ^(١).

ولا ريب أن غلاماً مهما بلغ من النضج والفتنة والذكاء لا يمكنه أن يحد
الموضوع بهذه الطريقة الجامعة المانعة ، إذا لم يكن متميزاً عن سائر أقرانه بالنبوغ
الذي ينم عن علم إلهامي كعلم الأنبياء والأوصياء.

وهناك المزيد من أمثال هذا الخبر وردت في مصادر الحديث والسير ، منها

(١) الكافي ٣ : ١٦ / ٥ ، التهذيب ١ : ٣٠ / ١٨ ، أمالي المرتضى ١ : ١٥٢ ، مناقب آل
أبي طالب ٣ : ٤٢٩ ، اعلام الوری ٢ : ٢٩ ، والآية من سورة آل عمران : ٣ / ٣٤.

حديث عيسى شلقان الذي جاء يسأل الإمام الصادق ﷺ عن حال أحد الرجال ، وهو أبو الخطاب ، فقال له : « ما يمنعك أن تلقى ابني فتسأله عن جميع ما تريد ؟ فذهب إليه وهو قاعد في الكتاب وعلى شفثيه أثر مداد ، فقال له : يا عيسى ، إن الله تبارك وتعالى أخذ ميثاق النبيين على النبوة فلن يتحولوا إلى غيرها أبداً ، وأخذ ميثاق الوصيين على الوصية فلن يتحولوا عنها أبداً ، وأعار قومًا الإيمان زماناً ثم سلبهم إياه ، وإن أبا الخطاب من أغير الإيمان ثم سلبه الله إياه .

فقال له الإمام الصادق ﷺ : يا عيسى ، إن ابني الذي رأيته لو سألته عما بين دفتي المصحف لأجابه فيه بعلم . قال عيسى : ثم أخرجه ذلك اليوم من الكتاب ، فعلمت عند ذلك أنه صاحب هذا الأمر » (١) .

وحديث محمد بن مسلم ، قال : « دخل أبو حنيفة على أبي عبد الله ﷺ فقال له : رأيت ابنك موسى يصلي والناس يمرون بين يديه فلا ينهاهم ، وفيه ما فيه ! فقال أبو عبد الله ﷺ : ادعوا لي موسى ، فدعي ، فقال له : يا بني ، إن أبا حنيفة يذكر أنك كنت تصلي والناس يمرون بين يديك ، فلم تنههم ؟ فقال ﷺ : نعم يا أبت ، إن الذي كنت أصلي له كان أقرب إليّ منهم ، يقول الله عزّ وجلّ : ﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴾ (٢) . قال : فضمه أبو عبد الله ﷺ إلى نفسه ، ثم قال : بأبي أنت وأمي ، يا مودع الأسرار » (٣) .

ثانياً — العبادة :

اتفق الناس على أن الإمام الكاظم ﷺ كان أعبد أهل زمانه ، ولقب بالعبد

(١) قرب الاسناد : ١٤٣ ، دلائل الإمامة : ١٦١ ، الخرائج والجرائح ٢ : ٦٥٣ / ٥ .

(٢) سورة ق : ٥٠ / ١٦ .

(٣) الكافي ٣ : ٢٩٧ / ٤ ، الاختصاص : ١٨٥ .

الإمام الكاظم عليه السلام سيرة وتاريخ ١٣٤
الصالح لكثرة عبادته وشدة انقطاعه إلى ربه ، وكان الناس بالمدينة يسمونه زين
المجاهدين ^(١) ، إذ لم يروا نظيراً له في الطاعة لله والاجتهاد في العبادة والتقوى ، فقد
عبد ربه حتى بدت عليه سيماء المخلصين ، على ما وصف المؤمن ، فاصفر وجهه ،
وضعف بدنه ، وكلم السجود جبهته وأنفه ^(٢) .

روي أنه عليه السلام كان يصلي نوافل الليل ويصلها بصلاة الصبح ، ثم يعقب حتى
تطلع الشمس ، ويحزّ الله ساجداً فلا يرفع رأسه من الدعاء والتمجيد حتى يقرب
زوال الشمس ، وكان يدعو كثيراً فيقول : « اللهم إني أسألك الراحة عند
الموت ، والعفو عند الحساب » ، ويكرر ذلك ^(٣) . وهذا مما ينبغي لكل واحد منا
أن يعيشه لأن الإنسان يمر بعقبتين عندما يموت ، فقد يموت متعباً من ذنوبه ،
مرهقاً من خطاياها ، قلقاً على مصيره ، وقد يموت تائباً مطمئناً فيعيش الراحة في
نفسه ، ويتقبل الموت بسرور ، وأما العقبة الثانية فهي عند الحساب ، لأن الذي
يحاسب عالم السر والنجوى ، لذلك فالإنسان يشعر بالخوف من الخسارة إلا أن
يأتيه العفو وتدركه الرحمة والغفران من الله سبحانه .

وكان من دعائه : « عظم الذنب من عبدك ، فليحسن العفو من عندك » ،
وكان يبكي من خشية الله حتى تخضل لحيته بالدموع ^(٤) . وهو عليه السلام هنا يتحدث
لا عن ذنب ، ولكن عن تواضع لله سبحانه ، وعن استغفار لمعنى الإنسان ومعنى
العبد في داخل ذاته المقدسة .

وذكر شقيق البلخي أنه يقوم في نصف الليل يصليّ بخشوع وأنين وبكاء ،

(١) الإرشاد ٢ : ٢٣٥ .

(٢) عيون أخبار الرضا عليه السلام ١ : ١١ / ٨٨ .

(٣) الإرشاد ٢ : ٢٣١ ، مناقب آل أبي طالب ٣ : ٤٣٢ ، إعلام الوري ٢ : ٢٦ .

(٤) الإرشاد ٢ : ٢٣١ ، مناقب آل أبي طالب ٣ : ٤٣٢ ، إعلام الوري ٢ : ٢٦ .

فلم يزل كذلك حتى يذهب الليل ، فلما رأى الفجر جلس في مصلاه يسبح ، ثم يقوم فيصلّي الغداة^(١) .

وكان ﷺ يعرف بحليف السجدة الطويلة والدمعة الغزيرة ، كما ورد في زيارته ، روي أنه دخل مسجد رسول الله ﷺ فسجد ليلة من العشاء إلى الفجر سجدة واحدة ، سمع يقول فيها ﷺ : « عظم الذنب من عبدك ، فليحسن العفو من عندك ، يا أهل التقوى ويا أهل المغفرة » ، وجعل يرددّها حتى أصبح^(٢) .

وروي عنه أنه كان يستغفر الله في كل يوم خمسة آلاف مرة^(٣) .

أما أوراده مع كتاب الله فكان يتلو القرآن متديراً في آياته ، مستبصراً في أوامره ونواهيه ، وروي أنه كان أحفظ الناس بكتاب الله تعالى ، وأحسنهم صوتاً به ، وكان إذا قرأ تحزّن وبكى ، وبكى السامعون لتلاوته^(٤) .

وإنما كان ﷺ يقرأ بالصوت الحسن الذي يخشع السامعون إذا سمعوه ، لأن الصوت الحسن يعطي الكلمة القرآنية تجسيداً حياً بحيث تملأ عقل السامع وقلبه ، فتتعمق فيه أكثر مما إذا قرأت بشكلها الطبيعي .

أما البكاء فهو بكاء خشية من خلال تمثل عظمة الله في نفسه ، إذ ليس من الضروري أن تكون الخشية فرقا من النار ، ولكن الخشية هي التي يختلط فيها

(١) كشف الغمة ٣ : ٣ ، نور الأبصار : ١٤٩ ، تذكرة الخواص : ٣٤٨ ، صفة الصفوة ٢ :

١٨٥ ، الفصول المهمة : ٢٣٣ ، إسعاف الراغبين : ٢٤٧ ، دلائل الإمامة : ١٥٢ ، مطالب السؤول : ٨٣ .

(٢) تاريخ بغداد ١٣ : ٢٩ .

(٣) الزهد / الحسين بن سعيد : ٧٤ / ١٩٩ .

(٤) مناقب آل أبي طالب ٣ : ٤٢٣ ، روضة الواعظين : ٢١٦ ، إعلام الوري ٢ : ٣١ .

الإمام الكاظم عليه السلام سيرة وتاريخ ١٣٦
الإحساس بالعظمة بالشعور بالفرح في الجلوس بين يدي الله ومخاطبته.

عن حفص قال : « ما رأيت أحداً أشد خوفاً على نفسه من موسى بن جعفر عليه السلام ، ولا أرحى للناس منه ، وكانت قراءته حزناً ، فإذا قرأ فكأنه يخاطب إنساناً » ^(١).

وكان عليه السلام يسارع إلى فعل الطاعات وإلى كل ما ندب الله إليه برغبة وإخلاص ، فكان يعتمر ماشياً مع عياله وأهله والنجائب تُقاد بين يديه ، قال علي بن جعفر : « خرجنا مع أخي موسى بن جعفر عليه السلام في أربع عمر يمشي فيها إلى مكة بعياله وأهله ، واحدة منهن مشى فيها ستة وعشرين يوماً ، وأخرى خمسة وعشرين يوماً ، وأخرى أربعة وعشرين يوماً ، وأخرى واحداً وعشرين يوماً » ^(٢).

أما السجن فقد سخره الإمام الكاظم عليه السلام للعبادة والطاعة والهداية ، فكان عليه السلام في السجن سيد العابدين الشاكرين لله ، لأنه فرّغه لعبادته وطاعته ، روي أن بعض عيون عيسى بن جعفر رفع إليه أنه يسمعه كثيراً يقول في دعائه : « اللهم إنك تعلم أنني كنت أسألك أن تفرغني لعبادتك ، اللهم وقد فعلت ، فلك الحمد » ^(٣).

كان عليه السلام يريد أن يعيش مع الله ليله ونهاره ، وأن يناجيه ويبتهل إليه ، وأن يتحدث معه حديث الحبيب إلى حبيبه ، وكانت أشغاله قد تحول بينه وبين ذلك ، وإن كانت أشغاله عباده متحركة مع الله ، لكنه أراد عبادة المناجاة وعبادة الروح وعبادة الانقطاع والتفرغ إلى الله من موقع القلب المفتوح عليه سبحانه ، ولذلك

(١) الكافي ٢ : ٦٠٦ / ١٠ .

(٢) قرب الاسناد / الحميري : ١٦٥ .

(٣) الارشاد ٢ : ٢٤٠ ، الفصول المهمة : ٢٢٠ ، مناقب آل أبي طالب ٣ : ٤٤٠ .

فإنه يحمد الله على سجنه ، كما لو كان نعمة أنعمها الله عليه .

فكان ﷺ يجي الليل كله قياماً للصلاة وقراءة للقرآن ودعاءً ، ويمضي نهاره صياماً ، ويطيل السجود حتى تخاله كالثوب المطروح .

وحيثما رآه هارون في السجن عبّر عن دهشته من شدة انقطاعه وكثرة عبادته ، فما تمالك نفسه أن قال : أما إن هذا من رهبان بني هاشم ^(١) .

وهكذا حال جميع من مكث في سجنه ، فقد دخل عبد الله القروي على الفضل بن الربيع وهو جالس على سطح ، فأمره أن يشرف إلى البيت في الدار ، فقال له : « ما ترى في البيت ؟ قال : ثوباً مطروحاً ، ثم نظر وتأمل فتيقن أنه رجل ساجد ، فقال له : هذا أبو الحسن موسى بن جعفر ، إني أتفقده الليل والنهار ، فلم أجد في وقت من الأوقات إلا على الحال التي أخبرك بها ، أنه يصلي الفجر فيعقب ساعة في دبر صلاته إلى أن تطلع الشمس ، ثم يسجد سجدة فلا يزال ساجداً حتى تزول الشمس ، وقد وكل من يترصد له الزوال ، فلست أدري متى يقول الغلام : قد زالت الشمس ، إذ يثب فيتدئ بالصلاة من غير أن يجد وضوءاً ، فاعلم أنه لم ينم في سجوده ولا أغفى ، فلا يزال كذلك إلى أن يفرغ من صلاة العصر ، فإذا صلى العصر سجد سجدة ، فلا يزال ساجداً إلى أن تغيب الشمس ، فإذا غابت وثب من سجده فصلى المغرب من غير أن يحدث حدثاً ، ولا يزال في صلاته وتعقيبه إلى أن يصلي العتمة ، فإذا صلى العتمة أفطر ، ثم يجد الوضوء ثم يسجد ، ثم يرفع رأسه فينام نومة خفيفة ، ثم يقوم فيجدد الوضوء ، ثم يقوم فلا يزال يصلي في جوف الليل حتى يطلع الفجر ، فلست أدري متى يقول الغلام : إن الفجر قد طلع ، إذ قد وثب هو لصلاة الفجر ، فهذا دأبه منذ حوّل

(١) عيون أخبار الرضا ﷺ ١ : ٩٣ ، أمالي الصدوق : ٣٧٧ ، أمالي الطوسي : ٢٦٩ ،

الإمام الكاظم عليه السلام سيرة وتاريخ ١٣٨ إلى «^(١)» .

وعن أخت السندي بن شاهك ، وكانت تتولى حسبه وتلي خدمته أنها قالت : « كان إذا صَلَّى العتمة حمد الله ومجده ودعاه ، فلم يزل كذلك حتى يزول الليل ، فإذا زال الليل قام يصلي حتى يصلي الصبح ، ثم يذكر قليلاً حتى تطلع الشمس ، ثم يقعد إلى ارتفاع الضحى ، ثم يتهيأ ويستاك ويأكل ، ثم يرقد إلى قبل الزوال ، ثم يتوضأ ويصلي حتى يصلي العصر ، ثم يذكر في القبلة حتى يصلي المغرب ، ثم يصلي ما بين المغرب والعتمة ، فكان هذا دأبه . فكانت أخت السندي إذا نظرت إليه قالت : خاب قوم تعرضوا لهذا الرجل »^(٢) .

ثالثاً — الزهد :

الزهد والورع من الخصائص البارزة في سيرة الإمام الكاظم عليه السلام خلقاً وسلوكاً ، فكان مثلاً للأعراض عن مظاهر الحياة الفانية وزخارفها وحطامها ، والرغبة فيما أعدّه الله له في دار الخلود من النعيم والكرامة ، مؤثراً طاعة الله تعالى على كل شيء .

ف نجد الإمام عليه السلام في محتويات بيته مثلاً للزهد والتواضع والبساطة ، قال إبراهيم بن عبد الحميد : « دخلت على أبي الحسن الأول عليه السلام في بيته الذي كان يصلي فيه ، فإذا ليس في البيت شيء إلا خصفة^(٣) ، وسيف معلق ، ومصحف »^(٤) .

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام ١ : ١٠٦ / ١٠ ، أمالي الصدوق : ١٣٦ / ١٨ ، روضة الواعظين : ٢٥٩ .

(٢) تاريخ بغداد ١٣ : ٣٢ ، تاريخ أبي الفداء ٢ : ١٥ .

(٣) الخصفة : ما يعمل من الخوص للفراش والأثاث .

(٤) قرب الاسناد : ١٢٨ .

وكان ﷺ يبتذ لباس الشهرة لما فيه من الكبر والزهو الذي يتقاطع مع ما أخذ به نفسه من الزهد والانقطاع إلى الله ، ورد في مكارم الأخلاق : « لم يكن شيء أبغض إليه ﷺ من لبس الثوب المشهور ، وكان يأمر بالثوب الجديد فيغمس في الماء ويلبسه »^(١).

رابعاً - الحلم :

الحلم خلق نبوي كريم ، تحلّى به الإمام الكاظم ﷺ ، وضرب أمثلة سائرة في سعة الصدر ، والصبر على كيد الأعداء والمنائين ، والصفح عمّن أساء إليه ومقابلة الإساءة بالإحسان.

وقد نقل لنا كتاب سيرته قصصاً ملفتة للنظر لسعة الصدر وللأسلوب العلمي الذي أرادته الله في احتواء الأعداء وتحويلهم إلى أصدقاء.

ومن سماحة نفسه أنه كان يبلغه عن الرجل أنه يؤذيه ، فيبعث إليه بصره فيها ألف دينار^(٢) ، وإنما لَقّب الكاظم لكثرة تجاوزه وسعة حلمه واحتماله الأذى ، وإحسانه إلى من يسيء إليه^(٣) ، ولما كظمه من الغيظ وصبر عليه من فعل الظالمين به حتى مضى قتيلاً في حبسهم ووثاقهم^(٤).

ورويت عنه أقوال مأثورة تحتّ على التمسك بهذا الاتّجاه ، فقد روي عنه أنه أحضر ولده يوماً فقال لهم : « يا بني ، إني أوصيكم بوصية من حفظها انتفع بها ، إذا أتاكم آتٍ فأسمع أحدكم في الإذن اليمنى مكروهاً ، ثم

(١) مكارم الأخلاق : ١٣٧ .

(٢) تذكرة الخواص : ١٩٦ ، مقاتل الطالبين : ٣٣٢ .

(٣) عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب : ٢٢٦ .

(٤) تذكرة الخواص : ١٩٦ ، اعلام الوري : ٢ : ٣٢ ، مناقب آل أبي طالب : ٣ : ٤٣٧ ،

ألقاب الرسول وعترته : ٦٣ .

الإمام الكاظم عليه السلام سيرة وتاريخ ١٤٠
تحول إلى اليسرى فاعتذر لكم وقال : إني لم أقل شيئاً ، فاقبلوا
عذره » ^(١).

وأورد المؤرخون مزيداً من الروايات في حسن عفوه وسعة حلمه وكظمه
للغيظ ، ومقابله الإسائة بالعتفو والإحسان ، لأجل إشاعة قيم الإصلاح
والهداية في المجتمع ، الأمر الذي يمثل صميم رسالة الإمام التي تعدل ما طلعت
عليه الشمس ، وترخص عندها كل صفراء وحمراء.

منها أن رجلاً من ولد عمر بن الخطاب كان بالمدينة يؤذي الإمام
الكاظم عليه السلام ويشتمه علماً ، فقال له بعض حاشيته : « دعنا نقتله ، فهاهم عن ذلك
أشد النهي ، وزجرهم أشد الزجر ، فركب إلى مزرعة العمري فدخلها بحماره ،
فصاح به العمري : لا تطأ زرعنا ، فوطئه بالحمار حتى وصل إليه ، فترل فجلس
عنده وضاحكه ، ثم سأله كم غرم في زرعه ، فقال له : مائة دينار ، وسأله كم
يرجو أن يجيئه فيه ، فقال : مائتا دينار ، فأعطاه الإمام عليه السلام ثلاثمائة دينار ، فقام
العمري فقبل رأسه ، وانصرف إلى المسجد ، فوجد العمري جالساً ، فلما نظر إليه
قال : الله أعلم حيث يجعل رسالته ، فوثب أصحابه فقالوا له : ما قصتك؟! قد
كنت تقول خلاف هذا ، فخاصمهم وشاتمهم ، وجعل يدعو لأبي الحسن
موسى عليه السلام كلما دخل وخرج ، فقال أبو الحسن موسى عليه السلام لحاشيته الذين أرادوا
قتل العمري : أيما كان خير ما أردتم أو ما أردت أن أصلح أمره بهذا
المقدار » ^(٢).

وهذا هو الخط الذي يريده عليه السلام في علاقاتنا بالناس الذين يسيئون إلينا ،

(١) الفصول المهمة : ٢٢٠ .

(٢) تاريخ بغداد ١٣ : ٣٠ ، مقاتل الطالبين : ٣٣٢ ، مناقب آل أبي طالب ٣ : ٤٣٣ ،

اعلام البورى ٢ : ٢٦ .

وهو أن ندفع السيئة بالحسنة ، كي نقتل العداوة فيهم ، ونجعل إنسانيتهم تنفتح على المحبة والإيمان ، وهي عملية تحتاج إلى ضبط أعصاب وسعة صدر ، ولا يلقاها إلا ذو حظ عظيم.

وروي أن عبداً لموسى بن جعفر عليه السلام قدّم إليه صحيفة فيها طعام حار ، فعجل فصبها على رأسه ووجهه ، فغضب فقال له : « ﴿ وَالْكَاطِمِينَ الْغَيْظَ ﴾ » ، قال : قد كظمت ، قال : ﴿ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ ﴾ ، قال : قد عفوت ، قال : ﴿ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ ^(١) ، قال : أنت حرّ لوجه الله ، وقد نخلتكَ ضيعتي الفلانية ^(٢).

وعن أحمد بن عمر الخلال ، قال : «سمعت الأخرس يذكر موسى بن جعفر عليه السلام بسوء ، فاشترت سكيناً وقلت : والله لأقتلنه إذا خرج للمسجد ، فأقمت على ذلك ، وجلست فما شعرت إلا برفعة أبي الحسن عليه السلام قد طلعت علي فيها مكتوب : بحقي عليك لما كففت عن الأخرس ، فإن الله ثقتي وهو حسبي ، فما بقي أيام إلا ومات ^(٣).

وبينا موسى بن عيسى العباسي في داره التي في المسعى يشرف على المسعى ، إذ رأى أبا الحسن موسى عليه السلام مقبلاً من المروة على بغلة ، فأمر ابن هياج رجلاً من همدان منقطعاً إليه أن يتعلق بلجامه ويدعي البغلة ، فأتاه فتعلق باللجام وادعى البغلة ، فثنى أبو الحسن عليه السلام رجله فتزل عنها ، وقال لغلمانه : « خذوا سرجهما عنها وادفعوها إليه ^(٤).

(١) سورة آل عمران : ٣ / ١٣٤.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ١٨ : ٤٦.

(٣) الخرائج والجرائح ٢ : ٦٥١ / ٣ ، الثاقب في المناقب : ٤٣٨.

(٤) الكافي ٨ : ٨٦ / ٤٨ ، مجموعة ورام ٢ : ١٣٥.

الإمام الكاظم عليه السلام سيرة وتاريخ ١٤٢
وكان أبو الحسن موسى عليه السلام في حائط له يصرم^(١) ، فأخذ غلام له كارة^(٢)
من تمر ، فرمى بها وراء الحائط ، فذهبوا به إليه ، فقال للغلام : « أتجوع ؟ قال : لا
يا سيدي ، قال : فتعمرى ؟ قال : لا يا سيدي ، قال : فالأي شيء أخذت هذه ؟
قال : اشتهيت ذلك ، قال : اذهب فهي لك ، وقال : خلوا عنه »^(٣).

خامساً — التواضع :

تحلّى الإمام الكاظم عليه السلام كسائر آباءه الميامين بالتواضع والبساطة ورقة
الhashية ، وكان إلى جانب ذلك تحوطه هالة من الوقار والهيبة ، تجعله يفرض
احترامه وإجلاله وإعظامه على الناس حكّامهم ورعيّتهم ، قال أبو العلاء المعري
في قصيدة يرثي بها أبا أحمد الموسوي والد الشريف الرضي والمرتضى :
ويخال موسى جدكم لجلاله في النفس صاحب سورة الأعراف^(٤)
وجاء في وصيته المشهورة لهشام بن الحكم ما يؤكد هذه المعاني السامية
قال عليه السلام : « يا هشام ، ما من عبد إلاّ وملك آخذ بناصيته ، فلا يتواضع إلاّ رفعه
الله ، ولا يتعظم إلاّ وضعه الله .

وأشار عليه السلام إلى نبد الكبير لكونه رداء الرحمن : يا هشام ، إياك والكبر ، فإنه
لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبة من كبر ، الكبر رداء الله ، فمن
نازعه رداءه أكبه الله في النار على وجهه . والتواضع في تعاليمه الإلهية سبب
للرفعة والحكمة التي تجافي قلب المتكبر : يا هشام ، إن الزرع ينبت في السهل
ولا ينبت في الصفا ، فكذلك الحكمة تعمر في قلب المتواضع ، ولا تعمر في

(١) صرم النخل : قطع ثمرته .

(٢) الكارة : مقدار معلوم من الطعام أو الخنطة أو التمر .

(٣) الكافي ٢ : ١٠٨ / ٧ .

(٤) سقط الزند : ٣٦ .

قلب المتكبر الجبار ، لأن الله جعل التواضع آلة العقل ، وجعل التكبر من آلة الجهل ، ألم تعلم أن من شمخ إلى السقف برأسه شجّه ، ومن خفض رأسه استظل تحته وأكّنه؟ وكذلك من لم يتواضع لله خفضه الله ، ومن تواضع لله رفعه »^(١).

وكان ﷺ يتأسى بسيرة الأنبياء وسلفه الصالحين ، فيفلح أرضه ويحراثها بيديه ، قال علي بن أبي حمزة : « رأيت أبا الحسن ﷺ يعمل في أرض له قد استنقعت قدماه في العرق ، فقلت : جعلت فداك ، أين الرجال ؟ فقال : يا علي ، قد عمل باليد من هو خير مني في أرضه ومن أبي فقلت : ومن هو ؟ فقال : رسول الله ﷺ ، وأمير المؤمنين ﷺ ، وآبائي كلهم كانوا قد عملوا بأيديهم ، وهو من عمل النبيين والمرسلين والأوصياء والصالحين »^(٢).

وفي تعامله ﷺ مع سائر الناس يجسد أخلاق جده رسول الله ﷺ ، وأبيه أمير المؤمنين علي ﷺ حيث يقول : « الناس صنفان : إما أخ لك في الدين ، وإما نظير لك في الخلق »^(٣).

قال الحرّاني في تحف العقول : «روي أنه ﷺ مرّ برجل من أهل السواد دميم المنظر ، فسلم عليه ، ونزل عنده ، وحادثة طويلاً ، ثم عرض عليه نفسه في القيام بحاجة إن عرضت له ، فقبل له : يا بن رسول الله ، أتتزل إلى هذا ، ثم تسأله عن حوائجه ، وهو إليك أحوج !؟. فقال ﷺ : عبد من عبيد الله ، وأخ في كتاب الله ، وجار في بلاد الله ، يجمعنا وإياه خير الآباء آدم ﷺ ، وأفضل الأديان الإسلام ، ولعل الدهر يرد من حاجتنا إليه ، فيراننا بعد الزهو عليه متواضعين بين

(١) تحف العقول : ٣٨٣ - ٤٠٢ ، الكافي ١ : ١٠ - ١٥ .

(٢) الكافي ٥ : ٧٥ / ١٠ ، من لا يحضره الفقيه ٣ : ١٦٢ / ٣٥٩٣ .

(٣) فتح البلاغة / شرح محمد عبده ٣ : ٨٤ / ٥٣ .

الإمام الكاظم عليه السلام سيرة وتاريخ ١٤٤
يديه. ثم قال عليه السلام :

نواصل من لا يستحق وصالنا مخافة أن نبقى بغير صديق» (١)

سادساً - الكرم والمروءة :

عرف الإمام الكاظم عليه السلام بأنه واسع العطاء ، عظيم الفضل ، كثير البذل والإحسان إلى الناس ورعاية أمورهم ، وهي خصال بارزة في سيرته وسيرة آبائه المعصومين ، ووصف عليه السلام بأنه أسخى أهل زمانه كفاً ، وأكرمهم نفساً ، وأسمحهم يداً ، وأوصل الناس لأهله ورحمه ، ومن أكابر العلماء الأسخياء.

وكان له عليه السلام دور بارز في تحمّل الديون عن ذوي الفاقة ورعاية الفقراء والإنفاق والبذل لسدّ حاجاتهم ورفع خصاصتهم ، ومن صفات معروفه إلى الناس أنه كان يبذل بداعي التقرب إلى الله تعالى ، فلا يطلب شهرة ولا يتبغى من أحد جزاءً ولا شكوراً ، وكان في صدقاته وبرّه يتوخّى الكتمان لئلاّ تبدو على الفقير ذلة الحاجة ، ملتصقاً بذلك وجه الله ورضاه.

وقد اشتهر في الناس أنه كان يتفقّد فقراء المدينة والأيتام والأرامل وسائر ذوي الحاجة ، فيخرج في الليل ويحمل إليهم في كفه صرراً من الدراهم والدنانير ، كما يحمل النفقات والهبات من العين والورق والأدقة والتمور ، وكانوا لا يعلمون من أي جهة هي.

وذكر جماعة من أهل العلم أنه يصل بالمائتي دينار إلى الثلاثمائة والأربعمائة ، وكان مثل صرر موسى بن جعفر عليه السلام إذا جاءت الإنسان الصرة فقد استغنى. وكان أهله يقولون : عجياً لمن جاءتته صرة موسى فشكا

(١) تحف العقول : ٤١٣ .

وروى المؤرخون بوادر كثيرة من مظاهر سيرة الإمام ﷺ في الكرم والسخاء ، وصوراً فريدة من الجود والإحسان وإسداء المعروف ، قلّمما يوجد نظير لها إلاّ عند آبائه الكرام ﷺ .

ومن تلك الصور أن محمد بن عبد الله البكري قدم المدينة يطلب بها ديناً فأعياه ، فأتى الإمام ﷺ في ضيعته ، فخرج إليه فأكل معه ، ثم سأله عن حاجته ، فذكر له قصته ، ثم مدّ يده إليه فدفع إليه صرّة فيها ثلاثمائة دينار^(٢) .

وحين خروجه إلى ضياعه بساية مع محمد ابنه ، أهدى له بعض العبيد عصيدة ، فاشترى العبد والضيعة التي فيها ذلك العبد بألف دينار ، وأعتقه ووهبها له^(٣) .

وكان لعيسى بن محمد بن مغيث القرظي زرع في موضع بالجوانية على بئر يقال لها أم العظام ، فلما قرب الخبز واستوى الزرع ، بغته الجراد فأتى على الزرع كله ، فبينما هو جالس إذ طلع عليه الإمام موسى بن جعفر ﷺ فسأله عن حاله ، فقال : أصبحت كالصريم ، بغتني الجراد فأكل زرعني ، وكان قد غرم فيه مائة وعشرين ديناراً مع ثمن جملين ، فأمر الإمام ﷺ غلامه عرفة فوزن لعيسى مائة

(١) راجع : الإرشاد ٢ : ٢٣١ ، تاريخ بغداد ١٣ : ٢٩ ، مناقب آل أبي طالب ٣ : ٤٣٣ ، ألقاب الرسول وعترته : ٦٥ ، مقاتل الطالبين : ٣٣٢ و ٣٦٢ ، الجدي في أنساب الطالبين / العمري : ١٠٦ ، صفة الصفوة ٢ : ١٨٤ ، تذكرة الخواص : ٣٤٨ ، وفيات الأعيان ٥ : ٣٠٨ ، عمدة الطالب : ١٩٦ ، الفصول المهمة : ٢٣٧ ، إسعاف الراغبين / الصبان : ٢٤٦ ، الصواعق المحرقة : ٢٠٣ ، البداية والنهاية ١٠ : ١٩٠ ، عيون التواريخ / ابن شاکر الشافعي ٦ : ١٦٥ ، مرآة الجنان ١ : ٤٠٥ .

(٢) تاريخ بغداد ١٣ : ٢٩ ، الإرشاد ٢ : ٢٣١ ، روضة الواعظين : ٢١٥ .

(٣) تاريخ بغداد ١٣ : ٢٩ ، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ٩ : ٨٧ .

الإمام الكاظم عليه السلام سيرة وتاريخ ١٤٦
وخمسين ديناراً ، ثم دخل عليه السلام الضيعة ودعا له ، وحدثه عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه
قال : « تمسكوا ببقايا المصائب » ، قال : فجعل الله فيها البركة وزكّت ، فبعث
منها بعشرة آلاف ^(١).

وأولم أبو الحسن موسى عليه السلام على بعض ولده ، فأطعم أهل المدينة ثلاثة أيام
الفالوذجات ^(٢) في الجفان في المساجد والأزقة ^(٣).

* * *

(١) تاريخ بغداد ١٣ : ٣٠ .

(٢) الفالوذج : حلوى تعمل من الدقيق والعسل والماء .

(٣) الكافي ٦ : ٢٨١ / ١ .

الفصل السادس

إسهاماته العلمية

أولى أئمة أهل البيت عليهم السلام العلم والعلماء أهمية خاصة ، واهتموا ضمن هذا الإطار ببناء الإنسان فكراً و عقيدة وسلوكاً ، لذلك ركز الأئمة عليهم السلام جهودهم في مجال التعلّم والتعليم والتوعية ، بينما جعل الحاكم جهوده ضمن إطار دنيوي ضيق لا يتعدى الحفاظ على عرشه وبذخه مما يستدرّه من قوت الملايين الجائعة ، يتضح ذلك من وصية الإمام الكاظم عليه السلام لهشام بن الحكم : « يا هشام ، كما تركوا لكم الحكمة ، فاتركوا لهم الدنيا »^(١).

وضمن هذا التوجّه سجل الإمام الكاظم عليه السلام رصيذاً معرفياً واسعاً في أوساط الأئمة ، حيث تواصل مع نشاط رواد مدرسة أبيه الصادق عليه السلام في حدود هامش الحرية المتاحة له من وفاة المنصور سنة (١٥٨ هـ) — إلى إلقاء القبض عليه من قبل الرشيد سنة (١٧٩ هـ) ، وكان له دور كبير في إغناء تلك المدرسة إطاراً ومحتوى ومادة ، وترك كثيراً من الآثار في هذا الاتجاه منها المسائل الشرعية والبحوث الكلامية ، المواعظ والوصايا البليغة والحكم الرائعة والأقوال الجامعة التي توجه بها إلى تهذيب النفس والسلوك ، وإرشاداته التي تنضوي تحت علم الطب ، فضلاً عن سعة الرواية عنه في كافة أبواب شرائع الإسلام ، وأسهم في إعداد جيل من الرواة والمحدثين والمؤلفين الثقات الذين أوصلوا نتاج تلك المدرسة إلى قاعدة عريضة تؤمن بمرجعية الإمام عليه السلام ، وأسهم في تشخيص

(١) الكافي ١ : ١٠ - ١٥ / ١٢ ، تحف العقول : ٣٨٣ - ٤٠٢ .

الإمام الكاظم عليه السلام سيرة وتاريخ ١٤٨
بعض حالات الضلال والانحراف ، ليصححها ويقومها في الاتجاه الصحيح.
وفيما يلي نقف عند أهم تلك الإسهامات ضمن أربعة مباحث :

المبحث الأول

دوره عليه السلام في ترسيخ مبادئ العقيدة

روي عن الإمام الكاظم عليه السلام المزيد من الأخبار المتعلقة بالبحوث
والمناظرات الكلامية ، دافع فيها عن أصول الاعتقاد السامية ، وردّ على أهل
البدع والأهواء ، وناظر أهل الديانات ، وسوف نسلط الضوء على بعض
الكلمات التي وردت عن الإمام الكاظم عليه السلام في شؤون العقيدة والكلام ، وما
يتصل بذلك من ردود على بعض الفرق الضالة والأفكار المنحرفة ، وكما يلي :

كلمة جامعة :

جعل الإمام الكاظم عليه السلام من الدعاء وسيلة لتلقي أصول العقيدة والانفتاح
على جميع مفرداتها ، كي يجعل من الداعي يستحضر في وعيه توحيد الخالق
وصفاته ومشيبته وإرادته وعلمه وقضائه وقدره ، ويعمّق علاقته الروحية
بالرسول صلى الله عليه وآله ويعزّز فهمه لأبعاد شخصيته ومكارم أخلاقه ، ووصيّته بالإمامة
لمن بعده باعتبارها الامتداد الطبيعي للنبوّة ، وبيان مهمتها في إقامة مبادئ الدين
والكتاب الكريم ، والحفاظ على السُنّة المباركة ، وبيان صفات الإمام ومكارم
أخلاقه وفضائله ودلائله.

وقد وردت عن الإمام الكاظم عليه السلام المزيد من الأدعية التي تنطوي على
تلك المضامين ، ومنها دعاء الاعتقاد : « ... اللهم إني أقرُّ وأشهدُ ، وأُعرفُ
ولا أجدُّ ، وأُسرُّ وأُظهرُ ، وأعلنُ وأبطنُ ، بأنك أنت الله فلا إله إلا أنت وحدك
لا شريك لك ، وأن محمداً عبدك ورسولك ، وأن عليّاً أمير المؤمنين ، وسيّد
الوصيين ، ووارث علم النبيين... إمامي ومحجّي ، ومن لا أثق بالأعمال

وإن زكت ، ولا أراها منجية لي وإن صلحت إلاّ بولايته والائتمام به والإقرار بفضائله... اللهم وأقرُّ بأوصيائه من أبنائه أئمةً وحججا وأدلةً وسُرُجاً ، وأعلاماً ومناراً ، وسادةً وأبرار... اللهم فادعني يوم حشري وحين نشري بإمامتهم ، واحشرنني في زمرةم ، واكتبني في أصحابهم ، واجعلني من اخوانهم ، وانقذني بهم يا مولاي من حرّ النيران...» (١).

كلماته في التوحيد والصفات :

في باب التوحيد لم يدع الإمام عليه السلام مناسبة دون أن يعلم أصحابه التوحيد الخالص بكلمات منتزعة من ألفاظ الكتاب الكريم وسنة المصطفى صلى الله عليه وآله ، ويحذرهم من رواهب الشرك ومقولات أهل البدع والأوهام الباطلة المستندة إلى تقديرات العقول ، ومن ذلك ما رواه محمد بن أبي عمير ، قال : « دخلت على سيدي موسى بن جعفر عليه السلام فقلت له : يا بن رسول الله ، علمني التوحيد. فقال عليه السلام : يا أبا أحمد ، لا تتجاوز في التوحيد ما ذكره الله تعالى ذكره في كتابه فتهلك ، واعلم أن الله تعالى واحد أحد صمد ، لم يلد فيورث ، ولم يولد فيشارك ، ولم يتخذ صاحبة ولا ولداً ولا شريكاً ، وأنه الحي الذي لا يموت ، والقادر الذي لا يعجز ، والقاهر الذي لا يغلب ، والحليم الذي لا يعجل ، والدائم الذي لا يبئد ، والباقي الذي لا يفنى ، والثابت الذي لا يزول ، والغني الذي لا يفتقر ، والعزيز الذي لا يذل ، والعالم الذي لا يجهل ، والعدل الذي لا يجور ، والجواد الذي لا يخل ، وأنه لا تقدره العقول ، ولا تقع عليه الأوهام ، ولا تحيط به الأفكار ، ولا يحويه مكان ، ولا تدركه الأبصار ، وهو يدرك الأبصار ، وهو اللطيف الخبير ، وليس كمثلته شيء ، وهو السميع البصير ، ﴿ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا

الإمام الكاظم عليه السلام سيرة وتاريخ ١٥٠
كأنوا ﴿^(١)﴾ ، وهو الأول الذي لا شيء قبله ، والآخر الذي لا شيء بعده ، وهو
القديم وما سواه مخلوق محدث ، تعالى عن صفات المخلوقين علواً كبيراً »^(٢) .

وعن محمد بن حكيم ، قال : « كتب أبو الحسن موسى بن جعفر عليه السلام إلى أبي :
إن الله أعلى وأجل وأعظم من أن يبلغ كنه صفته ، فصفوه بما وصف به
نفسه ، وكفوا عما سوى ذلك »^(٣) .

ففي هذين الحديثين نجد أن الإمام عليه السلام يريد أن يؤكد حقيقة عدم قدرة
البشر على معرفة الله في صفاته إلا من خلاله ، وأنه لا يعرف الله إلا هو ، فهو
الذي أحاط بذاته ولم يحط بذاته أحد سواه إلا من خلاله ، لأن الله سبحانه هو
المطلق الذي لا حدود لأية صفة من صفاته ، وعلى هذا الأساس فإن الحدود
مهما كانت عظمتها لا يستطيع أن يدرك كنه الخالق ، وإذا أراد أن يعرف الله في
صفاته فعليه أن لا يتجاوز ما وصف به نفسه ، فإن ما وصف به نفسه هو الذي
يمكن لنا أن نطل من خلاله على الحقيقة الكامنة في صفات الله ، وإلا فقد يصفه
من خلال ما يتوهمه ويتخيله فيقول ما لا يرضى الله.

نفي التشبيه والتجسيم :

كان الجدل يدور في صفات الله تعالى بين المعطلة والمشبهة ، فيذهب
المعطلة إلى استحالة معرفة الله تعالى على العقول ، بينما ينسب المشبهة أو المجسمة
الصفات البشرية إلى الذات الإلهية ، ويتطاولون إلى حدّ القول بأن الله سبحانه
يتزل إلى السماء الدنيا على حمار بصورة شاب أمرد تقدّس وتعالى عن ذلك ،
الأمر الذي نفاه الإمام الكاظم عليه السلام بشدة على ما سيأتي ، إذ ان منهج الأئمة عليهم السلام

(١) سورة المجادلة : ٥٨ / ٧ .

(٢) التوحيد : ٧٦ / ٣٢ .

(٣) الكافي ١ : ١٠٢ / ٦ .

الفصل السادس : اسهاماته العلمية ١٥١
يقوم على أساس التحدّث بلغة القرآن وأخذ العناوين الكبرى في العقيدة منه لا
من غيره ، من هنا فهم عليه السلام ينفون التشبيه والتجسيم والتعطيل جميعاً ، ويقولون
إن الله تبارك وتعالى واحد ليس كمثله شيء ، خارج عن الحدين : حد التعطيل ،
وحد التشبيه ، وانه ليس بجسم ولا صورة ، ولا عرض ولا جوهر ، بل هو مجسم
الأجسام ومصور الصور وخالق الأعراض والجواهر ، رب كل شيء ومالكة
وجاعله ومحدثه .

وفيما يلي نستعرض بعض الروايات الواردة عن الإمام الكاظم عليه السلام وهي
تؤكد هذه المضامين :

عن يعقوب بن جعفر الجعفري ، عن أبي إبراهيم عليه السلام ، قال : « ذكر عنده قوم
يزعمون أن الله تبارك وتعالى يتزل إلى السماء الدنيا .

فقال عليه السلام : إن الله لا يتزل ولا يحتاج إلى أن يتزل ، إنما منظره ^(١) في
القرب والبعد سواء ، لم يبعد منه قريب ، ولم يقرب منه بعيد ، ولم يحتاج
إلى شيء ، بل يُحتاج إليه ، وهو ذو الطول لا إله إلا هو العزيز الحكيم . أما
قول الواصفين انه يتزل تبارك وتعالى ، فإنما يقول ذلك من ينسبه إلى
نقص أو زيادة ^(٢) ، وكل متحرك محتاج إلى من يحركه أو يتحرك به ، فمن
ظن بالله الظنون هلك ، فاحذروا في صفاته من أن تقفوا له على حد
تحدونه بنقص أو زيادة ، أو تحريك أو تحرك ، أو زوال أو استتزال ، أو هوض
أو قعود ، فإن الله جلّ وعزّ عن صفة الواصفين ، ونعت الناعتين ، وتوهم
المتوهمين ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ * الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ *

(١) أي مراقبته للأشياء بالعلم والإحاطة.

(٢) لأن الحاجة إلى التزول والصعود إنما تكون في الممكن الذي ينقص فيحتاج إلى أن يكمل نقصه ، ويزيد فيحتاج إلى أن يستزيد.

الإمام الكاظم عليه السلام سيرة وتاريخ ١٥٢
وَتَقَلَّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ ﴿١﴾» (٢).

نلاحظ هنا كيف يرصد الإمام عليه السلام الانحراف في تصور الخالق سبحانه ، وكيف يضع المسألة في نصابها التوحيدى ، بتجريد الذات الإلهية عن كل صفات الممكن ، وتوجيه الناس إلى عدم الخوض في صفاته بما لا يملكون كنهه وعمقه ، وأن يصفوه بما وصف به نفسه ، فإنه أعرف بنفسه من مخلوقاته كلها.

وعن يونس بن عبد الرحمن ، قال : « قلت لأبي الحسن موسى بن جعفر عليه السلام : لأي علة عرج الله بنبيه صلى الله عليه وآله وسلم إلى السماء ، ومنها إلى سدرة المنتهى ، ومنها إلى حجب النور ، وخاطبه وناجاه هناك ، والله لا يُوصف بمكان ؟ فقال عليه السلام : إن الله تبارك وتعالى لا يُوصف بمكان ، ولا يجري عليه زمان ، ولكنه عز وجل أراد أن يشرف به ملائكته وسكان سماواته ، ويكرمهم بمشاهدته ، ويريه عجائب عظمته ، ما يخبر به بعد هبوطه ، وليس ذلك على ما يقول المشبهون ، سبحان الله وتعالى عما يشركون » (٣).

وعن الشيخ المفيد ، قال : « قال يونس بن عبد الرحمن يوماً لموسى بن جعفر عليه السلام : أين كان ربك حين لا سماء مبنية ولا أرضاً مدحية ؟ قال عليه السلام : كان نوراً على نور ، خلق من ذلك النور ماء منكدرًا ، فخلق من ذلك الماء ظلمة ، فكان عرشه على تلك الظلمة. قال : إنما سألتك عن المكان ! قال : قال عليه السلام : كلما قلت : أين ، فأين هو المكان. قال : وصفت فأجدت ، إنما سألتك عن المكان الموجود المعروف ! قال : كان في علمه لعلمه ، فقصر علم العلماء عند علمه » (٤).

(١) سورة الشعراء : ٢٦ / ٢١٧ — ٢١٩ .

(٢) الكافي ١ : ١٢٥ / ١ ، الاحتجاج ٢ : ١٥٦ ، التوحيد : ١٨٣ / ١٨ .

(٣) علل الشرائع ١ : ١٢٦ ، التوحيد : ١٧٥ / ٥ .

(٤) الاختصاص : ٦٠ .

ونهى الإمام الكاظم عليه السلام أصحابه عن مجالسة كل من يصف الله تعالى بالصفات البشرية ، أو يجده بالمكان والزمان والحركة والانتقال ، ولو كان من أولي القربى ، وحثهم على مقاطعتهم وحثهم غضب الله وانتقامه إن لم ينتهوا عن ذلك.

عن سليمان بن جعفر الجعفري ، قال : «سمعت أبا الحسن عليه السلام يقول لأبي : ما لي رأيتك عند عبد الرحمن بن يعقوب ؟ قال : إنه خالي . فقال له أبو الحسن عليه السلام : إنه يقول في الله قولاً عظيماً ، يصف الله تعالى ويجده ، والله لا يُوصف ، فإما جلست معه وتركتنا ، وإما جلست معنا وتركته . فقال : إن هو يقول ما شاء ، أي شيء علي منه إذا لم أقل ما يقول ؟ فقال له أبو الحسن : أما تخافن أن تنزل به نقمة فتصيبكم جميعاً ؟ أما علمت بالذي كان من أصحاب موسى عليه السلام ، وكان أبوه من أصحاب فرعون ، فلما لحقت خيل فرعون موسى عليه السلام تخلف عنه ليعظه ، وأدركه موسى ، وأبوه يراغمه حتى بلغا طرف البحر ففرقا جميعاً ، فأتى موسى عليه السلام الخبر ، فسأل جبرئيل عليه السلام عن حاله ، فقال له : غرق رحمه الله ، ولم يكن على رأي أبيه ، لكن النقمة إذا نزلت لم يكن لها من قارب المذنب دفاع» ^(١).

الإرادة والمشئنة :

خلاصة ما أثبتته الإمام الكاظم عليه السلام بخصوص الإرادة في مقابل مقالات القدرية الباطلة أن الإرادة هي الفعل لا غير ، وأن إرادته تعالى هي أن يقول للشيء كن فيكون ، بلا لفظ ولا نطق بلسان ولا همّة ولا تفكير ، لأنهما من صفات المخلوق المنفية ، وإن الله سبحانه إذا شاء شيئاً أراد ، فإذا أراد قدره ، وإذا قدره قضاه ، وإذا قضاه أمضاه ، ولا يكون إلا ما شاء الله وأراد وقدر وقضى .

عن صفوان بن يحيى ، قال : « قلت لأبي الحسن عليه السلام : أخبرني عن الإرادة

الإمام الكاظم عليه السلام سيرة وتاريخ ١٥٤
من الله ومن المخلوق. فقال عليه السلام : الإرادة من المخلوق الضمير وما يبدو له بعد ذلك من الفعل ، وأما من الله عز وجل فإرادته إحداثه لا غير ذلك ، لأنه لا يروى ولا يهم ولا يتفكر ، وهذه الصفات منفية عنه ، وهي من صفات الخلق ، فإرادة الله تعالى هي الفعل لا غير ذلك ، يقول له كن فيكون ، بلا لفظ ولا نطق بلسان ، ولا همة ولا تفكر ، ولا كيف لذلك كما أنه بلا كيف ^(١) .

وعن محمد بن إسحاق ، قال : «قال أبو الحسن عليه السلام ليونس مولى علي بن يقطين : يا يونس ، لا تتكلم بالقدر. قال : إني لا أتكلم بالقدر ، ولكني أقول : لا يكون إلا ما أراد الله وشاء وقضى وقدر. فقال عليه السلام : ليس هكذا أقول ، ولكني أقول : لا يكون إلا ما شاء الله وأراد وقدر وقضى.

ثم قال : أتدري ما المشيئة ؟ فقال : لا ، فقال : همه بالشيء ، أو تدري ما أراد ؟ قال : لا ، قال : إتمامه على المشيئة. فقال : أو تدري ما قدر ؟ قال : لا ، قال : هو الهندسة من الطول والعرض والبقاء. ثم قال : إن الله إذا شاء شيئاً أراد ، فإذا أراد قدره ، وإذا قدره قضاه ، وإذا قضاه أمضاه.

يا يونس ، إن القدرية لم يقولوا بقول الله : ﴿ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ﴾ ^(٢) ولا قالوا بقول أهل الجنة : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ ﴾ ^(٣) ولا قالوا بقول أهل النار : ﴿ رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ ﴾ ^(٤) ولا قالوا بقول إبليس : ﴿ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي ﴾ ^(٥) ولا قالوا بقول نوح : ﴿ وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ

(١) التوحيد : ١٤٧ / ١٧ .

(٢) سورة الإنسان : ٧٦ / ٣٠ .

(٣) سورة الأعراف : ٧ / ٤٣ .

(٤) سورة المؤمنون : ٢٣ / ١٠٦ .

(٥) سورة الحجر : ١٥ / ٣٩ .

لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١﴾

ثم قال : قال الله : يا بن آدم ، بمشيئتي كنت أنت الذي تشاء ، وبقوتي أديت إليّ فرائضي ، وبنعمتي قويت على معصيتي ، وجعلتك سميعاً بصيراً قوياً ، فما أصابك من حسنة فمني ، وما أصابك من سيئة فمن نفسك ، وذلك لأني لا أسأل عما أفعل وهم يسألون. ثم قال : قد نظمت لك كل شيء تريده ^(٢).

وروى داود بن قبيصة عن الإمام الرضا عليه السلام أنه قال : « سأل رجل أبي عليه السلام : هل منع الله عما أمر به ، وهل نهي عما أراد ، وهل أعان على ما لم يرد ؟ فقال عليه السلام : أما قولك هل منع عما أمر به ، فلا يجوز ذلك عليه ، ولو جاز ذلك لكان قد منع إبليس عن السجود لآدم ، ولو منعه لعذره ولم يلغنه. وأما قولك هل نهي عما أراد ، فلا يجوز ذلك ، ولو جاز ذلك لكان حيث نهي آدم عليه السلام عن أكل الشجرة أراد منه أكلها ، ولو أراد منه أكلها ، لما نادى عليه صبيان الكتائب ﴿ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى ﴾ ^(٣) والله تعالى لا يجوز عليه أن يأمر بشيء ويريد غيره. وأما قولك : هل أعان على ما لم يرد ، فلا يجوز ذلك عليه ، وتعالى الله عن أن يعين على قتل الأنبياء وتكفيرهم ، وقتل الحسين بن علي عليه السلام والفضلاء من ولده ، وكيف يعين على ما لم يرد وقد أعدّ جهنم لمخالفيه ، ولعنهم على تكذيبهم لطاعته وارتكابهم لمخالفته ؟ ولو جاز أن يعين على ما لم يرد ، لكان أعان فرعون على كفره وادعائه أنه رب العالمين ، أفترى أنه أراد من فرعون أن يدعي الربوبية ؟

(١) سورة هود : ١١ / ٣٤ .

(٢) المحاسن : ٢٤٤ / ٢٣٨ .

(٣) سورة طه : ٢٠ / ١٢١ .

الإمام الكاظم عليه السلام سيرة وتاريخ ١٥٦
ومضى الإمام عليه السلام يقول : يُستتاب قائل هذا القول ، فإن تاب من كذبه على
الله وإلا ضربت عنقه ^(١) .

علمه تعالى :

إنَّ الله تعالى عالم بمصير الأشياء كلّها غابرها وحاضرها ومستقبلها ،
وعلمه هذا أزلّي قديم لا يتصور فيه الظهور بعد الخفاء ، ولا العلم بعد الجهل .
عن أيوب بن نوح : « أنه كتب إلى أبي الحسن عليه السلام يسأله عن الله عزّ وجلّ ، أكان
يعلم الأشياء قبل أن خلق الأشياء وكوّنها ، أو لم يعلم ذلك حتى خلقها وأراد
خلقها وتكوينها ، فعلم ما خلق عندما خلق ، وما كوّن عندما كوّن ؟ فوقع بخطه :
لم يزل الله عالماً بالأشياء قبل أن يخلق الأشياء ، كعلمه بالأشياء بعدما
خلق الأشياء » ^(٢) .

وعن الكاهلي ، قال : « كتبت إلى أبي الحسن عليه السلام في دعاء : الحمد لله منتهى
علمه . فكتب إليّ : لا تقولن منتهى علمه ، ولكن قل منتهى رضاه » ^(٣) .

إن الدعاء الذي يجري على اللسان قد يكون عرضةً للوهم والخطأ الذي لا
يشعر به الإنسان حال اشتغاله بالدعاء والتوجه إلى الله سبحانه ، فلا يستحضر
معانيه ودلالاته ، وهنا يمارس الإمام عليه السلام عملية تصحيح للدعاء ، وكأنه يريد
أن يشير إلى حقيقة جديدة بالاهتمام ، وهي ضرورة اخضاع التراث للدراسة
العلمية حتى لا ينفذ إلى تراثنا مفهوم غير إسلامي ، فلعلنا ندعو فنقول : الحمد لله
منتهى علمه ، من حيث لا نشعر أن ذلك يجعل علم الله محدوداً بين البداية
والنهاية ، والحال أن علم الله ليس له نهاية ولا تحدّه حدود ، من هنا علينا أن

(١) الاحتجاج : ٣٨٧ ، بحار الأنوار ٥ : ٢٤ / ٣١ .

(٢) الكافي ١ : ١٠٧ / ٣ .

(٣) الكافي ١ : ١٠٧ / ٤ ، التوحيد : ١٣٤ .

الفصل السادس : اسهاماته العلمية ١٥٧
نقول : منتهى رضاه ، لأن رضاه يتصل بعمل المخلوقين في درجات تتحرك حتى تبلغ منتهائها ، ولا يتعلق ذلك في ذاته وفي صفته.

السعادة والشقاوة :

اختلفت مقولات أهل الكلام اختلافاً شديداً في تفسير الآيات والآثار التي تسند الشقاء والسعادة إلى الله تعالى ، فأخذ بعضهم بظاهرها ، وحكموا بحتمية الشقاء والسعادة في حياة الإنسان من جانب الله تعالى ، ونفوا دور الإنسان في اختيار الهداية والضلالة.

وفصل أهل البيت عليهم السلام في هذا المطلب ، بأن علم الله المعبر عنه بأمر الكتاب ، لا يتطرق إليه التغيير والتبديل ، وعلمه تعالى في أم الكتاب محيط بكل شيء ، ومنها سعادة الإنسان وشقائه ، وعلمه تعالى بالشيء لا يعني نسبة فعله إليه. أما علمه تعالى المعبر عنه بلوح المحو والاثبات ، فإن الله تعالى فيه المشيئة يقدم ما يشاء ويؤخر ما يشاء ، وهو موقوف على أعمال العباد ، فأعمال البر تحول شقاء الإنسان إلى سعادة ، واقتراف الذنوب وارتكاب السيئات تحول مصير الإنسان من السعادة إلى الشقاء. وعليه فإن الله تعالى هو مصدر السعادة والهداية في حياة الإنسان ، وأما الشقاء والضلالة فمن الإنسان نفسه ، وكلا الأمران يجريان باختياره وقراره.

ويدل على هذا المعنى ما رواه محمد بن أبي عمير ، قال : « سألت أبا الحسن موسى بن جعفر عليهما السلام عن معنى قول رسول الله صلى الله عليه وآله : الشقي من شقي في بطن أمه ، والسعيد من سعد في بطن أمه. فقال : الشقي من علم الله وهو في بطن أمه أنه سيعمل أعمال الأشقياء ، والسعيد من علم الله وهو في بطن أمه أنه سيعمل أعمال السعداء.

قلت له : فما معنى قوله صلى الله عليه وآله : اعملوا فكل ميسر لما خلق الله ؟ فقال : إن

الإمام الكاظم عليه السلام سيرة وتاريخ ١٥٨
الله عزوجل خلق الجن والإنس ليعبده ، ولم يخلقهم ليعصوه ، وذلك قوله
عزوجل : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ ^(١) ، فيسّر كلاً لما خلق
له ، فالويل لمن استحبّ العمى على الهدى » ^(٢) .

الكفر والشرك :

وسأل أبو أحمد الخراساني الإمام الكاظم عليه السلام : « الكفر أقدم أم الشرك ؟
فقال عليه السلام له : ما لك ولهذا ، ما عهدي بك تكلم الناس ! قال : أمرني هشام بن
الحكم أن أسألك . فقال : قل له الكفر أقدم ، أول من كفر إبليس ﴿ أَبِي
وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴾ ^(٣) والكفر شيء واحد ، والشرك يثبت واحد
ويشرك معه غيره » ^(٤) .

كلماته في النبوة والإمامة :

للإمام موسى الكاظم عليه السلام مناظرات وأقوال ووصايا تعرض فيها لمسألة
الإمامة باعتبارها من أكثر القضايا التي شغلت حيزاً واسعاً من جهود العلماء
وكثر الرأي فيها ، وللإمام الكاظم عليه السلام ومن قبله آباؤه الميامين عليهم السلام كلمتهم في
هذا الإطار ، وهي أن الإمامة منصب إلهي ، والإمام يشترك مع النبي باعتبارهما
حجة ظاهرة على الناس ، ويفترق عنه بالوحي فهو لا يُوحى إليه ، وأن الأرض
لا تخلو من حجة منذ خلق الله تعالى آدم ، وأن الأئمة من آل البيت هم ورثة
النبي صلى الله عليه وآله وأولاده وأفضل من خلف بعده في أمته ، وأنهم أولي الأمر الذين
فرض الله طاعتهم على خلقه باعتبارهم قادة الرسالة المعصومين ، وأن ولاء

(١) سورة الذاريات : ٥١ / ٥٦ .

(٢) التوحيد : ٣٥٦ / ٣ .

(٣) سورة البقرة : ٢ / ٣٤ .

(٤) تحف العقول : ٤١٢ .

جميع الخلائق يجب أن يكون لهم ، وأن لهم حقوقاً جعلها الله لهم واجبة في أعناق من يدينون لهم بالولاء منها الخمس والمودة ، وأن منهم القائم الذي يظهر الأرض من أعداء الله ، وله غيبة يطول أمدها ، يرتدّ فيها أقوام ويثبت فيها آخرون ، وإنما هي ابتلاء من الله عزّ وجلّ ابتلى بها خلقه ، حتى يظهر ويملاً الأرض عدلاً كما ملئت جوراً ، وهو الخامس من ولد الإمام الكاظم عليه السلام ، والثاني عشر من أهل البيت المعصومين عليهم السلام .

وكان لأصحاب الإمام الكاظم عليه السلام دور فاعل في التدليل على فكرة الإمامة وأطروحتها ، وذلك من خلال مناظراتهم واحتجاجاتهم مع أصحاب المذاهب والفرق الإسلامية ، كهشام بن سالم الجواليقي ، ومحمد بن علي بن النعمان المعروف بمؤمن الطاق ، وهشام بن الحكم ، وكان ممن فتنق الكلام في الإمامة ، حاذقاً بصناعة الكلام ، وغير هؤلاء كثير ، الأمر الذي أدى إلى انتشار فكر أئمة أهل البيت عليهم السلام وذيوع منهجهم بين المسلمين بفضل براهينهم الساطعة ومناظراتهم التي تميزت بقوة الحجة وسرعة البديهة والجرأة ، وفيما يلي نذكر أهم كلمات الإمام عليه السلام في هذا الإطار :

الحجة الظاهرة :

قال الإمام الكاظم عليه السلام في وصيته لهشام بن الحكم : « يا هشام ، إن الله على الناس حجتين : حجة ظاهرة ، وحجة باطنة . فأما الظاهرة فالرسل والأنبياء والأئمة عليهم السلام ، وأما الباطنة فالعقول » ^(١) .

لا تخلو الأرض من حجة :

عن صفوان بن يحيى ، عن أبي الحسن الأول عليه السلام ، قال : « ما ترك الله

(١) الكافي ١ : ١٠ - ١٥ / ١٢ ، تحف العقول : ٣٨٣ - ٤٠٢ .

الإمام الكاظم عليه السلام سيرة وتاريخ ١٦٠
عزّوجلّ الأرض بغير إمام قطّ منذ قبض آدم عليه السلام ، يهتدي به إلى الله عزّوجلّ ،
وهو الحجة على العباد ، من تركه ضلّ ، ومن لزمه نجحاً حقاً على الله
عزّوجلّ «^(١) .

ولاية أهل البيت عليهم السلام :

عن عمرو بن سعيد ، قال : « سألت أبا الحسن عليه السلام عن قوله : ﴿ أَطِيعُوا اللَّهَ
وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ ﴾^(٢) ، قال : علي بن أبي طالب
والأوصياء من بعده »^(٣) .

مودة أهل البيت عليهم السلام :

روى الخطيب البغدادي بالإسناد عن علي بن جعفر ، عن أخيه موسى بن
جعفر ، عن أبيه جعفر بن محمد ، عن أبيه علي بن الحسين ، عن أبيه ، عن جده :
« أن رسول الله صلى الله عليه وآله أخذ بيد حسن وحسين قال : من أحب هذين
وأباهما وأمهما كان معي في درجتي يوم القيامة »^(٤) .

حقوق أهل البيت عليهم السلام :

عن التلعكبري ، بإسناده عن الكاظم عليه السلام ، قال : « قال لي هارون :
أتقولون : إن الخمس لكم ؟ قلت : نعم . قال : إنه لكثير . قال : قلت : إن الذي
أعطانا علم أنه لنا غير كثير »^(٥) .

الغيبة :

عن علي بن جعفر ، عن أخيه موسى بن جعفر عليه السلام ، قال : « إذا فقد

(١) إكمال الدين / الشيخ الصدوق : ٢٢٠ / ٢ .

(٢) سورة النساء : ٤ / ٥٩ .

(٣) تفسير العياشي ١ : ٢٥٣ / ١٧٦ .

(٤) تاريخ بغداد ١٣ : ٢٨٩ .

(٥) بحار الأنوار ٤٨ : ١٥٨ / ٣٣ .

الفصل السادس : اسهاماته العلمية ١٦١
الخامس من ولد السابع فالله الله في أديانكم لا يزيينكم أحد عنها. يا بني ،
انه لا بدّ لصاحب هذا الأمر من غيبة حتى يرجع عن هذا الأمر من كان
يقول به ، إنما هي محنة من الله عزّ وجلّ امتحن بها خلقه ، ولو علم آباؤكم
وأجدادكم ديناً أصحّ من هذه لاتبعوه »^(١).

وعن العباس بن عامر القصباني ، قال : « سمعت أبا الحسن موسى بن
جعفر عليه السلام يقول : صاحب هذا الأمر من يقول الناس : لم يولد بعد »^(٢).
عن داود بن كثير الرقي ، قال : « سألت أبا الحسن موسى بن جعفر عليه السلام عن
صاحب هذا الأمر ، قال : هو الطريد الوحيد الغريب الغائب عن أهله ، الموتور
بأبيه عليه السلام »^(٣).

وعن يونس بن عبد الرحمن ، قال : « دخلت على موسى بن جعفر عليه السلام
فقلت له : يا ابن رسول الله ، أنت القائم بالحق ؟ فقال : أنا القائم بالحق ، ولكن
القائم الذي يطهر الأرض من أعداء الله عزّ وجلّ ، ويملاها عدلاً كما ملئت
جوراً وظلماً ، هو الخامس من ولدي ، له غيبة يطول أمدها ، خوفاً على
نفسه ، يرتدّ فيها أقوام ويثبت فيها آخرون.

ثم قال : طوي لشيعتنا ، المتمسكين بجلنا في غيبة قائمنا ، الثابتين
على موالاتنا والبراءة من أعدائنا ، أولئك منا ونحن منهم ، قد رضوا بنا
أئمة ، ورضينا بهم شيعة ، فطوي لهم ، ثم طوي لهم ، وهم والله معنا في
درجاتنا يوم القيامة »^(٤).

(١) إكمال الدين : ٣٥٩ / ١ .

(٢) إكمال الدين : ٣٦٠ / ٢ .

(٣) إكمال الدين : ٣٦١ / ٤ .

(٤) إكمال الدين : ٣٦١ / ٥ .

الإمام الكاظم عليه السلام سيرة وتاريخ ١٦٢

عن أبي أحمد محمد بن زياد الأزدي ، أنه قال للإمام الكاظم عليه السلام : « يكون في الأئمة من يغيب ؟ فقال عليه السلام : نعم يغيب عن أبصار الناس شخصه ، ولا يغيب عن قلوب المؤمنين ذكره ، وهو الثاني عشر منا ، يسهّل الله له كل عسير ، ويذلّل له كل صعب ، ويظهر له كنوز الأرض ، ويقرب له كل بعيد ، ويبير به كل جبار عنيد ، ويهلك على يده كل شيطان مرید ، ذلك ابن سيدة الإمام الذي تخفى على الناس ولادته ، ولا يحل لهم تسميته حتى يظهره الله عزّ وجلّ ، فيملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً » ^(١).

مناظرات في الإمامة :

دافع الإمام الكاظم عليه السلام من خلال عدّة مناظرات ذكرنا بعضها في الفصل الثاني ^(٢) عن الأسس التي تقوم عليها الإمامة وعن أهم قواعدها ، كما ردّ على المزيد من الشبهات المثارة حولها ، تقتصر هنا على ذكر بعض ما جاء منها مع هارون في موضوعين مهمين بالنسبة إلى خلفاء بني العباس ، هما تفضيل آل أبي طالب على آل العباس ، وسبب وراثتهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم دون بني العباس.

عن أبي أحمد هاني بن محمد بن محمود العبيدي ، عن أبيه ، بإسناده عن موسى بن جعفر عليه السلام - في حديث - قال : « قال الرشيد : أخبرني لم فضّلتم علينا ونحن وأنتم من شجرة واحدة ، وبنو عبد المطلب ونحن وأنتم واحد ، وإنا بنو العباس ، وأنتم ولد أبي طالب ، وهما عمّا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقرابتهما منه سواء ؟ فقلت : نحن أقرب . قال : وكيف ذلك !؟ قلت : لأن عبد الله

(١) إكمال الدين : ٣٦٨ / ٦ .

(٢) في موقفه عليه السلام من الرشيد أجابه عن سبب نسبة أهل البيت عليهم السلام إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مع أن المرء يُنسب إلى أبيه ، وكيف قيل لهم عليهم السلام ذرية النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، مع أن العقب للذكر ، وهم عليهم السلام أولاد البنت .

الفصل السادس : اسهاماته العلمية ١٦٣
وأبا طالب لأب وأم ، وأبوكم العباس ليس هو من أم عبد الله ، ولا من أم
أبي طالب .

قال : فلم ادعيتكم أنكم ورثتم النبي ﷺ والعم يحجب ابن العم ، وقبض
رسول الله ﷺ وقد توفي أبو طالب قبله ، والعباس عمه حي ؟ فطلب الإمام
الكاظم عليه السلام الأمان من الرشيد قبل الجواب فأمنه .

فقلت : إن في قول علي بن أبي طالب عليه السلام : ليس مع ولد الصلب ذكراً
كان أو أنثى لأحد سهم إلاّ للأبوين والزوج والزوجة ، ولم يثبت للعم مع ولد
الصلب ميراث ، ولم ينطق به الكتاب ، إلاّ أن تيمماً وعدياً وبني أمية قالوا :
العم والد . رأياً منهم بلا حقيقة ، ولا أثر عن النبي ﷺ .

إلى أن قال الرشيد : زدني يا موسى . فقلت : إن النبي ﷺ لم يورث من
لم يهاجر ، ولا أثبت له ولاية حتى يهاجر . فقال : ما حجتك فيه ؟ فقلت :
قول الله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِّنْ وَكَايَتِهِمْ مِّنْ شَيْءٍ
حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا ﴾ ^(١) وإن عمي العباس لم يهاجر » ^(٢) .

المبحث الثاني

دوره عليه السلام في التشريع والتصنيف

أسهم الإمام الكاظم عليه السلام في الدفاع عن مصادر التشريع ، فأكد على اتباع
الكتاب والسنة ، وإبطال القياس والرأي والاستحسان ، ورفض كل أشكال
الابتداع في دين الله ، وأثرت عن الإمام الكاظم عليه السلام كثير من الأخبار التي
تتحدث عن سيرته وسننه التي تجسد مبادئ الإسلام وشريعته السمحاء ، وفي

(١) سورة الأنفال : ٨ / ٧٢ .

(٢) عيون أخبار الرضا عليه السلام : ١ / ٨١ / ٩ ، تحف العقول : ٤٠٤ ، الاختصاص : ٤٨ ،
الاحتجاج : ٢ : ١٦٨ .

الإمام الكاظم عليه السلام سيرة وتاريخ ١٦٤
نفس السياق نجد عدّة كتب ورسائل ومسائل رويت عنه في مجال الأحكام
والشرائع ، لا يزال بعضها ماثلاً إلى اليوم ، هذا فضلاً عن سعة الرواية عنه في
كافة أبواب الفقه ، فقد روى عنه العلماء في فنون العلم من علم الدين وغيره ما
ملاً بطون الدفاتر ، وألّفوا في ذلك المؤلفات الكثيرة المروية عنه بالأسانيد
المتصلة ، وكان يُعرف بين الرواة بالعالم. ويمكن أن نطلع على دور الإمام عليه السلام في
تبليغ أحكام الشريعة مما يلي :

مصادر التشريع :

١ - موقفه عليه السلام من القياس :

عاش الإمام الكاظم عليه السلام في مرحلة ظهر فيها اتجاه القياس والرأي
والاستحسان بقوة في خط الاجتهاد ، والقياس هو إسراء الحكم من موضوع
إلى موضوع آخر للظن بأن أساس الحكم هنا هو أساس الحكم هناك ، وقد بدأ
القياس كقاعدة من قواعد الاستنباط في عصر الإمام الصادق عليه السلام من قبل
المذهب الحنفي ، ووقف الإمام الصادق عليه السلام ومن بعده الإمام الكاظم عليه السلام ضد هذه
القاعدة الاجتهادية ، لأن القياس وكذلك الرأي والاستحسان إنما هي تعويل
على العقل ، ودين الله سبحانه لا يُصاب بالعقول ، كما أنه لا توجد واقعة إلاّ
ويمكن إدراجها تحت الأحكام الكلية المستنبطة من الكتاب والسنة ، روى
سماعة بن مهران ، عن أبي الحسن الأول عليه السلام ، قال : « قلت : أكل شيء في كتاب
الله وسنة نبيه ، أم تقولون فيه برأيكم ؟ فقال : بل كل شيء في كتاب الله وسنة
نبيه » ^(١).

وعنه ، عن أبي الحسن موسى عليه السلام ، قال : « قلت : أصلحك الله ، إننا نجتمع

(١) بصائر الدرجات : ٣٢١ / ١ .

الفصل السادس : اسهاماته العلمية ١٦٥

فتتذاكر ما عندنا ، فما يرد علينا شيء إلاّ وعندنا فيه شيء مسطرّ ، وذلك مما أنعم الله به علينا بكم ، ثم يرد علينا الشيء الصغير وليس عندنا فيه شيء ، فينظر بعضنا إلى بعض ، وعندنا ما يشبهه ، أفنقيس على أحسنه ؟ فقال عليه السلام : وما لكم والقياس ! إنما هلك من هلك من قبلكم بالقياس. ثم قال : إذا جاءكم ما تعلمون فقولوا به ، وإن جاءكم ما لا تعلمون فيها ، وأهوى بيده إلى فيه ^(١). فقلت : أصلحك الله ، أتى رسول الله صلى الله عليه وآله الناس بما يكتفون به في عهده ، قال : نعم ، وما يحتاجون إليه إلى يوم القيامة. فقلت : ضاع من ذلك شيء ؟ فقال : لا ، هو عند أهله ^(٢).

وهنا يضع الإمام عليه السلام اصبعه على موضع الجرح ، فإن مشكلة المسلمين هي أنهم تركوا أهله فلم يرجعوا إليهم فتأهوا في لجة البحر ، وقد قيل إن أبا حنيفة لم يوثق إلاّ (١٧) أو (١٨) حديثاً ، لذلك لجأ إلى القياس ، ولو كان قد رجع إلى أهل البيت عليهم السلام الذين نزل الوحي في بيوتهم وتوارثوا الحديث كائراً عن كائراً ، لاستغنى عن الرأي والظن في أحكام الله.

وفي حديث آخر يؤكد الإمام عليه السلام سبب ترك القياس ، وهو أن الكتاب والسنة لم يتركا فراغاً في التشريع في أي موضوع ، عن أبي المغرا ، عن عبد صالح عليه السلام ، قال : « سألته فقلت : إن أناساً من أصحابنا قد لقوا أباك وجدك وسمعوا منهما الحديث ، فرمما كان الشيء يُبتلى به بعض أصحابنا وليس في ذلك عندهم شيء ، وعندهم ما يشبهه ، يسعهم أن يأخذوا بالقياس ؟ فقال : لا ، إنما هلك من كان قبلنا بالقياس. فقلت له : لم تقول ذلك ؟ فقال : لأنه ليس من

(١) أي اسكنوا.

(٢) الكافي ١ : ٥٧ / ١٣ ، الاختصاص : ٢٨٢ ، بصائر الدرجات : ٣٢٢ / ٤ .

الإمام الكاظم عليه السلام سيرة وتاريخ ١٦٦
شيء إلا وجاء في الكتاب والسنة» ^(١).

وإنما هلك من هلك بالقياس لأنهم لم يرتكزوا على حجة شرعية في الأحكام التي استنبطوها انطلاقاً مما ظنوه ملاكاً للحكم في الأصل فنقلوه إلى الفرع لوجود الملاك فيه ، وإن الظن لا يغني من الحق شيئاً.
أمثلة في إبطال القياس :

عن عثمان بن عيسى ، عن بعض أصحابه. قال : « قال أبو يوسف ^(٢) للمهدي وعنده موسى بن جعفر عليه السلام : تأذن لي أن أسأله عن مسائل ليس عنده فيها شيء ؟ فقال له : نعم. فقال لموسى بن جعفر عليه السلام : أسألك ؟ قال : نعم. قال : ما تقول في التظليل للمحرم ؟ قال : لا يصلح. قال : فيضرب الخباء في الأرض ويدخل البيت ؟ قال : نعم. قال : فما الفرق بين هذين ؟ قال أبو الحسن : ما تقول في الطامث ، أتقضي الصلاة ؟ قال : لا. قال : فتقضي الصوم ؟ قال : نعم. قال : ولم ؟ قال : هكذا جاء. قال أبو الحسن عليه السلام : وهكذا جاء هنا. فقال المهدي لأبي يوسف : ما أراك صنعت شيئاً. قال : رماني بحجر دامغ » ^(٣).

ويتكرر نفس المشهد ولكن بمحضر الرشيد ، فجاء في جواب الإمام عليه السلام لحمد بن الحسن الشيباني لما أبطل قياسه : « أتعجب من سنة رسول الله ! إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كشف ظلاله في إحرامه ، ومشى تحت الظلال وهو محرم ، إن أحكام الله تعالى يا محمد لا تقاس ، فمن قاس بعضه على بعض فقد ضل

(١) المحاسن : ٢١٢ ، الاختصاص : ٢٨١ ، بصائر الدرجات : ٣٢٢ / ٣.

(٢) هو يعقوب بن إبراهيم الأنصاري ، من أصحاب الحديث ، ثم غلب عليه الرأي ، أخذ الفقه عن ابن أبي ليلى ثم عن أبي حنيفة ، وولي القضاء لهارون الرشيد.

(٣) عيون أخبار الرضا عليه السلام ١ : ٧٨ / ٦ ، مناقب آل أبي طالب ٣ : ٤٢٩ ، الاحتجاج :

عن سواء السبيل. فسكت محمد بن الحسن ، ولم يُجِر جواباً «^(١).

٢ — موقفه عليه السلام من الاستحسان والرأي :

ذكرنا آنفاً أن الإمام عليه السلام وقف بوجه هذا التيار المدمر للشريعة مثلما وقف بوجه القياس ، ففي حديثه عليه السلام ليونس بن عبد الرحمن قال : « يا يونس ، لا تكونن مبتدعاً ، من نظر برأيه هلك ، ومن ترك أهل بيت نبيه ضل ، ومن ترك كتاب الله وقول نبيه كفر »^(٢).

والمقصود من النظر بالرأي هو اعتبار الاستحسانات الذاتية أساساً للحكم الشرعي من غير حجة شرعية من كتاب أو سنة ، وهو عين الابتداع في الدين ، ولا يعني ذلك رفض الإمام عليه السلام لحركة الرأي في الإنسان كوسيلة من وسائل التفكير في معرفة موضوعات الأحكام من الأشياء ، بل انه يريد التأكيد على أن الاستحسان في الحكم الشرعي لا يُعد من الوسائل التي جعلها الشارع أساساً للاستنباط ، ولأن حجته لم تثبت من كتاب الله وسنة نبيه ﷺ ، أما ترك حديث أهل البيت عليهم السلام وما رووه عن جدتهم رسول الله ﷺ فإنه يؤدي إلى الضلال ، لأنهم يملكون الحقيقة مما قاله النبي ﷺ في التفسير وتشريع الأحكام ، بكونهم حجة إلى جانب القرآن إلى يوم الدين كما جاء في حديث الثقلين.

ومن الأمثلة العملية على رفض الإمام عليه السلام لكافة أنواع الابتداع في الدين ، ما حكى أن المنصور تقدم إليه عليه السلام بالجلوس للتهنئة في يوم النيروز ، وقبض ما يحمل إليه ، فقال عليه السلام : « إني قد فتشت الأخبار عن جدي رسول الله ﷺ فلم أجد لهذا العيد خبراً ، وإنه سنة للفرس ومحاهم الإسلام ، ومعاذ الله أن

(١) الإرشاد ٢ : ٢٣٥ ، اعلام الوری ٢ : ٣٠ ، مناقب آل أبي طالب ٣ : ٤٢٩ .

(٢) الكافي ١ : ٥٦ .

الإمام الكاظم عليه السلام سيرة وتاريخ ١٦٨
نحبي ما محاه الإسلام. فقال المنصور: إنما نفعل هذا سياسة للجنود، فسألتك
بالله العظيم إلّا جلست» ^(١).

على أن يوم النيروز الذي دخل في تقاليدنا الإسلامية، قد جاءت به
أحاديث تؤكد كونه من الأيام المباركة ويستحب الغسل والصلاة فيه، ولا
تؤكد كونه عيداً لأنّ أعياد المسلمين معروفة، وليس هذا منها كما جاء في
جوابه عليه السلام للمنصور، وقد سكت المنصور عن الرد على الإمام عليه السلام إلّا التذرع
بسياسة الجنود، لكون أغلب الجيش وقادته كانوا من الموالي، وفي هذا المجال
يُروى أنه أهدى إلى أمير المؤمنين علي عليه السلام فالزوج، فقال: «ما هذا؟ قالوا: يوم
نيروز. قال عليه السلام: فنيروزوا إن قدرتم كل يوم. يعني تهادوا وتواصلوا في الله» ^(٢).

فلم يعطه الإمام عليه السلام أهمية إلّا بمقدار اعتباره مناسبة لتوزيع الحلوى
والتواصل بين المسلمين، والمسألة تحتاج إلى مزيد من البحث العلمي الدقيق،
لأن إدخال أي يوم ليكون عيداً في التقاليد الإسلامية، أمر يحتاج إلى التأكد من
خلال المصادر الأصلية، أما من القرآن أو السنة الشريفة، أو من أحاديث أهل
البيت عليهم السلام، ويبقى الاشكال قائماً لكل من يحتفل به كعيد شرعي إسلامي، أما
الاحتفال به كيوم لمطلع الربيع فهو أمر لا بأس به.

٣ - عرض الحديث على الإمام عليه السلام :

عرضت على الإمام الكاظم عليه السلام بعض الأحاديث إما بأمر منه عليه السلام، أو من
السائل لغرض الاستيضاح عن التعارض بين الأحاديث، وكان موقفه عليه السلام من
الأحاديث المعروضة عليه إما أن يسقط الحديث جملة، أو يضعفه ويطعن

(١) مناقب آل أبي طالب ٣ : ٤٣٣.

(٢) دعائم الإسلام / القاضي النعمان المغربي ٢ : ٣٢٦.

الفصل السادس : اسهاماته العلمية ١٦٩
بإسناده ويعرضه على الكتاب والسنة ، وقد يؤيده غير أنه يدل السائل على أن
مورد الحديث خاص.

ومن ذلك ما رواه محمد الرافقي ، قال : « كان لي ابن عمّ يقال له الحسين بن
عبد الله ، وكان زاهداً ، فقال له أبو الحسن عليه السلام : اذهب فتنقّه واطلب الحديث.
قال : عمّن ؟ قال : عن فقهاء أهل المدينة ، ثم اعرض عليّ الحديث... قال :
فذهب فكتب ، ثم جاء فقراه عليه فأسقطه كله » ^(١).

وعن أبان الأحمر ، قال : « سأل بعض أصحابنا أبا الحسن عليه السلام عن الطاعون
يقع في بلدة وأنا فيها ، أتحوّل عنها ؟ قال : نعم. قال : ففي القرية وأنا فيها ، أتحوّل
عنها ؟ قال : نعم. قال : ففي الدار وأنا فيها ، أتحوّل عنها ؟ قال : نعم. قلت : إنا
نتحدث أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال : الفرار من الطاعون كالفرار من الزحف ؟ قال :
إن رسول الله صلى الله عليه وآله إنما قال هذا في قوم كانوا يكونون في الثغور في نحو
العدو ، فيقع الطاعون ، فيخلّون أما كنهم ويفرون منها ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله
ذلك فيهم » ^(٢).

ونقل السيد ابن طاوس عن كتاب (نزهة الكرام وبستان العوام) لمحمد بن
الحسين بن الحسن الرازي ، قال : « إن هارون الرشيد أنفذ إلى موسى بن
جعفر عليه السلام فأحضره ، فلما حضر عنده قال : إن الناس ينسبونكم يا بني فاطمة
إلى علم النجوم ، وإن معرفتكم بما معرفة جيدة ، وفقهاء العامة يقولون : إن
رسول الله صلى الله عليه وآله قال : إذا ذكرني أصحابي فاسكتوا ، وإذا ذكروا القدر فاسكتوا ،
وإذا ذكروا النجوم فاسكتوا. وأمير المؤمنين عليه السلام كان أعلم الخلائق بعلم

(١) الكافي ١ : ٣٥٣ / ٨ ، الإرشاد ٢ : ٢٢٣.

(٢) معاني الأخبار : ٢٥٤ / ١.

النجوم ، وأولاده وذريته الذين تقول الشيعة بإمامتهم كانوا عارفين بها .

فقال له الكاظم عليه السلام : هذا حديث ضعيف ، وإسناده مطعون فيه ، والله تعالى قد مدح النجوم ، ولولا أن النجوم صحيحة ما مدحها الله عز وجل ، والأنبياء عليهم السلام كانوا عالمين بها ، وقد قال الله تعالى في حق إبراهيم خليل الرحمن عليه السلام : ﴿ وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ ﴾ ^(١) . وقال في موضع آخر : ﴿ فَتَطَّرَ نَظْرَةَ فِي النُّجُومِ * فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ ﴾ ^(٢) . فلو لم يكن عالماً بعلم النجوم ما نظر فيها ، وما قال : ﴿ إِنِّي سَقِيمٌ ﴾ . وإدريس عليه السلام كان أعلم أهل زمانه بالنجوم . والله تعالى قد أقسم بمواقع النجوم ﴿ وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَّو تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴾ ^(٣) . وقال في موضع آخر : ﴿ وَالتَّازِعَاتِ غَرْقًا ﴾ إلى قوله : ﴿ فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا ﴾ ^(٤) ... « ^(٥) .

سيرة الإمام الكاظم عليه السلام وسننه :

الإمام الكاظم عليه السلام في سيرته وسننه نسخة من سيرة وسنن آبائه صلوات الله عليهم ، لأنها ترتوي من منهل واحد ، هو سيرة جدهم المصطفى صلى الله عليه وآله التي تجسد مبادئ الإسلام وشريعته السمحاء ، وقد تحدث الرواة في عشرات الأحاديث عن صور كثيرة من سننه وسيرته العملية التي تدخل في صميم مصادر التشريع ، ومنها صلواته ومصلاه وسجوده ، ودعائه واستغفاره وتلاوته وحفظه ، وحجّه وعمرته وكتابته ، ولباسه وخاتمه ، ومطعمه وآداب أكله

(١) سورة الأنعام : ٦ / ٧٥ .

(٢) سورة الصافات : ٣٧ / ٨٨ و ٨٩ .

(٣) سورة الواقعة : ٥٦ / ٧٦ .

(٤) سورة النازعات : ٧٩ / ١ - ٥ .

(٥) فرج المهموم : ١٠٧ / ٢٥ .

الفصل السادس : اسهاماته العلمية ١٧١
ووليمته وتخلله ، وحمامه وخضابه ، وحلق شعره ومشطه وتجمره ، وراحلته
وزراعته ، وسيرته مع غلمانته وجواريه ، وسعيه في قضاء حاجات المسلمين ،
وطبه وحجامة وعلاجاته بعض الأمراض.

وذكرنا في الفصل الخامس سيرته في العبادة والحلم وكظم الغيظ والزهد
والتواضع ، وكلها تعكس جوانب وضاء من مظاهر العظمة التي يتحلّى بها
إمامنا كاظم الغيظ عليه السلام ، مما يتوجب علينا أن نحول ما نتمكن منها إلى برامج عمل
في حياتنا ، كي نرتبط بالخطوط الفكرية والعملية التي انطلق بها في الحياة ،
وتتحرك في خط الاستقامة الذي ارتضاه الإمام عليه السلام لشيعته ، وهذا هو معنى
الولاء للإمام ، لأن إمامتهم هي أن يكونوا أمامنا في مسيرة الإسلام التي تبدأ من
الله وتنتهي إليه.

المصنفات المنسوبة إليه عليه السلام :

ذكر المؤرخون لسيرة الإمام الإمام الكاظم عليه السلام والمترجمون لأصحابه من
علماء الرجال عدّة كتب ورسائل ومسائل ونسخ ، رواها عنه أصحابه في
مجالات شتى منها الأحكام والشرائع والتفسير والدعاء والحكم والمواعظ
والوصايا وغيرها ، وقد وصل بعضها إلينا مثل مسنده عليه السلام برواية المروزي ^(١) ،
ومسائل أخيه علي بن جعفر ^(٢) ، وفيما يلي نذكر أهم إسهامات الإمام أبي الحسن
موسى الكاظم عليه السلام في هذا الاتجاه :

١ - كتاب الحج ، رواه عنه أبو الحسن علي بن عبيد الله بن علي بن

الحسين ^(٣).

(١) طبع بتحقيق السيد محمد حسين الجلالي ، ويشتمل على (٥٩) حديثاً.

(٢) طبع مع مستدرک عليه بتحقيق مؤسسة آل البيت عليهم السلام.

(٣) رجال النجاشي : ٢٥٦ / ٦٧١ ، الذريعة / الطهراني ٦ : ٢٥١ / ١٣٧٣.

الإمام الكاظم عليه السلام سيرة وتاريخ ١٧٢

٢ - دعاء الجوشن الصغير ، أورده السيد ابن طاوس في (مهج الدعوات) (١)
وذكر أنه قد كتبه عن إمامته عليه السلام جمع من شيعته الحاضرين مجلسه الذين كانوا
يحملون معهم في أكمامهم ألواح آبنوس لطاف وأميال ، فيكتبون كلما نطق
بكلمة ، أو أفتى في نازلة كما سمعوا منه (٢).

٣ - أدعية أيام الأسبوع ، أوردها هبة الله بن أبي محمد الحسن الموسوي في
(المجموع الرائق من أزهار الحدائق).

٤ - كتاب الحديث ، رواه عنه أبو اسماعيل بكر بن الأشعث الكوفي (٣).

٥ - كتاب رواه عنه أبو جعفر محمد بن صدقة العنبري البصري (٤).

٦ - كتاب رواه عنه القاسم الرسي بن إبراهيم طباطبا بن إسماعيل بن
إبراهيم بن الحسن (٥).

٧ - كتاب رواه عنه خلف بن حماد بن ياسر الكوفي (٦).

٨ - وله مسائل عدة رواها عنه إبراهيم بن أبي محمود الخراساني ، وهي قدر
خمس وعشرين ورقة (٧) ، وأخرى رواها الحسن بن علي بن يقطين مولى بني
هاشم (٨) ، وثالثة رواها عبد الله بن محمد الأهوازي (٩) ، ورابعة رواها أخوه

(١) وطبع في كهنو سنة ١٨٧١ م.

(٢) الذريعة / الطهراني ٥ : ٢٨٧ / ١٣٣٧.

(٣) رجال النجاشي : ١٠٩ / ٢٧٥ ، الذريعة / الطهراني ٦ : ٣١٦ / ١٧٤٥.

(٤) رجال النجاشي : ٣٦٤ / ٩٨٣.

(٥) رجال النجاشي : ٣١٤ / ٨٥٩.

(٦) رجال النجاشي : ١٥٢ / ٣٩٩.

(٧) رجال الكشي : ٥٦٧.

(٨) رجال النجاشي : ٤٥ / ٩١ ، الفهرست / الشيخ الطوسي : ٩٨ / ١٦٦.

(٩) الذريعة / الطهراني ٢٠ : ٣٦٩ / ٣٤٥٨.

الفصل السادس : اسهاماته العلمية ١٧٣
أبو الحسن علي بن جعفر العريضي ، وهي باقية إلى الآن ، وتعد من الأصول
المعتبرة بين الطائفة^(١) ، وخامسة رواها علي بن يقطين ، الذي قال عنه
النجاشي : روى عن موسى عليه السلام فأكثر^(٢) ، وسادسة رواها يونس بن عبد الرحمن
مولى آل يقطين^(٣) .

٩ — مسند الإمام موسى بن جعفر عليه السلام ، رواه عنه أبو عمران موسى بن
إبراهيم المروزي ، وروي أنه سمع هذا الكتاب وأبو الحسن عليه السلام محبوس عند
السندي بن شاهك ، وكان هو معلماً لولد السندي بن شاهك^(٤) .

١٠ — رسالة كتبها عليه السلام إلى علي بن سويد السائي^(٥) وأوردها ثقة الإسلام
الكليني في (الكافي)^(٦) .

١١ — وصية إلى هشام بن الحكم ، أوردها ثقة الإسلام الكليني في
(الكافي) ، وابن شعبة في (تحف العقول)^(٧) .

ولإسماعيل بن موسى بن جعفر عدة كتب يرويها جميعاً عن أبيه ، سنذكرها

(١) الفهرست : ١٥١ / ٣٧٧ ، الذريعة / الطهراني ٢٠ : ٣٦٠ / ٣٤٠٦ .

(٢) رجال النجاشي : ٢٧٣ / ٧١٥ ، الفهرست : ١٥٤ / ٣٨٨ ، الذريعة ٢٠ : ٣٦٩ /
٣٤٥٩ ، كشف الحجب والأستار / اعجاز حسين : ٥١٠ / ٢٨٧١ .

(٣) الفهرست : ٢٦٦ / ٨١٣ ، كشف الحجب والأستار : ٥١٠ / ٢٨٧٢ ، الذريعة
٢٠ : ٣٦٩ / ٣٤٨٦ و ٣٧٣ / ٣٤٦٠ .

(٤) رجال النجاشي : ٤٠٧ / ١٠٨٢ ، الفهرست : ٢٤٣ / ٧٢٢ ، معالم العلماء / ابن
شهر آشوب : ١٥٥ / ٧٩٩ ، كشف الظنون / حاجي خليفة ٢ : ١٦٨٢ . وقال : رواه
أبو نعيم الأصفهاني ، وروى عنه هذا المسند موسى بن إبراهيم .

(٥) رجال النجاشي : ٢٧٦ / ٧٢٤ .

(٦) الكافي ٨ : ١٢٤ .

(٧) الكافي ١ : ١٠ — ١٥ / ١٢ ، تحف العقول : ٣٨٣ — ٤٠٢ .

الإمام الكاظم عليه السلام سيرة وتاريخ ١٧٤
في المبحث الرابع^(١).

وهناك نسخ عديدة تُنسب إلى الإمام الكاظم عليه السلام رواها عنه علي بن حمزة ابن الحسن بن عبيد الله بن العباس بن أمير المؤمنين عليه السلام^(٢) ، وأخرى رواها محمد ابن ثابت^(٣) ، وثالثة رواها محمد بن زرقان^(٤) ، ورابعة رواها محمد بن فضيل بن كثير الصيرفي الأزدي^(٥).

المبحث الثالث

إسهامات علمية أخرى

١ - في تفسير القرآن :

يعدّ حديث أهل البيت عليهم السلام من أهم مصادر تفسير آيات الكتاب الكريم ، وبيان أبعاد معانيه ، وتصاريف أغراضه ومرامييه ، وقد أثبتت الدلائل والوقائع أنهم عليهم السلام الأقدر على تفسير الكتاب وإدراك مضامينه وفهم دقائقه ، لأن القرآن نزل في بيوتهم ، ولأنهم الذين قرن رسول الله صلى الله عليه وآله بينهم وبين الكتاب ، وذكر أنهما لن يفترقا حتى يردا عليه الحوض ، قال أمير المؤمنين عليه السلام : « والله ما نزلت آية إلا وقد علمت فيما نزلت ، وأين نزلت ، وعلى من نزلت ، إن ربّي وهب لي قلباً عقولاً ، ولساناً طلقاً سؤولاً »^(٦).

ومن تتبع التفسير الأثري الوارد عن أهل البيت عليهم السلام يجد أن هناك خطوطاً

(١) راجع : رجال النجاشي : ٢٦ / ٤٨ ، الفهرست / الشيخ الطوسي : ٤٥ / ٣١ .

(٢) رجال النجاشي : ٢٧٢ / ٧١٤ ، الذريعة / الطهراني : ٢٤ / ١٥٢ / ٧٧٩ .

(٣) رجال النجاشي : ٣٦٩ / ١٠٠٣ ، الذريعة / الطهراني : ٢٤ / ١٥٢ / ٧٨٠ .

(٤) رجال النجاشي : ٣٧٠ / ١٠٠٦ ، الذريعة / الطهراني : ٢٤ / ١٥٢ / ٧٨١ .

(٥) الذريعة / الطهراني : ٢٤ / ١٥٢ / ٧٨٢ .

(٦) كتر العمال ١٣ : ١٢٨ / ٣٦٤٠٤ .

الفصل السادس : اسهاماته العلمية ١٧٥

أساسية سموها لفهم القرآن الكريم ، يمكن أن نصلح عليها منهج أهل البيت عليهم السلام في التفسير ، وهي تتمثل في تفسير القرآن بالقرآن ، وقولهم بسلامة الكتاب الكريم من التحريف ، وأنه الذي بأيدي المسلمين ما بين الدفتين ، وتفسير الآيات على ضوء القول بتزيه الخالق عن التجسيم والوصف والرؤية ، وتزيه الأنبياء عن المعاصي وغيرها من عقائد الإسلام الأصيل.

وقد تركوا عليهم السلام تراثاً ضخماً من الروايات والأخبار التي تدخل في باب التفسير ، جمعها السيد هاشم البحراني المتوفى سنة (١١٠٧ هـ) في كتابه (البرهان في تفسير القرآن) ، والشيخ عبد علي بن جمعة العروسي المتوفى سنة (١١١٢ هـ) في تفسيره (نور الثقلين) ، فضلاً عن تفاسير الأثر المتقدمة الواصلة إلينا مثل تفسير فرات الكوفي ، والعايشي ، وعلي بن إبراهيم القمي ، وجميعها تقتصر على حديثهم الوارد في هذا الشأن.

وللإمام الكاظم عليه السلام نصيب وافر من هذا الكم التفسيري الهائل الوارد في التفاسير الأثرية ، أما تفسيره المبثوث في مصادر الحديث ، فقد راجعنا معجم تفسير أهل البيت عليهم السلام ^(١) الذي أُعدّ بعد تتبّع (١٧٧) مصدراً من مصادر الرواية الأولى من كتب الفريقين ، عدا مصادر التفسير ، فوجدنا فيه (٦٨٨) مورداً منقولاً عن الإمام الكاظم عليه السلام في تفسير القرآن ، وهو يعكس عظمة جهود الإمام عليه السلام ومزيد اهتمامه بتفسير الكتاب الكريم ، وفيما يلي نماذج من تفسيره عليه السلام :

عن سليمان الفراء ، عن أبي الحسن عليه السلام ، في قول الله تعالى : ﴿ وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ ﴾ ^(٢) ، قال : « الصبر : الصوم ، إذا نزلت بالرجل الشدة أو النازلة فليصم ، فإن الله يقول : ﴿ وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ ﴾ ، الصبر :

(١) أعدّه قسم الدراسات الإسلامية في مؤسسة البعثة ، ولم يطبع إلى الآن.

(٢) سورة البقرة : ٢ / ٤٥ .

الإمام الكاظم عليه السلام سيرة وتاريخ ١٧٦
« الصوم » ^(١).

وعن محمد بن الفضيل ، عن أبي الحسن عليه السلام ، في قوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴾ ^(٢) ، قال عليه السلام : « هو التضييع » ^(٣) .
وعن الحسن بن راشد ، قال : « سئل أبو الحسن موسى عليه السلام عن معنى قول الله تعالى : ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾ ^(٤) ، فقال : استولى على ما دقّ وجلّ » ^(٥) .

وفي قوله تعالى : ﴿ وَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ ﴾ ^(٦) ، قال أبو الحسن موسى بن جعفر عليه السلام : « إن الله عزّ وجلّ لما فتح على نبيه صلى الله عليه وآله فذكّ وما والاها ، لم يوجف عليها بخيل ولا ركاب ، فأنزل الله تعالى على نبيه صلى الله عليه وآله : ﴿ وَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ ﴾ فلم يدر رسول الله صلى الله عليه وآله من هم ، فراجع في ذلك جبرئيل عليه السلام ، فسأل الله عزّ وجلّ عن ذلك ، فأوحى الله إليه : أن ادفع فذكّ إلى فاطمة . فدعاها رسول الله صلى الله عليه وآله ، فقال لها : يا فاطمة ، إن الله تعالى أمرني أن أدفع إليك فذكّ . فقالت : قد قبلت يا رسول الله ، من الله ومنك ، فلم يزل وكلاءها فيها حياة رسول الله صلى الله عليه وآله ، فلما ولي أبو بكر أخرج عنها وكلاءها ، فأتته فسألته أن يردّها عليها ، فقال لها : ائتينني بأسود أو أحمر ليشهد لك بذلك . فجاءت بأمر المؤمنين والحسن والحسين عليهم السلام وأم أيمن ، فشهدوا

(١) تفسير العياشي ١ : ٤٣ / ٤١ .

(٢) سورة الماعون : ١٠٧ / ٥ .

(٣) نور الثقلين ٥ : ٦٧٨ / ٩ .

(٤) سورة طه : ٢٠ / ٥ .

(٥) التوحيد : ٢٣٠ / ٤ .

(٦) سورة الإسراء : ١٧ / ٢٦ .

لها بذلك ، فكتب بترك التعرض ، فخرجت بالكتاب معها فلقبها عمر ، فقال لها : ما هذا معك يا بنت محمد ؟ قالت : كتاب كتبه لي ابن أبي قحافة . فقال لها : أرينيه ، فأبت ، فانتزعه من يدها »^(١) .

وعن محمد بن الفضيل ، عن أبي الحسن عليه السلام ، في قوله تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ ﴾^(٢) ، قال : « ما كان من الإيمان المستقر فمستقر إلى يوم القيامة ، وما كان مستودعاً سلبه الله قبل الممات »^(٣) .

وعن أبي إسحاق المدائني ، قال : « كنت عند أبي الحسن عليه السلام إذ دخل عليه رجل فقال له : جعلت فداك ، إن الله يقول : ﴿ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ﴾^(٤) ... فأي شيء الذي إذا فعله استحق واحدة من هذه الأربع ؟ فقال له أبو الحسن عليه السلام : أربع ، فخذ أربعاً بأربع ، إذا حارب الله ورسوله وسعى في الأرض فساداً فقتل قُتِلَ ، فإن قُتِلَ وأخذ المال قُتِلَ وصلب ، وإن أخذ المال ولم يقتل قُطعت يده ورجله من خلاف ، وإن حارب الله ورسوله وسعى في الأرض فساداً ولم يأخذ المال نفى من الأرض . فقال له الرجل : جعلت فداك ، وما حدّ نفيه ؟ قال : يُنفى من المصر الذي فعل فيه ما فعل إلى غيره ، ثم يكتب إلى أهل ذلك المصر أن ينادى عليه بأنه منفي ، فلا تَواكلوه ولا تشاربوه ولا تناكحوه ، فإذا خرج من ذلك

(١) الكافي ١ : ٤٥٦ / ٥ ، التهذيب ٤ : ١٤٨ / ٤١٤ .

(٢) سورة الأنعام : ٦ / ٩٨ .

(٣) تفسير العياشي ١ : ٣٧١ / ٧٢ .

(٤) سورة المائدة : ٥ / ٣٣ .

الإمام الكاظم عليه السلام سيرة وتاريخ ١٧٨
المصر إلى غيره ، كتب إليهم بمثل ذلك ، فيفعل به ذلك سنة ، فإنه سيُتوب
من السنة وهو صاغر... » ^(١).

٢ - قصار الحكم :

ورد عن الإمام الكاظم عليه السلام المزيد من قصار الحكم ، وهي تتسم بجزالة
اللفظ ومتانة الأسلوب وعمق المحتوى ، وتختزن مضامين اجتماعية وأخلاقية
وتربوية راقية ، تدعو إلى تقويم السلوك وتهذيب النفوس وتحسينها ، وتنمية
نوازعها الحيرة ، لتصل إلى السعادة المبتغاة ، وفي ما يلي مختار منها :

قال عليه السلام : « ليس منا من لم يحاسب نفسه في كل يوم ، فإن عمل خيراً
استزاد الله منه ، وحمد الله عليه ، وإن عمل شراً استغفر الله وتاب
إليه » .

« أفضل العبادة بعد المعرفة انتظار الفرج » .

« مثل المؤمن كمثل كفتي الميزان ، كلما زيد في إيمانه زيد في بلائه ،
ليلقى الله عزّ وجلّ ولا خطيئة له » .

« المؤمن أخو المؤمن لأمه وأبيه وإن لم يلده أبوه ، ملعون من أتهم
أخاه ، ملعون من لم ينصح لأخيه ، ملعون من استأثر على أخيه ، ملعون من
احتجب عن أخيه ، ملعون من اغتاب أخاه » .

« من لك بأخيك كله ، لا تستقص عليه فتبقى بلا أخ » .

« إن من واجب حق أخيك أن لا تكتمه شيئاً تنفعه به لأمر دنياه
وآخرته ، ولا تحقد عليه وإن أساء ، وأجب دعوته إذا دعاك ، ولا تخل بينه
وبين عدوه من الناس ، وإن كان أقرب إليه منك ، وعده في مرضه » .

(١) تفسير العياشي ١ : ٣١٧ / ٩٨ .

« ثلاثة يستظلون بظل عرش الله يوم لا ظل إلا ظله : رجل زوج أخاه المسلم ، أو أخدمه ، أو كتّم له سرّاً » .
المؤمن أعز من الجبل ، الجبل يستقل بالمعاول ، والمؤمن لا يستقل دينه بشيء » .

« نعم المال النخل ، الراسخات في الوحل ، المطاعم في الخلل » .

« المغبون من غبن من عمره ساعة » .

« لا تحدثوا أنفسكم بفقر ولا بطول عمر ، فإنه من حدث نفسه بالفقر يئخل ، ومن حدثها بطول العمر يحرص ، أداء الإمانة والصدق يجلبان الرزق ، والخيانة والكذب يجلبان الفقر والنفاق » .

« لكل شيء زكاة ، وزكاة الجسد صيام النوافل » .

« لا عز إلا لمن تذلّ الله ، ولا رفعة إلا لمن تواضع لله ، ولا أمن إلا لمن خاف الله ، ولا ربح إلا لمن باع الله نفسه » .

« وجدت علم الناس في أربع : أولها أن تعرف ربك ، والثانية أن تعرف ما صنع بك ، والثالثة أن تعرف ما أراد بك ، والرابعة أن تعرف ما يخرجك من ذنبك » .

« اجتهدوا في أن يكون زمانكم أربع ساعات : ساعة لمناجاة الله ، وساعة لأمر المعاش ، وساعة لمعاشرة الإخوان والثقات الذين يعرفونكم عيوبكم ويخلصون لكم في الباطن ، وساعة تخلون فيها للذاتكم في غير محرم » .

« من لم يجد للإساءة مضمناً لم يكن للإحسان عنده موقع » .

« كفارة عمل السلطان الإحسان إلى الإخوان » .

« ما استبّ اثنان إلا انحطّ الأعلى إلى مرتبة الأسفل » .

« من أبطرتة النعمة وقره زواها .»

« من ولده الفقر أبطره الغنى .»

« من اقتصد وقنع بقيت عليه النعمة ، ومن بذر وأسرف زالت عنه النعمة .»

« المعروف تلو المعروف غلّ لا يفكه إلا مكافأة أو شكر .»

« التحدث بنعم الله شكر ، وترك ذلك كفر ، فاربطوا نعم ربكم تعالى بالشكر ، وحصنوا أموالكم بالزكاة .»

« من أحزن والديه فقد عقهما .»

« من كثر قلقه لم يعرف بشره .»

« إياك أن تمنع في طاعة الله فتفتق مثليه في معصية الله .»
« يعرف شدة الجور من حكم به عليه .»

« ليس حسن الجوار كف الأذى ، ولكن حسن الجوار الصبر على الأذى .»

« المصيبة للصابر واحدة وللجاذع اثنتان .»

« الله يترّل المعونة على قدر المؤونة ، ويترّل الصبر على قدر المصيبة .»

« لو ظهرت الآجال لافترضحت الآمال .»

« التدبير نصف العيش .»

« التودد إلى الناس نصف العقل .»

« العجلة هي الخرق .»

« قلة الوفاء عيب بالمروءة .»

« كفى بالنجارب تأديباً ، وبمر الأيام عظة ، وبأخلاق من عاشرت

معرفة ، ويذكر الموت حاجزاً من الذنوب والمعاصي .»

« العجب كل العجب للمحتمين من الطعام والشراب مخافة الداء أن يتزل بهم ، كيف لا يهتمون من الذنوب مخافة النار إذا اشتعلت في أبدانهم ! »^(١).

٣ - وصايا ومواعظ :

وردت المزيد من الوصايا والمواعظ التي أدلى بها الإمام موسى بن جعفر عليه السلام في مناسبات شتى ، وسلط فيها الضوء على الكثير من المضامين الإسلامية السامية ، ويأتي على رأس تلك الوصايا وصيته لهشام بن الحكم ، وهي وصية مسهبة تشتمل على مواعظ بليغة وحكم رائعة وأقوال جامعة ، وضمنها عليه السلام شواهد من آي الكتاب الكريم وحديث الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله ، وأحاديث أمير المؤمنين علي والحسن وعلي بن الحسين عليهم السلام ، وشيئاً من حكمة لقمان والمسيح عليه السلام ومواعظ الإنجيل.

ومن مضامينها موضوع العقل وكونه حجة في المعرفة ، إذ ان أحد الأدلة المهمة على الربوبية والتوحيد هو التأمل في الآفاق ، وأداته العقل ، وعدد فيها مكارم الأخلاق مرغّباً فيها ، وبيّن مساوئ الأخلاق مرغّباً عنها ، وفيما يلي مختار منها :

قال هشام بن الحكم : « قال لي أبو الحسن عليه السلام : يا هشام ، إن لقمان قال لابنه : تواضع للحق تكن أعقل الناس . يا بني ، إن الدنيا بحر عميق ، قد

(١) اخترنا هذه الكلمات من كتاب تحف العقول : ٤٠٨ ، وأعلام الدين / الديلمي : ١٢٠ ، والتذكرة الحمدونية : ١١١ و ٢٦٩ ، ومعارج اليقين في أصول الدين / السبزواري : ٣١٤ ، ونهاية الأرب / النويري ٣ : ٢٤٨ ، ومهجة المجالس / القرطبي ١ : ٦٨٩ ، وملحقات إحقاق الحق / المرعشي ٢٨ : ٥٦٣ .

الإمام الكاظم عليه السلام سيرة وتاريخ ١٨٢

غرق فيه عالم كثير ، فلتكن سفينتك فيها تقوى الله ، وحشوها الإيمان ،
وشرعها التوكل ، وقيمها العقل ، ودليلها العلم ، وسكانها الصبر .

يا هشام ، لكل شيء دليل ، ودليل العاقل التفكير ، ودليل التفكير
الصمت ، ولكل شيء مطية ، ومطية العاقل التواضع ، وكفى بك جهلاً أن
تركب ما فهمت عنه .

يا هشام ، إن العاقل الذي لا يشغل الحلال شكره ، ولا يغلب الحرام
صبره .

يا هشام ، إن العقلاء زهدوا في الدنيا ورغبوا في الآخرة ، لأنهم علموا
أن الدنيا طالبة ومطلوبة ، والآخرة طالبة ومطلوبة ، فمن طلب الآخرة
طلبته الدنيا حتى يستوفي منها رزقه ، ومن طلب الدنيا طلبته الآخرة ،
فيأتيه الموت فيفسد عليه دنياه وآخرته .

يا هشام ، إن كل الناس يبصر النجوم ولكن لا يهتدي بها إلا من يعرف
مجاريها ومنازلها ، وكذلك أنتم تدرسون الحكمة ولكن لا يهتدي بها
منكم إلا من عمل بها .

يا هشام ، بنس العبد عبد يكون ذا وجهين وذا لسانين ، يطري أخاه
إذا شاهده ، ويأكله إذا غاب عنه ، إن أعطى حسده ، وإن ابتلى خذله .

إن أسرع الخير ثواباً البر ، وأسرع الشر عقوبة البغي ، وإن شر عباد
الله من تكروه مجالسته لفحشه ، وهل يكبّ الناس على مناخرهم في النار
إلا حصائد ألسنتهم ، ومن حسن إسلام المرء ترك ما لا يعنيه .

يا هشام ، لا يكون الرجل مؤمناً حتى يكون خائفاً راجياً ، ولا يكون
خائفاً راجياً حتى يكون عاملاً لما يخاف ويرجو .

يا هشام ، مثل الدنيا مثل ماء البحر ، كلما شرب منه العطشان ازداد

الفصل السادس : اسهاماته العلمية ١٨٣
عطشاً حتى يقتله.

يا هشام ، من أحب الدنيا ذهب خوف الآخرة من قلبه ، وما أوتي عبد
علماً فازداد للدنيا حباً إلاّ ازداد من الله بعداً ، وازداد الله عليه غضباً .»

وذكر في آخر الوصية خلق العقل ، ووزيره وهو الخير ، وجنوده وهي
مكارم الأخلاق وعددها خمسة وسبعين ، وذكر الجهل ووزيره وهو الشر ،
وجنوده وهي المساوئ التي تضادّ وتقابل المكارم ، وعددها خمسة وسبعين
أيضاً ، مثل : الإيمان والكفر ، التصديق والتكذيب ، الإخلاص والنفاق ، العدل
والجور ، الرضا والسخط ، الشكر والكفران ، اليأس والطمع ، الرأفة والغلظة.

ثم قال بعدها : « يا هشام ، لا تُجمع هذه الخصال إلاّ لنبى أو وصي أو
مؤمن امتحن الله قلبه للإيمان ، وأما سائر ذلك من المؤمنين فإن أحدهم
لا يخلو من أن يكون فيه بعض هذه الجنود من أجناد العقل حتى
يستكمل العقل ويتخلص من جنود الجهل ، فعند ذلك يكون في الدرجة
العليا مع الأنبياء والأوصياء عليهم السلام ، وفقنا الله وإياكم لطاعته » ^(١).
ومن مواعظه ووصاياه الأخرى :

عن سعد بن أبي خلف ، قال موسى بن جعفر عليه السلام لبعض شيعته : « أي
فلان ، اتق الله ، وقل الحق وإن كان فيه هلاكك ، فإن فيه نجاتك. أي فلان ،
اتق الله ودع الباطل وإن كان فيه نجاتك ، فإن فيه هلاكك » ^(٢).

وقال لبعض ولده : « يا بني ، إياك أن يراك الله في معصية نهاك عنها ،
وإياك أن يفقدك الله عند طاعة أمرك بها ، ولا تخرجتك نفسك عن التقصير
في عبادة الله وطاعته ، فإن الله لا يعبد حق عبادته ، وإياك والمزاح فإنه

(١) الكافي ١ : ١٠ - ١٥ / ١٢ ، تحف العقول : ٣٨٣ - ٤٠٢ .

(٢) تحف العقول : ٤٠٨ .

الإمام الكاظم عليه السلام سيرة وتاريخ ١٨٤
يذهب بنور إيمانك ويستخف مروءتك ، وإياك والضجر والكسل فإنهما
يمنعان حظك من الدنيا والآخرة» ^(١).

ورأى عليه السلام رجلين يتساiban ، فقال : « البادئ أظلم ، ووزره ووزر صاحبه
عليه ما لم يعتذر إلى المظلوم » ^(٢).

وسمع عليه السلام رجلاً يتمنى الموت ، فقال له : « هل بينك وبين الله قرابة
يجميك لها ؟ قال : لا . قال : فهل لك حسنات قدّمتها تريد على سيئاتك ؟
قال : لا . قال : فأنت إذن تتمنى هلاك الأبد » ^(٣).

وعن حفص بن غياث ، قال : سمعت موسى بن جعفر عليه السلام عند قبر وهو
يقول : « إن شيئاً هذا آخره لحقيق أن يزهدي في أوله ، وإن شيئاً هذا أوله
لحقيق أن يخاف آخره » ^(٤).

قال الحسن بن أسد : ذكر عنده بعض الجبابة فقال عليه السلام : « أما والله لئن عزّ
بالظلم في الدنيا ليدلنّ بالعدل في الآخرة » ^(٥).

وقال عليه السلام للفضل بن يونس : « أبلغ خيراً وقل خيراً ولا تكن إمعة . قلت :
وما الإمعة ؟ قال : لا تقل أنا مع الناس ، وأنا كواحد من الناس » ^(٦).

وعن سعيد بن محمد بن مسعدة ، قال : « قال لي أبو الحسن موسى بن
جعفر عليه السلام : إن عيال الرجل إسراؤه ، فمن أنعم الله عليه نعمة ، فليوسع على

(١) السرائر / ابن إدريس ٣ : ٥١٩ ، من لا يحضره الفقيه ٤ : ٤٠٨ .

(٢) الكافي ٢ : ٣٦٠ / ٤ ، وفي تحف العقول : ٤٠٩ ما لم يعتد المظلوم ، وفي الكافي ٢ :
٣٢٢ / ٣ ما لم يتعد المظلوم .

(٣) كشف الغمة ٢ : ٢٥٢ ، ورواه الشيرازي في الإتحاف بحب الأشراف : ٥٤ .

(٤) تحف العقول : ٤٠٨ ، معاني الأخبار : ٣٤٢ / ١ .

(٥) تاريخ يعقوبي ٢ : ٤١٤ .

(٦) تحف العقول : ٤١٢ .

إسرائه ، فإن لم يفعل أو شك أن تزول عنه تلك النعمة »^(١) .

وعن كليب الصيداوي ، قال : « قال لي أبو الحسن عليه السلام : إذا وعدتم الصبيان ففؤا لهم ، فإنهم يرون أنكم الذين ترزقوهم ، إن الله عزّ وجلّ ليس يغضب لشيء كغضبه للنساء والصبيان »^(٢) .

٤ — ما نسب إليه عليه السلام من الشعر :

كان عليه السلام قليل التعاطي للشعر مع قدرته عليه ، فقد كان يميز^(٣) الشعر منذ أن كان صبياً ، يدل على ذلك ما روى عنه عليه السلام ، قال : « دخلت ذات يوم من المكتب ومعى لוחي قال : فأجلسني أبي بين يديه وقال : يا بني اكتب : تنحّ عن القبيح ولا تردده . ثم قال : أجزه . فقلت : ومن أوليته حسناً فزده . ثم قال : ستلقى من عدوك كل كيد . فقلت : إذا كاد العدو فلا تكده . قال : فقال : ذرية بعضها من بعض »^(٤) .

ومما ورد من الشعر منسوباً إليه ، ما جاء في حديث شقيق بن إبراهيم البلخي الأزدي ، أنه خرج حاجاً في سنة (١٤٩ هـ) ، ورأى الإمام أبا الحسن عليه السلام وكان قائماً على بئر وبيده ركوة يريد أن يستقي ماءً ، فسقطت الركوة من يده في البئر ، فرمق السماء وأنشأ يقول :

أنت ريبي إذا ظممت إلى الماء وقوتني إذا أردت الطعاما^(٥)
وعن موسى بن بكر ، قال : ما أحصي ما سمعت أبا الحسن موسى عليه السلام ينشد :

(١) من لا يحضره الفقيه ٤ : ٤٠٢ ، روضة الواعظين : ٣١٠ .

(٢) الكافي ٦ : ٥٠ / ٨ ، أمالي الصدوق : ٥٢٦ / ٧١٢ ، من لا يحضره الفقيه ٤ : ٢٨٧ / ٨٦٣ .

(٣) الإجازة : أن تتم مصراع بيت الشعر الذي يقوله غيرك .

(٤) مناقب آل أبي طالب ٣ : ٤٣٣ .

(٥) كشف الغمة ٣ : ٣ ، نور الأبصار : ١٤٩ ، تذكرة الخواص : ٣٤٨ .

الإمام الكاظم عليه السلام سيرة وتاريخ ١٨٦
فإن يك يا أميم علي دين فعمران بن موسى ^(١) يستدين ^(٢)

وجاء في مناظرة له مع الرشيد حين لقيه في الحج أنه أنشد عليه السلام :

هب الدنيا تؤاتينا سنينا فتكدر تارة وتلذذ حيننا
فما أرضى بشيء ليس يلقى وأتركه غداً للوارثينا
كأنى بالتراب علي يُحشى وبالإخوان حولي نائحيننا
ويوم تزفر النيران فيه وتقسم جهرة للسامعينا
وعزة خالقي وجلال ربي لأنتمن منكم أجمعينا ^(٣)

٥ - إسهاماته عليه السلام في علم الطب :

للإمام الكاظم عليه السلام إرشادات كثيرة تنضوي تحت علم الطب ، منها مواصفات لبعض الأدوية والأغذية وعلاجات لبعض الأمراض ، وقد جمع زميلنا الأستاذ شاكر شيع في كتابه الموسوم (طب الإمام الكاظم عليه السلام) ^(٤) كل ما ورد عن الإمام موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام من حديث يتعلق بعلم الطب ، وجعل في هامش كتابه دراسة وافية ومقارنة بين طبه عليه السلام والطب الإسلامي والعربي واليوناني .

وفيما يلي بعض ما ورد عن الإمام الكاظم عليه السلام من إرشادات طبية عامة :

مضاعفات الدواء :

قال أبو الحسن الأول عليه السلام : « ادفعوا معالجة الأطباء ما اندفع الداء عنكم ،

(١) قيل : المراد موسى بن عمران ، وإثما قلب للوزن .

(٢) الكافي ٥ : ٩٥ / ١٠ .

(٣) إحقاق الحق ١٢ : ٣١٢ ، عن الروض الفائق : ٦٥ - القاهرة .

(٤) نشر : المؤتمر العالمي للإمام الرضا عليه السلام - مشهد .

فإنه بمزلة البناء قليله يجر إلى كثيره » ^(١).

وعن عثمان الأحول ، قال : « سمعت أبا الحسن عليه السلام يقول : ليس من دواء إلا وهو يهيج داء ، وليس شيء في البدن أنفع من إمساك اليد إلا عما يحتاج إليه » ^(٢).

الحمية :

عن عمرو بن إبراهيم ، قال : « سمعت أبا الحسن يقول : لو أن الناس قصدوا في المطعم ، لاستقامت أبدانهم » ^(٣).

وقال أبو الحسن عليه السلام : « الحمية رأس كل دواء ، والمعدة بيت الأدواء ، وعودٌ بدنك ما تعود » ^(٤).

وعن موسى بن بكر ، عن أبي الحسن موسى عليه السلام ، قال : « ليس الحمية أن تدع الشيء أصلاً لا تأكله ، ولكن الحمية أن تأكل من الشيء وتخفف » ^(٥).

الحمام :

عن سليمان الجعفري ، عن أبي الحسن عليه السلام : « الحمام يوم ويوم لا ، يكثر اللحم ، وإدمانه كل يوم يذيب شحم الكليتين » ^(٦).

وعنه عليه السلام ، قال : « لا تدخلوا الحمام على الريق ، لا تدخلوه حتى تطعموا شيئاً » ^(٧).

(١) علل الشرائع : ٤٦٥ / ١٧.

(٢) الكافي : ٨ / ٢٧٣ / ٤٠٩.

(٣) المحاسن : ٤٣٩ / ٢٩٦.

(٤) فقه الإمام الرضا عليه السلام : ٣٤٠.

(٥) الكافي : ٨ / ٢٩١ / ٤٤٣.

(٦) الكافي : ٦ / ٤٩٦ / ٢.

(٧) من لا يحضره الفقيه ١ : ١١٦ / ٢٤٥.

علامات الدم :

عن يونس بن عبد الرحمن ، عن أبي الحسن عليه السلام ، قال : « علامات الدم أربعة : الحكمة ، والبشرة ، والنعاس ، والدوران »^(١) .
سنن الرأس والبدن :

وعن الحسن بن الجهم ، عن أبي الحسن عليه السلام ، قال : « خمس من السنن في الرأس ، وخمس في الجسد ؛ فأما التي في الرأس : فالسواك ، وأخذ الشارب ، وفرق الشعر ، والمضمضة ، والاستنشاق . وأما التي في الجسد : فالختان ، وحلق العانة ، ونتف الإبطين ، وتقليم الأظفار ، والاستنجاء »^(٢) .
وجاء عنه عليه السلام وصفاً لبعض العلاجات وذكرها لمواصفات كثير من الأغذية والأدوية نذكر منها :

علاج البصر :

عن إبراهيم بن عبد الحميد ، عن أبي الحسن الأول عليه السلام ، قال : « ثلاثة يجلين البصر : النظر إلى الخضرة ، والنظر إلى الماء الجاري ، والنظر إلى الوجه الحسن »^(٣) .

وعن علي بن يقطين ، عن أبي الحسن الأول عليه السلام ، قال : « إن الشعر على الرأس إذا طال أضعف البصر ، وذهب بضوء نوره ، وطمّ الشعر يجلي البصر ويزيد في ضوء نوره »^(٤) .

وعن سليم مولى علي بن يقطين ، أنه كان يلقي من عينيه أذىً ، قال : « فكتب إليه أبو الحسن عليه السلام : ما يمنعك من كحل أبي جعفر عليه السلام ؟ جزء كافور

(١) الخصال : ٢٥٠ / ١١٥ .

(٢) الخصال : ٢٧١ / ١١ .

(٣) الخصال : ٩٢ / ٣٥ .

(٤) السرائر ٣ : ٥٧٥ .

رباحي ، وجزء صبر اصقوطني ، يدقان جميعاً وينخلان بحريرة ، يكتحل منه مثلاما يكتحل من الإثمء ، الكحلة في الشهر تحدر كل داء في الرأس وتخرجه من البدن. قال : فكان يكتحل به ، فما اشتكى عينه حتى مات «^(١) .
الحجامة :

قال العالم ءائيل : « الحجامة بعد الأكل ، لأنه إذا شبع الرجل ثم احتجم اجتمع الدم وخرج الداء ، وإذا احتجم قبل الأكل خرج الدم وبقي الداء »^(٢) .
وعن حمزة بن الطيار ، قال : « كنت عند أبي الحسن الأول ءائيل ، فرآني أتأوه ، فقال : ما لك ؟ قلت : ضرسى . فقال : احتجم . فاحتجمت فسكن ، فأعلمته ، فقال لي : ما تداوى الناس بشيء خير من مصة دم أو مزعة عسل . قلت : جعلت فداك ، ما المزعة عسل ؟ قال : لعقة عسل »^(٣) .
التفاح :

عن الجعفري ، قال : سمعت أبا الحسن الأول ءائيل يقول : « التفاح شفاء من خصال : من السم ، والسحر ، واللمم يعرض من أهل الأرض ، والبلغم الغالب ، وليس شيء أسرع منفعة منه »^(٤) .
وعن زياد القندي ، قال : « دخلت المدينة ومعى أحي سيف ، فأصاب الناس رعاف ، فكان الرجل إذا رعف يومين مات ، فرجعت إلى المتزل ، فإذا سيف يرعف رعافاً شديداً ، فدخلت على أبي الحسن ءائيل فقال : يا زياد ، أطعم سيفاً التفاح . فأطعمته إياه فبرئ »^(٥) .

(١) الكافي ٨ : ٣٨٢ / ٥٨٢ .

(٢) مكارم الأخلاق : ٧٣ .

(٣) الكافي ٨ : ١٩٤ / ٢٣١ .

(٤) المحاسن : ٥٥٣ / ٨٩٨ .

(٥) الكافي ٦ : ٣٥٦ / ٤ .

الإمام الكاظم عليه السلام سيرة وتاريخ ١٩٠
الإجاص :

عن زياد القندي ، قال : « دخلت على أبي الحسن الأول عليه السلام وبين يديه تور ماء فيه إجاص أسود في إبانه ، فقال : إنه هاجت بي حرارة ، وإن الأجاص الطري يطفئ الحرارة ، ويسكن الصفراء ، وإن اليابس منه يسكن الدم ، ويسل الداء الدوي » ^(١).

خبز الشعير :

وعنه عليه السلام ، قال : « فضل خبز الشعير على البرّ كفضلنا على الناس ، ما من نبي إلا وقد دعا لآكل الشعير وبارك عليه ، وما دخل جوفاً إلا وأخرج كل داء فيه ، وهو قوت الأنبياء وطعام الأبرار ، أبي الله أن يجعل قوت الأنبياء للأشقياء » ^(٢).

البيض :

عن عمر بن أبي حسنة الجمال ، قال : « شكوت إلى أبي الحسن عليه السلام قلة الولد ، فقال : استغفر الله وكل البيض بالبصل » ^(٣).

المبحث الرابع

الدور العلمي لأصحابه عليهم السلام

التفّ حول الإمام أبي الحسن عليه السلام المئات من الرواة الثقات ممن أخذ عنه وتلمذ له من أهل بيته ومن غيرهم ، قال الشيخ المفيد : « قد روى الناس عن أبي الحسن موسى عليه السلام فأكثرُوا ، وكان أفقه أهل زمانه وأحفظهم

(١) الكافي ٦ : ٣٥٩ / ١ .

(٢) مكارم الأخلاق : ١٥٤ .

(٣) المحاسن : ٤٨٠ / ٥١٠ .

الفصل السادس : اسهاماته العلمية ١٩١
لكتاب الله » (١).

وكان على رأس أصحابه أقطاب مدرسة أبيه الصادق عليه السلام الذين تواصلوا مع الإمام الكاظم عليه السلام طيلة وجوده في المدينة ، وكان منهم الرواة الثقات والفقهاء والمؤلفون وأهل الكلام والفلسفة والأدب والتاريخ من وجوه الطائفة ، وسجلوا دوراً فاعلاً في تأصيل مبادئ العقيدة ونشر الأحكام الشرعية والمعارف الدينية ومختلف العلوم الإسلامية كالحديث والتفسير والفقه والكلام وغيرها ، ولا تزال بعض نتاجاتهم إلى اليوم منها رجال البرقي ، ومسائل علي ابن جعفر ، ومسند الإمام الكاظم عليه السلام للمروزي.

لقد بلغ عدد أصحاب الإمام الكاظم عليه السلام الذين روا عنه وتلمذوا له وصحبه (٢٧٤) رجلاً على ما ذكره الشيخ الطوسي في الرجال ، وبلغوا أكثر من خمسمائة رجل وفق أحصاء أحد المتبعين المعاصرين (٢) ، ومع كون هذه الأرقام هي أقل من الواقع إلا أنها تعكس حجم الدور الذي اضطلع به الإمام عليه السلام وأصحابه على صعيد رواية العلم ونشره.

وكان من دأب أصحاب الإمام أنهم إذا سمعوا حديثاً عنه بادورا إلى إثباته في أصولهم ، روى ابن طاوس عن زيد النهشلي ، قال : كان جماعة من خاصة أبي الحسن عليه السلام من أهل بيته وشيعته يحضرون مجلسه ومعهم في أكماتهم ألواح أبنوس لطاف وأميال ، فإذا نطق أبو الحسن عليه السلام بكلمة ، أو أفنى في نازلة ، أثبت القوم ما سمعوا منه في ذلك (٣) ، ودأب بعضهم على الرواية عنه أو مكاتبتة حتى في ظروف السجن ، فكان لعلي بن سويد السائي مكاتبات إلى أبي الحسن عليه السلام يوم

(١) الإرشاد ٢ : ٢٣٥ .

(٢) الأستاذ عبد الحسين الشيبستري في كتابه أحسن التراجم لأصحاب الإمام الكاظم عليه السلام وقد عدّ فيه (٥٤٠) رجلاً.

(٣) مهج الدعوات : ٢١٩ .

الإمام الكاظم عليه السلام سيرة وتاريخ ١٩٢
كان محبوساً ، وكان لأبي عمران موسى بن إبراهيم المروزي مسند عنه عليه السلام رواه
عنه في السجن حين كان معلماً لأولاد السندي.

وكانت لأصحاب الإمام أصول وكتب ونسخ ودونوها عنه ، وكان بعضهم
كلما صنّف كتاباً قرأه على أصحابه في المسجد ، روي عن سهل بن زياد الآدمي
أنه لما صنّف عبد الله بن المغيرة كتابه ، وعد أصحابه أن يقرأ عليهم في زاوية من
زوايا مسجد الكوفة (١).

وصارت تلك الكتب والأصول مصادر أولية للحديث ، استقرّ الأمر فيما
بعد على اعتبارها والتعويل عليها لتشكّل المراجع الأساسية لمجاميع الحديث
المتأخرة عن عهد الأئمة.

وأمام هذا العدد الكبير من الرواة ، ومع تنوع عطاءاتهم العلمية ، لا تتاح
لنا فرصة التفصيل ، لذلك اقتصرنا على ذكر المؤلفين والنقات من أصحاب
الإمام عليه السلام ، كي لا نخرج عن الغرض في هذه الدراسة المقتضبة ، وهي بنظرنا
كافية لبيان نشاطهم ودورهم الفاعل في خدمة رسالة الإسلام ، ونشر الوعي
بين أوساط الأمة.

ونذكر أولاً من صرح المترجمون له من مصنفي الرجال أن له كتاباً أو أصلاً
أو نوادر أو مسائل أو نسخة ، بحسب ترتيب الحروف : إبراهيم بن أبي البلاد..
إبراهيم بن أبي محمود الخراساني.. إبراهيم بن صالح الأنماطي.. إبراهيم بن عيسى
الخرّازي.. إبراهيم بن محمد الأشعري.. إبراهيم بن مهزم الأسدي.. إبراهيم بن نصر
الجعفي.. إبراهيم بن نعيم العبدي.. إبراهيم بن يوسف الكندي.. أحمد بن أبي بشر
السراج.. أحمد بن عمر بن أبي شعبة الحلبي.. إسحاق بن عبد الله بن سعد بن
مالك الأشعري.. إسحاق بن عمار الكوفي.. إسماعيل بن جابر الجعفي.. إسماعيل
بن عبد الخالق الكوفي.. إسماعيل بن همام الكندي.. أيوب بن الحر الجعفي..
بسطام بن سابور الواسطي.. بشر بن مسلمة الكوفي.. بشر بن يسار العجلي.. بكر

بن الأشعث الكوفي.. بكر بن محمد الأزدي.. ثعلبة بن ميمون القاري.. جميل بن صالح الأسدي.. الحارث بن المغيرة بياع الزطبي.. حبيب بن المعلل الخثعمي.. حديد بن حكيم الأزدي.. حذيفة بن منصور الكوفي بياع السابري.. حسان بن مهران الجمال.. الحسن بن أيوب.. الحسن بن زياد الصيقل.. الحسن بن علي الوشاء.. الحسن بن علي بن يقطين.. الحسين بن أبي غندر.. حفص بن البختري.. حفص بن سوقة العمري.. حماد بن عثمان الرؤاسي.. موسى بن إبراهيم المروزي.. حميد بن المنتى العجلي.. خالد بن زياد القلانسي.. خالد بن سعيد القمّاط.. خالد ابن يزيد الكوفي.. خلف بن حماد الكوفي.. داود بن زربي.. داود بن سرحان العطار الكوفي.. داود بن علي الهاشمي.. داود بن فرقد الأسدي.. داود بن النعمان الأنباري بياع الأنماط.. ربعي بن عبد الله الهذلي^(١).. رفاعة بن موسى النخّاس^(٢).. رومي ابن زرارة بن أعين.. زيد بن محمد الشحام.. سالم بن مكرم الكناسي.. سعد بن أبي خلف الزهري.. سعيد بن عبد الرحمن الأعرج.. سعيد بن يسار الخناط.. سلمة بن محمد الخزاعي.. سليم بن عمران الفراء.. سليمان بن جعفر الجعفري^(٣).. سماعة بن مهران الحضرمي.. سندي بن الربيع.. سهل بن اليسع الأشعري.. سيف بن عميرة النخعي.. شعيب بن يعقوب العقرقوفي.. صالح ابن خالد المخاملي.. صفوان بن مهران الجمال.. الضحّاك الحضرمي^(٤).. العباس بن عامر القصباني.. عبد الله بن حكيم الخثعمي.. عبد الله بن غالب الأسدي.. عبد الله بن القاسم الحضرمي.. عبد الله بن محمد الأهوازي.. عبد الله بن يحيى الكاهلي.. عبد الحميد بن سالم العطار.. عبد الرحمن بن الحجاج بياع السابري..

(١) له كتاب الراهب والراهبة.

(٢) له كتاب ميوب في الفرائض.

(٣) له كتاب فضل الدعاء.

(٤) له كتاب في التوحيد.

الإمام الكاظم عليه السلام سيرة وتاريخ ١٩٤

عبد العزيز بن المهدي الأشعري.. عبد الكريم بن عمرو الخثعمي.. عبد الملك بن عتبة الصيرفي.. علي بن حديد المدائني.. علي بن حمزة بن الحسن القرشي الهاشمي.. علي بن سويد السائي.. علي بن شجرة الشيباني.. علي بن عبيد الله القرشي الهاشمي^(١).. علي بن وهبان.. علي بن يقطين.. عمر بن أذينة^(٢).. عمار بن موسى الساباطي.. عمر بن عبد العزيز البصري.. عمر بن محمد بن يزيد بياع السابري^(٣).. عمرو بن المنهال القيسي.. عيسى بن عبد الله الأشعري.. عيسى بن المستفاد البحلي^(٤).. عيص بن القاسم البحلي.. فرج بن السندي.. الفضل بن محمد الأشعري.. الفضل بن يونس الكاتب.. القاسم الرسي بن إبراهيم طباطبا بن إسماعيل.. القاسم بن محمد الجوهري الكوفي البغدادي.. الليث بن البختري.. محمد بن إسحاق الصيرفي.. محمد بن بكر بن جناح.. محمد بن تميم النهشلي.. محمد ابن ثابت.. محمد بن زرقان.. محمد بن الصباح.. محمد بن صدقة.. محمد بن عذافر.. محمد بن عمر بياع السابري.. محمد بن الفرخ الرخجي.. محمد بن فضيل بن كثير الصيرفي.. محمد بن مرازم الساباطي.. منصور بن يونس بزرج.. نشيط بن صالح ابن لفافة العجلي.. نصر بن قابوس اللخمي.. النضر بن سويد الصيرفي.. هيثم بن عبد الله الرمائي.. يحيى بن عبد الرحمن الأزرق.. يحيى بن عمران الحلبي.. يحيى ابن القاسم أبو بصير^(٥).. يعقوب بن شعيب التمار.. يونس بن يعقوب البحلي^(٦).. أبو شعيب المحاملي.

(١) له كتاب في الحج يرويه عن موسى بن جعفر عليه السلام .

(٢) له كتاب الفرائض .

(٣) له كتاب في مناسك الحج وفرائضه ، وما هو مسنون من ذلك .

(٤) له كتاب الوصية .

(٥) له كتاب يوم وليلة .

(٦) له كتاب الحج .

أما الذين صرح الرجاليون بأن لهم أكثر من مصنف أو كتاب فهم :

١ — أحمد بن محمد بن عمرو بن أبي نصر البيزنطي ، له كتابا نوادر ، وكتاب الجامع.

٢ — إسماعيل بن موسى بن جعفر عليه السلام ، له عدّة كتب يرويها عن أبيه عن آيائه عليه السلام منها : الطهارة ، الصلاة ، الزكاة ، الصوم ، الحج ، الجنائز ، النكاح ، الطلاق ، الحدود ، الديات ، الدعاء ، السنن والآداب ، الرؤيا.

٣ — الحسن بن الجهم بن بكير بن أعين الشيباني ، له كتاب ومسائل.

٤ — الحسن بن علي بن فضال الكوفي ، له عدّة كتب ، منها : الزيارات ، البشارات ، النوادر ، الردّ على الغالية ، الشواهد من كتاب الله ، المتعة ، الناسخ والمنسوخ ، الملاحم ، الصلاة ، الزهد ، الديات ، التفسير ، الطب ، الأنبياء ، المبتدأ ، الرجال وغيرها.

٥ — الحسن بن محبوب بن وهب السراد ، له كتب منها : كتاب المشيخة ، الحدود ، الديات ، الفرائض ، المناكح ، الطلاق ، النوادر وهو نحو ألف ورقة ، التفسير ، معرفة رواة الأخبار ، العتق وغيرها.

٦ — حماد بن عيسى الجهمي ، له كتاب النوادر ، الزكاة ، الصلاة ، مسائل التلميذ وتصنيفه عن جعفر بن محمد عليه السلام ، وفيه غير ومواعظ وتنبهات على منافع الأعضاء من الإنسان والحيوان ، وفصول من الكلام في التوحيد ، وهو عبارة عن مسائل حماد للإمام الصادق عليه السلام .

٧ — حمدان بن المعافى الصبيحي ، له كتاب شرائع الإيمان ، وكتاب الإهليلجة.

٨ — داود بن كثير الرقي ، له كتاب المزار ، والإهليلجة.

٩ — دعبل بن علي الخزاعي ، له من الكتب : طبقات الشعراء ، الواحدة في مثالب العرب ومناقبها ، ديوان شعر.

- الإمام الكاظم عليه السلام سيرة وتاريخ ١٩٦
- ١٠ — زرارة بن أعين الشيباني ، له كتاب العهود ، الاستطاعة ، الجبر.
- ١١ — زكريا بن آدم القمي ، له كتاب ومسائل.
- ١٢ — سعيد بن جناح الكوفي ، له كتاب صفة الجنة والنار ، قبض روح المؤمن والكافر ، أدرجه الشيخ المفيد في العيون والمحسن.
- ١٣ — صفوان بن يحيى البجلي ، صَنَّف ثلاثين كتاباً منها : كتاب الوضوء ، الصلاة ، الصوم ، الحج ، الزكاة ، النكاح ، الطلاق ، الفرائض ، الوصايا ، الشراء والبيع ، العتق والتدبير ، البشارات ، النوادر.
- ١٤ — عبد الله بن إبراهيم بن محمد الجعفري ، له كتب منها : خروج محمد بن عبد الله ومقتله ، خروج صاحب فخ ومقتله.
- ١٥ — عبد الله بن حماد الأنصاري ، له من الكتب : شعر أبي طالب وأخباره ، طبقات الشعراء.
- ١٦ — عبد الله بن سنان الكوفي ، له من الكتب : الصلاة ، الصلاة الكبير ، الحلال والحرام.
- ١٧ — عبد الله بن مسكان ، له عدّة كتب منها : الإمامة ، الحلال والحرام.
- ١٨ — عبد الله بن المغيرة البجلي ، قالوا : إنه صَنَّف ثلاثين كتاباً ، منها : كتاب الوضوء ، الصلاة ، الزكاة ، الفرائض ، وكتاب في أصناف الكلام.
- ١٩ — عبد الله بن الوضّاح الكوفي ، له كتب منها : كتاب الصلاة.
- ٢٠ — علي بن جعفر الصادق عليه السلام ، له كتب منها : المسائل ، كتاب في الحلال والحرام ، قال النجاشي : يروي عنه تارة مبوباً وأخرى غير مبوب.
- ٢١ — علي بن رئاب الطحّان ، له أصل ، وله كتب منها : الوصية ، الإمامة ، الدييات.
- ٢٢ — فضالة بن أيوب الأهوازي ، له كتاب النوادر ، الصلاة.
- ٢٣ — محمد بن أبي عمير ، ذكر ابن بطة أن له أربعة وتسعين كتاباً ، منها :

الفصل السادس : اسهاماته العلمية ١٩٧
الاحتجاج ، النوادر ، يوم وليلة ، المغازي ، الكفر والإيمان ، فضائل الحج ، البداء ،
الملاحم ، الاستطاعة ، المعارف ، الرضاع ، الطلاق ، التوحيد ، الردّ على أهل
القدر والجبر ، الإمامة ، المتعة ، المسائل وغيرها.

٢٤ — محمد بن إسماعيل بن بزيع الكوفي ، له كتب منها : الحج ، وثواب الحج.

٢٥ — محمد بن خالد البرقي ، كان أديباً حسن المعرفة بالأخبار وعلوم
العرب ، له عدّة كتب منها : حروب الأوس والخزرج ، رجال البرقي الكبير ،
الطبقات الصغير ، مكة والمدينة ، النوادر ، التحريف والتبديل ، التزييل
والتعبير ، يوم وليلة ، التفسير ، العلل ، كتاب في علم الباري ، الخطب.

٢٦ — محمد بن علي بن النعمان ، المعروف بمؤمن الطاق ، له عدّة كتب منها :
الجمال ، الردّ على المعتزلة في إمامة الفضول ، المعرفة ، الإمامة ، إثبات الوصية ،
كتاب مجالسه مع أبي حنيفة ، كتاب كلامه على الخوارج.

٢٧ — معاوية بن عمار الدهني ، له كتب منها : كتاب الحج ، الصلاة ، يوم
وليلة ، الدعاء ، الطلاق ، مزار أمير المؤمنين عليه السلام .

٢٨ — مسمع بن عبد الملك البصري ، له نوادر كثيرة ، وأيام البسوس.

٢٩ — معاوية بن وهب البجلي ، له كتب منها : كتاب فضائل الحج.

٣٠ — منصور بن حازم البجلي ، له كتب منها : أصول الشرائع ، الحج.

٣١ — هشام بن الحكم ، وكان من خواصه عليه السلام ، وكانت له مناظرات كثيرة
مع المخالفين ، وهو ممن فتن الكلام في الإمامة ، حاذق بصناعة الكلام ، حاضر
الجواب ، كان له أصل ، وله مصتفات كثيرة تجاوزت الثلاثين ، نذكر منها :
الدلالات على حدوث الأشياء ، الردّ على الزنادقة ، الردّ على أصحاب الإثنين ،
كتاب التوحيد ، الرد على أصحاب الطبائع ، الجبر والقدر ، الرد على المعتزلة ،
الرد على إرسطاطاليس في التوحيد ، الألفاظ ، علل التحريم ، الميزان وغيرها.

٣٢ — هشام بن سالم الجواليقي ، له كتب منها : الحديث ، التفسير ، الحج ،

الإمام الكاظم عليه السلام سيرة وتاريخ ١٩٨ المعراج.

٣٣ — يونس بن عبد الرحمن ، له أكثر من ثلاثين كتاباً ، منها : جامع الآثار ، الشرائع ، علل الحديث ، اختلاف الحديث ، السهو ، الأدب ، الدلالة على الخير ، اختلاف الحج ، كتاب الاحتجاج في الطلاق ، الفرائض ، الجامع الكبير في الفقه ، التجارات ، تفسير القرآن ، فضل القرآن ، الحدود ، الآداب ، المثالب ، علل النكاح ، البداء ، البيوع ، الرد على الغلاة .

ونودّ التذكير أن أغلب هؤلاء من الثقات أو الممدوحين عند أهل الجرح والتعديل ، وهناك من الثقات لم يرد لهم تصنيف ، ولم نذكرهم مع المؤلفين ، ومنهم : إسماعيل بن الفضل الهاشمي .. جعفر بن إبراهيم بن محمد القرشي .. القاسم ابن بريد بن معاوية العجلي .. معتب المدني مولى أبي عبد الله عليه السلام .. أبو عامر بن جناح .. أبو المختمل الكوفي .. أبو مصعب الزيدي ^(١) .

* * *

(١) راجع : رجال النجاشي ، فهرست الرجال والاختيار لشيخ الطائفة ، خلاصة العلامة ، رجال ابن داود ، معالم العلماء / ابن شهر آشوب ، فهرست ابن النديم ، هدية العارفين / إسماعيل باشا البغدادي ، الذريعة / آقا بزرك الطهراني .

الفصل السابع

شهادته عليه السلام

انتهت رحلة العذاب التي قطعها الإمام الكاظم موسى بن جعفر عليه السلام بشهادته مسموماً ، وكان عليه السلام على موعد مع الشهادة من يوم عودته إلى المدينة خلال رحلته الأولى إلى العراق ، إذ نزل زباله فالتقاه أبو خالد الزبالي فسلم عليه ، وقال : «الحمد لله الذي خلّصك منهم ، فنعى إليه نفسه قائلاً عليه السلام : يا أبا خالد ، إن لهم إليّ عودة لا أتخلص منها» (١).

لقد كان رأي رجال السلطة وعلى رأسهم هارون قائماً على تصفية الإمام عليه السلام ، وقد تخلّص بإذن الله من عدّة محاولات في هذا السبيل ، فحين كان مودعاً في سجن عيسى بن جعفر بن المنصور في البصرة ، كتب الرشيد إلى عيسى في دمه ، فاستدعى عيسى بن جعفر بعض خاصته وثقاته ، فاستشارهم فيما كتب به الرشيد ، فأشاروا عليه بالتوقف عن ذلك والاستعفاء منه ، وحين سلمه إلى الفضل بن الربيع أراده الرشيد على شيء من أمره فأبى ، فكتب إليه بتسليمه إلى الفضل بن يحيى البرمكي ، فتسلمه منه ووسّع عليه ، فكتب إليه الرشيد وهو في الرقة ينكر عليه ذلك ويأمره بقتله ، فتوقف عن ذلك ، فاغتاظ

(١) الكافي ١ : ٤٧٧ / ٣ ، إثبات الوصية : ١٦٥ ، الخرائج والجرائح ١ : ٣١٥ / ٨ .

الإمام الكاظم عليه السلام سيرة وتاريخ ٢٠٠
الرشيد ، وأمر بجلد الفضل بن يحيى مائة سوط ولعنه ، ثم أن يحيى بن خالد
اعتذر للرشيد بقوله : إن الفضل حدث وأنا أكفيك ما تريد ، ثم خرج يحيى إلى
بغداد ، فدعا السندي فأمره بأمره فامثله ، وجعل سماً في طعام فقدمه إليه ،
وقيل : جعله في رطب ، ولبت ثلاثاً بعده موعوكاً ، ثم مات في اليوم الثالث شهيداً
مظلوماً صابراً محتسباً.

فلما استشهد الإمام عليه السلام أدخل السندي الفقهاء ووجوه أهل بغداد عليه ،
وأشهدهم على أنه مات حتف أنفه ولا أثر به ، فنظروا إليه وشهدوا على ذلك ،
وإنما فعل ذلك ليوارى سواته ، وأخرج الجثمان المطهر فوضع على الجسر ببغداد ،
ونودي : هذا موسى بن جعفر قد مات فانظروا إليه ، فجعل الناس يتفرسون في
وجهه وهو ميت ، ثم حُمل فدفن في مقابر قريش ^(١).

فكان دم الإمام عليه السلام موزعاً بين ثلاثة : أولهم الرشيد الذي أمر بالقتل ،
والثاني المنفذ للقتل وهو السندي ، والثالث يحيى بن خالد الوزير المقرب الذي
أراد إرضاء الرشيد والتزلف إليه بسبب عصيان ابنه الفضل لأوامر الرشيد ، فنفذ
ما أراد الرشيد أمر السندي بقتل الإمام عليه السلام ، لأن الرشيد يريد أن يظهر بمظهر
البريء من دمه إلى آخر الشوط.

على الجسر :

وضع النعش المحمول على الجسر ، وكان أمر الرشيد بإحضار أكثر وجوه

(١) الإرشاد ٢ : ٢٤٠ ، مناقب آل أبي طالب ٣ : ٤٤٠ ، مقاتل الطالبين : ٣٣٦ ،
الغيبة / الطوسي : ٢٦ / ٦ ، اعلام الورى / الطبرسي ٢ : ٣٣ ، الفصول المهمة / ابن
الصبغ : ٢٢٠ .

بغداد ليشهدوا على موت الإمام عليه السلام ، وأنه لا أثر به يدلّ على القتل ، قال ابن عنبه : « إن السندي عمل محضراً بأنه مات حتف أنفه ، وترك ثلاثة أيام على الطريق ، يأتي من يأتي فينظر إليه ، ثم يكتب في المحضر »^(١).

ولعل من دواعي الإشهاد والمحضر هو أن الرشيد كان يحاول أن يبرئ نفسه من مسؤولية قتل الإمام ، كي يتلافى ردود الأفعال والتداعيات التي قد تنجم من هذا العمل العظيم ، فحاول أن يخطو خطوة على طريق دفع الشبهة وإرضاء الرأي العام ، ولكن وضع جنازة رجل عظيم على الجسر ببغداد بحد ذاته إنما يثير الشكوك في قتله ، وتلك سنة درج عليها حكام بني العباس فيما بعد مع كل مقتول من الأئمة وغيرهم لدفع الضرر والتخلص من التهمة ، فالمعتز لما قتله قادة الجند أشهدوا عليه جماعة من الأعيان أنه مات وليس به أثر^(٢) ، ولما سموا الإمام العسكري عليه السلام وضعوا جنازته للصلاة ، فدنا أبو عيسى منها وكشف عن وجهه ، فعرضه على بني هاشم من العلويين والعباسية والقواد والكتاب والقضاة والفقهاء وأشهدهم انه مات حتف أنفه على فراشه وليس به أثر^(٣).

اما النداء على نعش الإمام عليه السلام بعد موته ، فالذي في غالب المصادر أنه لما مات أخرجه السندي ووضعه على الجسر ببغداد ونودي عليه : هذا موسى بن جعفر الذي تزعم الرافضة أنه لا يموت فانظروا إليه ، أو هذا موسى بن جعفر قد مات فانظروا إليه ، وهذا أمر ممكن من قبل دولة تريد الانتقاص من عقائد مناوئها التقليديين بكونهم رافضة أولاً ، ويكذبون بزعمهم عدم موت إمامهم بينما هو ميت وموضوع على الجسر .

(١) عمدة الطالب : ١٩٦ ، بحار الأنوار ٤٨ : ٢٤٨ / ٥٧ .

(٢) الكامل في التاريخ ٦ : ٢٠٠ ، الفخري في الآداب السلطانية : ٢٤٣ .

(٣) إكمال الدين — المقدمة : ٤٢ — ٤٣ .

الإمام الكاظم عليه السلام سيرة وتاريخ ٢٠٢
والحق أن الدولة إنما تغالط بسحبها التهمة إلى الطائفة جمعاء ، بينما الذي يزعم ذلك فرقة ضالة تسمى الواقفة ، ادعوا أن الكاظم عليه السلام حي يرزق ، وأنه هو القائم من آل محمد عليهم السلام ، وأن حبسه غيبته ، وقد روج لهذه الفكرة بعض أصحاب الإمام الكاظم عليه السلام كعلي بن أبي حمزة البطائني ، وزيايد بن مروان القندي ، وعثمان بن عيسى الرواسي وغيرهم بسبب رغبات مادية كان لها الأثر في نفوسهم الضعيفة ، حيث جمعت لديهم أموال طائلة من الحقوق المالية ، لأنهم كانوا من وكلاء الإمام الكاظم عليه السلام وخزنة أمواله في وقت كان فيه الإمام عليه السلام مودعاً السجن ، وبعد شهادة الإمام عليه السلام أبوا عن تسليم تلك الأموال لولده القائم بعده علي الرضا عليه السلام ، وشدّدوا على إنكار موته ، وقد انقضت هذه الفرقة بمرور الأيام ، بعد ظهور زيف مدعياتها.

وقد تنبّه الشيخ المفيد إلى هذا الأمر ، فتعرّض له أثناء ذكره شهادة الإمام الكاظم عليه السلام بقوله : « وقد كان قوم زعموا في أيام موسى عليه السلام أنه القائم المنتظر ، وجعلوا حبسه هو الغيبة المذكورة للقائم ، من هنا أمر يحيى بن خالد أن ينادى عليه عند موته : هذا موسى بن جعفر الذي تزعم الرافضة أنه لا يموت فانظروا إليه » ^(١).

وهناك صورة أخرى قبيحة للنداء على نعش الإمام عليه السلام ، من قبل السلطة العباسية ، رواها الشيخ الصدوق عن عبد الله الصيرفي. تعبر بوضوح عن حقارة دولتهم ودناءة سلاطينها وحقدهم على أهل البيت عليهم السلام ، ويكتفي بذلك أن إباحة قتل الإمام الكاظم عليه السلام بلا ذنب ، وتوغّلت في دماء آل أبي طالب بظلم صارخ ووحشية مروعة ، حتى قال الشاعر :

يا ليت جور بني مروان عاد لنا وليت عدل بني العباس في النار

(١) الإرشاد ٢ : ٢٤٠ .

وإذا كان ثمة مانع يحول دون أمثال هذه المواقف المخزية ، فهو الخوف على استقرار الدولة وأمنها وإرضاء الرأي العام ، من هنا تدارك الأمر عم الرشيد سليمان بن أبي جعفر ، فخرج من قصره ، فسمع الصياح والضوضاء ، فقال لولده وعلمانه : ما هذا ؟ قالوا : السندي بن شاهك ينادي على موسى بن جعفر على نعش ، فقال لولده وعلمانه : يوشك أن يفعل به هذا في الجانب الغربي ، فإذا عبر به فانزلوا مع غلمانكم ، فخذوه من أيديهم ، فإن مانعوكم فاضربوهم واحرقوا ما عليهم من السواد. قال : فلما عبروا به نزلوا إليهم ، فأخذوه من أيديهم وضربوهم وخرقوا عليهم سوادهم ، ووضعوه في مفرق أربع طرق وأقام المنادين ينادون : ألا من أراد أن ينظر إلى الطيب بن الطيب موسى بن جعفر فليخرج ، وحضر الخلق ^(١). وأخيراً شيعه بموكب حافل ، ومشى خلفه حافياً حاسراً ، خوفاً من الثورة على السلطان وامتصاصاً لنقمة الرأي العام.

قال الشاعر ^(٢) :

أيوضع في الأغلال موسى بن جعفر

ويودع أعواماً بقعر سجون ؟!

ويخرج حمالون بالنعش ميتاً

ليطرح فوق الجسر طرح مهين ؟!

ينادون هذا للروافض شيخهم

وليس له من ناصر ومعين

ولولا أثيرت في سليمان غيرة

وشيعه بالعزّ فوق متون

(١) إكمال الدين : ٣٨ ، عيون أخبار الرضا عليه السلام ١ : ٩٩ / ٥ .

(٢) هو السيد محمد رضا القزويني .

الإمام الكاظم عليه السلام سيرة وتاريخ ٢٠٤
لألقي فوق الجسر موسى بن جعفر

ثلاثاً غريب الدار مثل الحسين^(١)

وقال آخر في أرجوزته^(٢) :

يحمل نعهه مع الجماله !
تبركت بحمله الأملاك
فيا لها من غربة بغير حد
من أنفيس قلوبها محترقه
لهم على غربته نياح
يُرمى على الجسر من الرصافه !
خشخشة الحديد في رجليه
بل ناحت الحور على الأرائك
عليه وهو أعظم الأرزاء !
على سليل القدس والطهاره
وانه ابن آية التطهير
بأفحش القول فيا للعجب !
مناير القدس بعزّ وعلا
في الصلوات الخمس بالإعظام
بل حجة الباطل منه داحضه
سواه قائد إلى السعاده
ومحض الحق الصريح محضاً

أمثل موسى وارث الرساله
نعش تطوف حوله الأفلاك
ولم يشيعه من الناس أحد
بل شيعته الزفرات المحرقه
شيعه العقول والأرواح
وكيف نعش صاحب الخلافه
تنوح في غربته عليه
ناحت عليه زمر الملائك
أم كيف يستخفّ بالنداء
فيا لذاك الهتك والجساره
نادى عليه الرجس بالتحقير
أيذكر الطيب وابن الطيب
وهو ابن من نودي باسمه على
نودي باسمه العظيم السامي
أحجة الحق إمام الرافضه
وليس في الغيب ولا الشهاده
بل رفض الباطل رفضاً رفضاً

(١) المنتخب من الشعر الحسيني : ١٧٧ .

(٢) هو الشيخ محمد حسين الأصفهاني (ت / ١٣٦١ هـ) .

فلا ورب العرش لولا الكاظم لم يك للدين الحنيف ناظم^(١)
جهازه ودفنه :

لم يسمح الإمام الكاظم عليه السلام لقاتليه أن يغسلوه أو يكفنوه ، ولم يقبل بغير كفته الذي هو من طاهر أمواله ، وخصص شخصاً معيناً كي يتولى غسله ودفنه ، ولم تسمه المصادر سوى أنه مولى له عليه السلام مدني ويسكن بيتاً معيناً في مشرعة القصب.

روي أنه عليه السلام لما حضرته الوفاة ، سأل السندي بن شاهك أن يحضره مولى له مدنياً يترل عند دار العباس بن محمد في مشرعة القصب ، ليتولى غسله وتكفينه ، ففعل ذلك. قال السندي بن شاهك : « وكنت أسأله في الإذن لي في أن أكفنه فأبي ، وقال : إنا أهل بيت ، مهور نساننا وحج ضرورتنا ، وأكفان موتانا من طاهر أموالنا ، وعندك كفن ، وأريد أن يتولى غسلني وجهازي مولاي فلان »^(٢) فتولى ذلك منه.

وهنا تثار المزيد من علامات الاستفهام عن هذا الشخص الذي رضي به الإمام عليه السلام لأداء هذه المهمة ، ونحن نظن أنه المسيب بن زهير الذي يرد اسمه كثيراً في الروايات والأخبار التي تتحدث عن هذا الموضوع ، وأنه دعا به الإمام عليه السلام قبل وفاته بثلاثة أيام وأخبره بمجصول وفاته في اليوم الثالث ، ودعاه إلى التمسك بولاية علي الرضا عليه السلام من بعده ، وكشف المسيب عن حضور شخص يشبه الإمام الكاظم عليه السلام ، ويتضح له فيما بعد أنه الإمام الرضا عليه السلام ، وهو الذي تولى جهازه ودفنه بحفاء العنوان.

ففي رواية الصدوق عن عمر بن واقد ، ذكر أن سيدنا موسى بن جعفر عليه السلام

(١) الأنوار القدسية : ٩١ .

(٢) الإرشاد ٢ : ٢٤٣ ، مناقب آل أبي طالب ٣ : ٤٤٠ .

الإمام الكاظم عليه السلام سيرة وتاريخ ٢٠٦

دعا بالمسيب بن زهير في يوم وفاته ، فقال له عليه السلام : « إني على ما عرفتك من الرحيل إلى الله تعالى ، وإن هذا الرجل اللعين السندي بن شاهك سيزعم أنه تولى غسلِي ودفني ، هيهات هيهات ، لا يكون ذلك أبداً ، فإذا حملت إلى المقبرة المعروفة بمقابر قريش فأخُذني فيها ... إلى أن قال : ثم رأيت شخصاً أشبه الخلق به جالساً إلى جانبه ، وكان عهدي بسيدي الرضا عليه السلام وهو غلام ، فأردت سؤاله فصاح بي سيدي موسى عليه السلام : أليس نُهَيْتَكَ يا مسيب ؟ فلم أزل صابراً حتى مضى عليه السلام وغابت الشمس ، ثم أُنِي أتيت بالخبر إلى الرشيد ، فوافاني السندي بن شاهك ، فوالله لقد رأيتهم وهم يظنون بأنهم يغسلونه ولا تصل أيديهم إليه ، ويظنون أنهم يحنطونه ويكفنونونه وأراهم لا يصنعون به شيئاً ، ورأيت ذلك الشخص يتولَّى غسله وتحنيطه وتكفينه ، وهو يظهر المعونة لهم وهم لا يعرفونه ، فلما فرغ من تجهيزه ، قال ذلك الشخص : يا مسيب ، مهما شككت فيه فلا تشك فيّ ، فإنني إمامك ومولاك وحجة الله تعالى عليك بعد أبي. يا مسيب ، مثلي مثل يوسف الصديق عليه السلام ، ومثلهم مثل إخوته حين دخلوا فعرّفهم وهم له منكرون. ثم حُمل حتى دفن في مقابر قريش » ^(١).

وهناك جملة أحاديث تؤيد هذا المضمون ، منها حديث علي بن أبي حمزة حين سأل الرضا عليه السلام فقال : « إنا روينا عن آبائك : أن الإمام لا يلي أمره إلا إمام مثله ؟ فقال له أبو الحسن الرضا عليه السلام : فأخبرني عن الحسين بن علي عليه السلام ، كان إماماً أو كان غير إمام ؟ قال : كان إماماً. قال : فمن ولي أمره ؟ قال : علي بن الحسين. قال : وأين كان علي بن الحسين عليه السلام ؟ كان محبوساً في يد عبيد الله بن زياد. قال : خرج وهم لا يعلمون حتى ولي أمر أبيه ثم

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام ١ : ١٠٠ / ٦ ، دلائل الإمامة : ١٥٢ ، الهداية الكبرى :

فقال له أبو الحسن ﷺ : إن هذا الذي أمكن علي بن الحسين ﷺ أن يأتي كربلاء فيلي أمر أبيه ، فهو يمكّن صاحب هذا الأمر أن يأتي بغداد فيلي أمر أبيه ، ثم ينصرف وليس في حبس ولا في أسار»^(١).

وفي هذا الاتجاه روايات تعارض ما ذكرناه ، تتحدث عن أن شخصاً آخر مقرباً إلى الدولة ، وهو عم الرشيد سليمان بن المنصور الذي تظاهر بعدم الرضا عن سلوك رجال الدولة مع الإمام ﷺ ، فكفنه وشيعه ودفنه ، منها ما ذكره ابن شهر آشوب أن سليمان بن أبي جعفر المنصور كان ذات يوم جالساً في دهليزه في يوم مطر إذ مرت جنازته ﷺ ، فقال : « سلوا هذه جنازة من ؟ فقيل : هذا موسى ابن جعفر مات في الحبس ، فأمر الرشيد أن يدفن بحاله ، فقال سليمان : موسى بن جعفر يدفن هكذا؟! فإن في الدنيا من كان يخاف على الملك ، في الآخرة لا يوفى حقه؟! فأمر سليمان غلمانه بتجهيزه وكفنه بكفن فيه حبرة استعملت له بألفين وخمسمائة دينار مكتوب عليها القرآن كله ، ومشى حافياً ودفنه في مقابر قريش^(٢) ، ونحوه رواية الشيخ الصدوق عن الحسن بن عبد الله الصيرفي^(٣).

غير أنه إذا صح هذا الخبر فيمكن رفع تعارضه مع ما تقدم بكون رجال الدولة هم الذين تولوا أمره ﷺ وسليمان واحد منهم ، إن لم يكن من المقرين إلى هارون ، وقد تدخل خوف اشتعال الفتنة التي قد تقض مضاجع العباسيين ، فكان أحد الحاضرين ، أما الإمام الرضا ﷺ فأمره خارج حدود معرفة الدولة.

(١) رجال الكشي : ٤٦٤ / ٨٨٣ .

(٢) مناقب آل أبي طالب ٣ : ٤٤١ .

(٣) إكمال الدين : ٣٨ ، عيون أخبار الرضا ﷺ ١ : ٩٩ / ٥ ، اعلام الورى ٢ : ٣٣ .

تجمع مصادر الإمامية وبعض مصادر العامة على أن الإمام الكاظم عليه السلام إنما مات مسموماً في حبس الرشيد على يد السندي بن شاهك ، والأهم من ذلك أولاً أن الإمام عليه السلام نفسه إنما كان قد أخبر أنه سُقي السم في الإشهاد الأول الذي عملته الدولة في سجن السندي ، بعد أن تناقل الناس أن الإمام عليه السلام في ضرر وضمنك في سجن ابن شاهك ، ففي رواية الحسن بن محمد بن بشار : « أن السندي بن شاهك جمع ثمانين رجلاً من الوجوه ، وأدخلهم على موسى بن جعفر عليه السلام ، وقال : يا هؤلاء ، انظروا إلى هذا الرجل هل حدث به حدث ، وهذا منزله وفرشه موسع عليه . فقال عليه السلام : أما ما ذكرت من التوسعة وما أشبه ذلك فهو على ما ذكر ، غير أنني أخبرك أيها النفر أنني سقيت السم في تسع تمرات ، وأنا أحتضر غداً ، وبعد غد أموت »^(١) . وروي نحو هذا عن شيخ من أهل قطيعة الربيع من العامة ، وقال في آخره : « فنظرت إلى السندي بن شاهك يضرب ويرتعد مثل السعفة »^(٢) .

وعن المسعودي : « فأدخل السندي القضاة قبل موته بثلاثة أيام ، فأخرجهم إليهم وقال لهم : إن الناس يقولون ان أبا الحسن في يدي في ضمنك وضرر ، وها هو ذا صحيح لا علة به ولا مرض ولا ضرر ، فالتفت الكاظم عليه السلام فقال لهم : إشهدوا عليّ أنني مقتول بالسم بعد ثلاثة أيام »^(٣) .

فصريح الروايات كلها يشير إلى علم الإمام عليه السلام بأثر الطعام الذي تناوله في

(١) مناقب آل أبي طالب ٣ : ٤٤١ .

(٢) أمالي الصدوق : ٢١٣ / ٢٣٧ ، قرب الإسناد : ٣٣٣ / ١٢٣٦ ، عيون أخبار الرضا عليه السلام ١ : ٩٦ / ٢ ، غيبة الطوسي : ٣١ / ٧ .

(٣) إثبات الوصية : ١٦٩ .

تدهور صحته وانتكاس مزاجه ، وأنه طعام مسموم يؤدي به إلى الموت .

أما القائلون بشهادته مسموماً فكثير من المؤرخين والمحدثين يبحث لا يمكن التوفر على إحصاء أقوالهم في هذه العجالة ، ولكن سنختار نماذج من أقوالهم ونحيل القارئ الكريم إلى مظان باقي الأقوال والروايات .

منهم المؤرخ الشهير ابن الطقطقا الذي قال : « وأما الرشيد فإنه حج في تلك السنة (١٧٩ هـ) ، فلما ورد المدينة قبض على موسى بن جعفر ﷺ ، وحمله في قبة إلى بغداد ، فحبسه عند السندي بن شاهك ، وكان الرشيد بالرقعة ، فأمر بقتله قتلاً خفياً ، ثم أدخلوا عليه جماعة من العدول بالكرخ ليشاهدوه ، إظهاراً أنه مات حتف أنفه » (١) .

وقال ابن عنبية : « مضى الرشيد إلى الشام ، فأمر يحيى بن خالد بقتله ، فقيل : انه سم ، وقيل : بل لف في بساط وغمز حتى مات » (٢) .

وذكر الشيخ الصدوق عدة روايات في هذا الصدد منها : عن مشايخ أهل المدينة قالوا : لما مضى خمس عشرة سنة (٣) من ملك الرشيد... استشهد ولي الله موسى بن جعفر ﷺ مسموماً ، سمه السندي بأمر الرشيد في الحبس المعروف بدار المسيب بباب الكوفة ، وفيه السدرة (٤) ، ونحوه في مناقب آل أبي طالب لابن شهر آشوب (٥) .

(١) الفخري في الآداب السلطانية : ١٩٦ .

(٢) عمدة الطالب : ١٩٦ .

(٣) الظاهر (١٣) سنة من سنة (١٧٠ — ١٨٣ هـ) إلا على رواية وفاته ﷺ سنة (١٨٦ هـ) .

(٤) عيون أخبار الرضا ﷺ ١ : ٨٥ — ٩٩ .

(٥) مناقب آل أبي طالب ٣ : ٤٣٧ وما بعدها .

الإمام الكاظم عليه السلام سيرة وتاريخ ٢١٠

وعن الكفعمي في جدول المصباح : « أنه عليه السلام توفي مسموماً في عنب »^(١).

وقال الطبرسي : « توفي ببغداد يوم الجمعة لخمسة بقين من رجب سنة (١٨٣ هـ) مسموماً ومظلوماً ، على الصحيح من الأخبار ، في حبس السندي بن شاهك ، سقاه السم السندي بأمر الرشيد ، ودفن عليه السلام في الجانب الغربي في المقبرة المعروفة بمقابر قريش »^(٢).

وذكر الشهيد الأول أنه عليه السلام قبض مسموماً ببغداد في حبس السندي بن شاهك^(٣).

ونقل العلامة المجلسي جملة وافرة من المصادر والأخبار القائلة بشهادة الإمام المظلوم موسى الكاظم عليه السلام مسموماً بأمر هارون^(٤). وهناك روايات وأقوال مسهبة في هذا المجال يضيق المجال عن ذكرها^(٥).

وذكر بعض العامة ما يقارب روايات الشيخ المفيد وأبي الفرج الأصفهاني ، منهم ابن الصباغ المالكي ، قال : « كتب الرشيد إلى السندي أن يتسلم موسى بن جعفر الكاظم من عيسى ، وأمره فيه بأمره ، فكان الذي تولى به قتله السندي ، أن يجعل سمّاً في طعام وقدمه إليه ، وقيل : في رطب. فأكل منه موسى بن جعفر عليه السلام ، ثم أنه أقام موعوكاً ثلاثاً أيام ومات »^(٦).

(١) مصباح الكفعمي : ٥٢٣.

(٢) تاج الموالي : ٤٦ ، اعلام الوری : ٢ : ٣٣.

(٣) الدروس : ١٥٥.

(٤) بحار الأنوار : ٤٨ : ٢٠٦ — ٢٤٩.

(٥) راجع : الإرشاد : ٢ : ٢٤٠ ، غيبة الطوسي : ٢٨ ضمن حديث ٦ ، روضة الواعظين

١ : ٢٢٠ ، مروج الذهب : ٣ : ٣٥٥ ، مقاتل الطالبين : ٣٣٦ ، كشف الغمة : ٢ : ٢٣٤ ،

دلائل الإمامة : ١٤٨ ، التتمة في تواريخ الأئمة عليهم السلام : ١١١ — ١١٧.

(٦) الفصول المهمة : ٢٢٠.

ومنهم الحافظ الكنجي الشافعي (١) ، ومؤمن بن حسن الشبلنجي (٢) .

وفي رواية ابن الصبان : « فحمله هارون إلى بغداد مقيداً ، فلم يخرج من حبسه إلا مقيداً ميتاً مسموماً » (٣) .

واكتفى بعضهم بعبارة : قيل إنه مات مسموماً (٤) .

قال الشاعر (٥) :

ولم يزل مصفداً مكبلاً حتى قضى
آنس ناراً من سموم السم
نور الهدى خبا فأظلم الفضا
واعجباً من هو أزكى ثمره
من دوحه العلياء والفتوه
كيف قضى بالرطب المسموم
بالسم موسى الأجللا
فزاده غماً عقيب غم
يا ساعد الله إماننا الرضا
من دوحه الجحد الأثيل المثمره
من دوحه التزييل والنبوه
على يد ابن شاهك المشوم (٦)

تاريخ شهادته عليه السلام :

استشهد الإمام الكاظم عليه السلام بعد مضي نحو ثلاث عشرة سنة من ملك هارون ، مسموماً في حبس السندي بن شاهك ، يوم الجمعة لخمسة أو لست بقين من رجب سنة (١٨٣ هـ) ، وقيل : لخمسة أو لست خلون من رجب من

(١) كفاية الطالب : ٣١٠ .

(٢) نور الأبصار : ١٦٧ . وهناك مصادر أخرى ذكرها في ملحقات إحقاق الحق / السيد المرعشي ١٢ : ٣٣٤ .

(٣) إسعاف الراغبين / ابن الصبان المالكي : ٢٤٨ .

(٤) وفيات الأعيان ٥ : ٣١٠ ، تذكرة الخواص / سبط ابن الجوزي : ١٩٦ .

(٥) هو الشيخ محمد حسين الأصفهاني .

(٦) الأنوار القدسية : ٩٢ .

الإمام الكاظم عليه السلام سيرة وتاريخ ٢١٢
نفس السنة ، وقيل : بل في سنة (١٨٦ هـ)^(١) .

وعلى رواية سنة (١٨٣ هـ) ، يكون قد لبث في السجن أكثر من أربع سنين ،
إذ اعتقل عليه السلام سنة (١٧٩ هـ) ، وعلى رواية سنة (١٨٦ هـ) ، يكون قد لبث أكثر من
سبع سنين ، هذا عدا المدة التي قضاها في السجن في المرة الأولى .
وكان له عليه السلام من العمر خمس وخمسون سنة ، وقيل : أربع وخمسون ،
عشرون منها مع أبيه عليه السلام ، لأنه توفي سنة (١٤٨ هـ) ، وخمس وثلاثون بعده ،
وهي مدة إمامته^(٢) .

وصيته وعهده عليه السلام :

من الواضح أن وصي الإمام الكاظم عليه السلام وولي عهده من بعده هو ابنه علي
الرضا عليه السلام ، ويدل على ذلك كثير من الروايات الصحيحة الواردة في مظانها^(٣) ،
غير أننا نذكر هنا وصيته التي كتبها عملاً بالكتاب والسنة ، لقوله تعالى : ﴿ كُتِبَ
عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةَ ﴾^(٤) ، وقوله سبحانه :

(١) راجع : الإرشاد ٢ : ٢١٥ ، تاريخ الطبري ٦ : ٣٩٨ ، تاج المواليد : ٤٦ ، المنتظم في
تاريخ الملوك والأمم ٩ : ٨٨ ، تاريخ بغداد ١٣ : ٣٣ ، الكافي ١ : ٤٧٦ ، مناقب آل أبي
طالب / ابن شهر آشوب ٣ : ٤٣٧ ، مطالب السؤول : ٨٣ ، صفة الصفوة ٢ : ١٨٧ ،
بحار الأنوار ٤٨ : ٢٠٦ ، عيون أخبار الرضا عليه السلام ١ : ٩٩ / ٤ ، روضة الواعظين :
٢٢٠ .

(٢) الكافي ١ : ٤٧٦ ، الإرشاد ٢ : ٢١٥ ، اعلام الوري ٢ : ٥ ، مناقب آل أبي طالب ٣ :
٤٣٧ ، تاج المواليد : ١٢١ ، الفصول المهمة : ٢٢٢ ، تاريخ مواليد الأئمة / ابن
الخشاب البغدادي : ٣٢ .

(٣) الكافي ١ : ٢٤٩ ، عيون أخبار الرضا عليه السلام ١ : ٢١ — ٣١ ، الإرشاد ٢ : ٢٤٧ ، غيبة
الطوسي : ٣٤ وما بعدها .

(٤) سورة البقرة : ٢ / ١٨٠ .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةٌ بَيْنَكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ ﴾^(١) ، وقد جعل فيها وصيه ابنه علياً الرضا ﷺ ، وأطلق يده ومنحه جميع الخيارات.

روى الوصية الشيخ الصدوق بالإسناد عن إبراهيم بن عبد الله الجعفري ، عن عدّة من أهل بيته ، وذكر أولاً أنه ﷺ أشهد تسعة رجال من أهل بيته ومن غيرهم ، وذكرهم بأسمائهم ، ثم ذكر صورة الوصية التي بدأها بالشهادة بالتوحيد والنبوة والمعاد ، ثم جاء فيها : « أشهدهم أن هذه وصيتي بخطي... ووصيت بها إلى علي ابني ، وبني بعده ، فإن شاء وآنس منهم رشداً وأحب إقرارهم فذلك له ، وإن كرههم وأحب أن يخرجهم ، فذلك له ، ولا أمر لهم معه.

وأوصيت له بصداقتي وأموالي وصياني الذين خلفت وولدي ، وإلى إبراهيم والعباس وإسماعيل وأحمد وأم أحمد ، وإلى علي أمر نسائي دونهم ، وثلاث صدقة أبي وأهل بيتي يضعه حيث يرى ، ويجعل منه ما يجعل ذو المال في ماله ، إن أحب أن يميز ما ذكرت في عيالي فذلك له ، وإن كره فذلك له ، وإن أحب أن يبيع أو يوهب أو ينحل أو يتصدق على غير ما وصيته فذلك إليه ، وهو أنا في وصيتي في مالي وفي أهلي وولدي.

وإن رأى أن يقرّ إخوته الذين سميتهم في صدر كتابي هذا أقرهم ، وإن كره فله أن يخرجهم غير مردود عليه ، وإن أراد رجل منهم أن يزوج أخته فليس له أن يزوجها إلاّ بإذنه وأمره ، وأي سلطان كشفه عن شيء أو حال بينه وبين شيء مما ذكرت من كتابي فقد برئ من الله ومن رسوله ، والله ورسوله بريئان منه ، وعليه لعنة الله ولعنة اللاعنين والملائكة المقربين والأنبياء والمرسلين أجمعين وجماعة المؤمنين.

الإمام الكاظم عليه السلام سيرة وتاريخ ٢١٤

وليس لأحد من السلاطين أن يكشفه عن شيء لي عنده من بضاعة ولا لأحد من ولدي ، ولي عنده مال ، وهو مصدق فيما ذكر من مبلغه إن أقل أو أكثر فهو الصادق ، وإنما أردت بإدخال الذين أدخلت معه من ولدي التنويه بأسمائهم ، وأولادي الأصاغر وأمهات أولادي ، من أقام منهن في منزلها أو في حجابها فلها ما كان يجري عليها في حياتي إن أراد ذلك ، ومن خرج منهن إلى زوج ، فليس لها أن ترجع إلى حزانتني ^(١) إلا أن يرى عليّ ذلك ، وبناتي مثل ذلك. ولا يزوج بناتي أحد من إخوانهن ، ولا من أمهاتهن ، ولا من سلطان ، ولا عمل لهن إلا برأيه ومشورته ، فإن فعلوا ذلك فقد خالفوا الله تعالى ورسوله وحاربه في ملكه ، وهو عارف بمنالك قومته ، إن أراد أن يزوج زوج ، وإن أراد أن يترك ترك ، وقد أوصيتهن بمثل ما ذكرت في كتابي ، وأشهدت الله عليهن... » ^(٢).

فضل زيارته عليه السلام :

الزيارة هي حالة من التواصل مع رموز الرسالة المحمدية ، يستشعر الزائر خلال أدائها بالانشداد إلى عقيدته وتاريخه وقادته الرساليين ، من هنا جاءت المزيد من الأخبار في الحث على زيارة أهل البيت عليهم السلام ، باعتبارهم يمثلون خط الأولياء الباقي إلى يوم الدين بقاء الكتاب الكريم بين ظهراني الأمة.

روي عن ابن سنان ، قال : « قلت للرضا عليه السلام : ما لمن زار أباك ؟ قال : له الجنة فرره » ^(٣).

وعن الحسن بن علي الوشاء ، عن الرضا عليه السلام ، قال : « زيارة قبر أبي مثل

(١) حزانة المرء : عياله.

(٢) عيون أخبار الرضا عليه السلام ١ : ٢٣ / ١ ، الكافي ١ : ٣١٦ / ١٥ .

(٣) التهذيب ٦ : ٨٢ ، مناقب آل أبي طالب ٣ : ٤٤٢ .

زيارة قبر الحسين ﷺ « (١) .

وعن الحسين بن بشار الواسطي ، قال الرضا ﷺ : « زيارة أبي من الفضل كفضل من زار قبره والده - يعني رسول الله ﷺ - قلت : فإني خفت ولم يمكن أن أدخل داخلاً ؟ قال : سلّم من وراء الجدار » (٢) .

وعن الحسن بن محمد الأشعري القمي ، قال : « قال لي الرضا ﷺ : من زار قبر أبي ببغداد كان كمن زار رسول الله ﷺ وقبر أمير المؤمنين ﷺ ، إلا أن لرسول الله وأمير المؤمنين فضلهما » (٣) .

قال الشاعر (٤) يذكر فضل زيارة الإمام الكاظم والحواد ﷺ في رجب :

زيارة الكاظمين في رجب تنقذ يوم اللقاء من اللهب
تعديل حجاً ووقفهً بمنى وعمرةً كلها بلا نصب
إي وأبي لا يخاف هول غد من حازها في الزمان إي وأبي
من شاهد الفرقدين قبلهم في سفطي قبطين من ذهب (٥)

وقال أيضاً :

خلعنا نفوساً قبل خلع نعالنا غداة حللنا مرقداً منك مأنوساً
وليس علينا من جناح بخلعها لأنك بالوادي المقدس يا موسى (٦)

(١) كامل الزيارات : ٣٠٠ ، التهذيب ٦ : ٨١ .

(٢) كامل الزيارات : ٢٩٩ ، روضة الواعظين : ٢٢١ ، التهذيب ٦ : ٨٢ ، وفي بعض المصادر : من وراء الجسر .

(٣) كامل الزيارات : ٢٩٩ ، التهذيب ٦ : ٨١ .

(٤) هو عبد الباقي العمري (ت / ١٢٧٨ هـ) .

(٥) الترياق الفاروقي : ١٤١ - مصر .

(٦) الترياق الفاروقي : ١٣٢ .

وقال :

زر حضرة مجمع البحرين ساحتها أبان عن قبتيها سره القدر
ترى ابن جعفر موسى في حظيرته موسى ولكن له من نفسه خضر (١)

باب الحوائج :

قبر موسى بن جعفر عليه السلام هو مثابة الرجاء لكل مرتجٍ يقصد حضرته ، وبابه باب الرحمة والشفاعة والشفاء ، هو الدواء المحرب والعلاج الناجع لكل ما يعرض للإنسان من أدواء الروح والبدن ، وقد جرب الناس ذلك في مختلف العصور ، وتحدثوا عن عشرات الحالات في كل أوان تبينت فيها كراماته عليه السلام في شفاء الأمراض وقضاء الحاجات حتى عرف بباب الحوائج إلى الله لنجح مطالب المتوسلين إلى الله تعالى به واستجابة الدعاء عند قبره المعلى ، ودفع البلاء عن بقعته ، من هنا صار مهوى الأفتدة ، تعقد عليه الآمال فتأتيه ذلاً تملل وتصلي حوله.

روى الكشي عن زكريا بن آدم ، قال : « قلت للرضا عليه السلام : إني أريد الخروج عن أهل بيتي ، فقد كثر السفهاء فيهم ؟ فقال : لا تفعل فإن أهل بيتك يُدفع عنهم بك ، كما يُدفع عن أهل بغداد بأبي الحسن الكاظم » (٢).

ووصفه الإمام الشافعي بالترياق المحرب ، ذكر ذلك حمد الله الهندي الحنفي بقوله في معرض الاستدلال على صحة الزيارة والتوسل بقبور الأولياء : « ومن الدلائل على التوسل بعد الوفاة ما قال الإمام الشافعي : قبر موسى الكاظم ترياق مجرب لاجابة الدعاء » (٣).

(١) الترياق الفاروقي : ١٣٢ .

(٢) اختيار معرفة الرجال : ٥٩٤ / ١١١١ .

(٣) ملحقات إحقاق الحق ٢٨ : ٥٥٣ ، عن كتاب البصائر لمنكر التوسل بأهل المقابر / حمد الله الهندي : ٤٢ - اسطنبول .

وَمَنْ حَرَبَ ذَلِكَ التَّرِياقَ أَبُو عَلِيٍّ الخَلالُ ، رَوَى البَغدادِي بِالإِسنادِ عَنِ
أحمد بن جعفر بن حمدان القطيعي ، قال : « سمعت الحسن بن إبراهيم أبا علي
الخلال يقول : ما همني أمر فقصدت قبر موسى بن جعفر ﷺ فتوسلت به إلا
سهّل الله تعالى لي ما أحبّ » (١).

قال السيد الشريف الرضي (ت / ٤٠٦ هـ) يمدح جده الإمام الكاظم ﷺ
مشيراً إلى أن قبر الإمام الكاظم والإمام الجواد ﷺ يجنبه علاج لأسقام القلب
والروح :

ولي قبران بالزوراء أشفني بقرهمما نزاعا عي واكتسابي
أقود إليهما نفسي وأهدي سلاماً لا يحيد عن الجواب
لقاؤهما يطهر من جنائي ويدراً عن ردائي كل عاب (٢)

وفي نفس السياق يقول عبد الباقي العمري (١٢٧٨ هـ) :

لا تلمني على وقوفي ببابٍ تتمنى الأملاك فيه وقوفي
هو باب مجرب ذو خواصٍ كان منها إغاثة الملهوف
ملجأ العاجزين كهف اليتامى مروة المرملين مأوى الضيوف
فليمني من شاء إني موالٍ رافل من ولائهم بشغوف (٣)

ويقول الشيخ محمد حسين الأصفهاني في أرجوزته :

وبابه باب شفاء المرضى وكل حاجة لديه تقضى
وبابه باب حوائج الوري لأجله غدا به مشتهرا
وكعبة الرجاء لكل راجٍ ومستجار المنتجى المحتاج

(١) تاريخ بغداد ١ : ١٢٠ .

(٢) ديوان الشريف الرضي ١ : ٩٢ — بيروت .

(٣) الترياق الفاروقي : ١١٨ ، موسوعة العتبات المقدسة ٩ : ٨٣ .

الإمام الكاظم عليه السلام سيرة وتاريخ ٢١٨
وكيف لا والباب باب الرحمة وفي فوائده نجاة الأمم
له من الخوارق الحسيمة ما جبهة الدهر به وسيمه
يغنيك عن بياها عياها وإنا شهودها برهاها
وكظمه للغيب من صفاته ثبوتها يغنيك عن إثباته (١)

الكاظم عليه السلام في ديوان الشعر :

نتوقف في محطتنا الأخيرة عند بعض مقاطع مختارة من الشعر العربي ،
نظمها نفر من الشعراء الذين تأثروا بهدي الإمام وحسن سمته ومناقبه ، فعبروا
بكلمات من النظم تصور خالص الولاء وعميق الودّ والمحبة لأبي الحسن عليه السلام .
روي أن أبا نؤاس (ت / نحو ١٩٨ هـ) لقي أبا الحسن عليه السلام فقال :
إذا أبصرتك العين من غير ريبة

وعارض فيه الشك أثبتك القلب
ولو أن ركباً يّمموك لقادهم
نسيمك حتى يستدل بك الركب
جعلتك حسبي في أموري كلها

وما خاب من أضحي وأنت له حسب (٢)
وقال دعبل بن علي الخزاعي الشهيد سنة (٢٤٦ هـ) في تائيته الشهيرة :
فأين الألى شطت بهم غربة النوى
أفانين في الأطراف متفرقات
قبور بكوفان وأخرى بطيبة
وأخرى بفسخ ناهها صلوات

(١) الأنوار القدسية : ٩١ .

(٢) مناقب آل أبي طالب ٣ : ٤٣٢ .

الفصل السابع : شهادته ﷺ ٢١٩

روى الصدوق أن دعبلراً لما بلغ هذا البيت بحضرة الرضا ﷺ ، قال له :
« أفلا ألحق لك بهذا الموضع بيتين بهما تمام قصيدتك ؟ فقال : بلى
يا بن رسول الله ، فقال ﷺ :

وقبر ببغداد لـنفس زكية تضـمّنها الرـحمن في الغـرفـات
وقبر بطوس يـالها من مصـيبة ألحّت على الأحشـاء بالزفـرات
فقال دعبل : هذا القبر الذي بطوس قبر من ؟ قال الإمام ﷺ : هو
قبري » (١).

وقال الناشئ (ت / ٣٦٦ هـ) :

ببغداد وإن ملئت قصورا
ضريح السابع المعصوم موسى
بأكناف المقابر من قریش
وقبر محمد في ظهر موسى
هما بحران من علم وحلم
إذا غارت جواهر كل بحر
يلوح على السواحل من بغاه
وقال أبو الحسن المعاذ :

زر ببغداد موسى بن جعفر
هو باب إلى المهيمن تقضى
هو حصني وعدتي وغيائي
صائم القيظ كاظم الغيظ في الد
قبر موسى مدحجه ليس ينكر
منه حاجاتنا وتحبي وتجبر
وملاذي وموئلي يوم أحشر
ه مصفى به الكبائر تغفر

(١) ديوان دعبل : ١٣٧ ، عيون أخبار الرضا ﷺ ٢ : ٢٦٣ ، روضة الواعظين : ٢٢١ .

(٢) مناقب آل أبي طالب ٣ : ٤٤٢ .

الإمام الكاظم عليه السلام سيرة وتاريخ ٢٢٠

كم مريض وافي إليه فعافا ه وأعمى أتاه صحّ وأبصر^(١)

وقال الشيخ البهائي (ت / ١٠٣١ هـ) في مدح الإمامين عليهما السلام :

أيّا قاصد الزوراء عرّج على الغري من تلك المغاني
ونعليك اخلعن واسجد خضوعاً إذا لاحت ليدك القبتان
فتحتهما لعمرك نار موسى ونور محمد متقارنان^(٢)

وقال الشيخ حسين بن محمد الدرزي (ت / ١٢١٦ هـ) في رثائه عليه السلام :

جلّت مصيبة أحمد في آله
فرمتهم الأعداء سهم نكال
ما مات منهم سيد بفراشه
بل مات مقتولاً بشر قتال
إما بسيف أو بسهم نافع
والهفتاه لهم وعظم وبال
لا زال من بعد النبي عدوهم
يسعى لهم بالقهر والإذلال
فلقد أصيبوا من بني العباس ما
زادوا على سفهاء كل ضلال
سُفها أمية سيما ما قد جرى
بالطهر موسى مجمع الأفضال
من عجلها ذاك العنيد رشيدها
قد زاد فعل يزيدا بفعال

(١) مناقب آل أبي طالب ٣ : ٤٤٢ .

(٢) الغدير / الشيخ الأميني ١١ : ٢٧٩ .

خَرَّتْ لمصدرها سماوات العِلا

والأرض في رجف وفي زلزال

والعرش منحرف كذا كرسيتها

والعالم العلوي في اعوال

لا غرو إن كسفت له شمس الضحى

والنجم حرّ وكل ما هو عال (١)

وقال عبد الغفار الأخرس (ت / ١٢٩٠ هـ) بمناسبة إهداء ستائر الضريح

النبوي إلى مقام الإمام الكاظم ﷺ :

يا من هدى هداة العباد

يا إمام الهدى ويا صفوة اللّ

حي هذا النادي وهذا المنادي

يا بن بنت الرسول يا بن علي

وأتيناك يا سيدي وفّادا

قد أتيناك بثوب جديك نسعى

واحتشاماً وهيبةً وانقيادا

فأتيناك راجلين احتراماً

وبه كانت المطايا تمّادي

تتهادى به إليك جميعاً

وكذا القدوة الإمام الجوادا

طالبات موسى بن جعفر فيه

أن ترقى بالله سبعا شدادا

من نبي قد شرف العرش لما

عطرت في ورودها بغدادا

شرف في ثياب قبر نبي

ما حوى قط صدره الأحقادا

كاظم الغيظ سالم الصدر عافٍ

نا إلى بابك الرفيع القيادا

قد وقفنا لدى علاك وألقي

وأنلنا الإسعاف والإسعادا

أيها الطاهر الزكي أغثننا

ق سلام يلقى ويأبى النقادا (٢)

فعليك السلام يا خيرة الخلد

(١) مجموعة وفيات الأئمة : ٢٧٤ .

(٢) الطراز الأنفس : ٧٩ - اسطنبول .

وقال السيد موسى الطالقاني (ت / ١٢٩٦ هـ) :

وبغداد قد ثوى سيد الكو
كاظماً غيظه يريد رضا اللد
قد أصاب الرشيد في قتله الغي
وإلى جنبه ثوى من بنيه
نين موسى أسير كف الذحول
ه فيلقى الردى بصير جميل
وقد ضلّ عن سواء السبيل
خير شبل له وخير سليل^(١)

وقال السيد حيدر الحلبي (ت / ١٣٠٤ هـ) :

حزت بالكاظمين شأناً كبيراً
فوق هذا البهاء تكسى بهاء
إنما أنت جنة ضرب اللد
إن تكن فجرت بهاتيك عين
فلكم فيك من عيون ولكن
فاخرت أرضك السماء وقالت
أبهاهين بالضراح وعندني
مصايحي استضى فمن شم
وهما قبتان ليست لكل
صاغ كليهما بقدرته الصا
حول كل منارتين من التب
كبرت كل قبة بهما شأناً
فعدت ذات منظر لك تحكي
كعروس بدت بقرطي نضار
فابق يا صحن أهلاً معمورا
ولهذي الأنوار تزداد نورا
ه عليها كجنة الخلد سورا
وبها يشرب العباد نميرا
فجرت من حواسد تفجيرا
إن يكن مفخر فمني استعيرا
من غدا فيهما الضراح فخورا
سي يبدو فيك الصباح سفورا
منهما قبة السماء نظيرا
ئغ من نوره وقال أنيرا
ر يجلي سناهما الديقورا
فأبدت عليهما التكبيرا
فيه عذراء تستخف الوقورا
فملت قلب مجتليها سرورا

(١) ديوان السيد موسى الطالقاني : ٥٨ - النجف.

حرم آمن به أودع اللد
 طببت إما ثراك مسك وإما
 بل أراها كافورة حملتها ال
 كلما مرت الصبا عرفتنا
 أين منها عطر الإمامة لولا
 كيف تحبيري الشاء فقل لي
 صحن دار أم دارة نيراهنا
 إن أقل أرض الأثير ثراها
 ما نزلنا حماك إلا وجدنا
 وإمامين ينقذان من الننا

ه تعالى حجابيه المستورا
 عبق المسك من شذاه استعيرا
 ريح خلديفة فطابت مسيرا
 أهما جدت عليك المرور
 أهما قبلت ثراك العطيرا
 أنت ماذا ؟ لأحسن التعبير
 بهما الكون قد غدا مستنيرا
 ما أراني مدحت إلا الأثيرا
 بلداً طيباً ورباً غفورا
 ر لمن فيهما غدا مستجيرا^(١)

وقال السيد صالح القزويني (ت / ١٣٠٦ هـ) :

اعطف على الكرخ من بغداد وابك بها

كترأ لعلم رسول الله مخزونا

موسى بن جعفر سر الله والعلم ال

مبين في الدين مفروضاً ومسنوناً

باب الحوائج عند الله والسبب ال

موصول بالله غوث المستغيثنا

الكاظم الغيظ عمن كان مقترفاً

ذنباً ومن عم بالحسنى المسيئنا

وكم بك الله عافى مبتلىً ولكم

شافي مريضاً وأغنى فيك مسكيناً

الإمام الكاظم عليه السلام سيرة وتاريخ ٢٢٤

لم يلهك السجن عن هدي وعن نسك
إذ لا تزال بذكر الله مفتوناً
بكت على نعشك الأعداء قاطبة
ما حال نعش له الأعداء باكوناً
راموا البراعة عند الناس من دمه
والله يشهد ما كانوا بريئيناً
كم جرعتك بنو العباس من غصص
تذيب أحشاءنا ذكراً وتشجيناً
طالت لطول سجون منه ثفتته
فقرحت جبهةً منه وعرنيناً
رأى فراغته في السجن منيته
ونعمة شكر الباري بها حيناً
يا ويل هارون لم تريح تجارته
بصفقة كان فيها الدهر مغوناً
ليس الرشيد رشيداً في سياسته
كلا ولا ابنه المأمون مأموناً
تالله ما كان من قرب ولا رحم
بين المصلين ليلاً والمغنيناً
لم يحفظوا من رسول الله منزله
ولا لحسنه بالحسنى يكافوناً
باعوا العمري بدنيا الغير دينهم
جهلاً فما ربحوا ديناً ولا ديناً

في كل يوم يقاسي منهم حزناً

حتى قضى في سبيل الله محزوناً^(١)

وقال الشيخ جابر الكاظمي (ت / ١٣١٣ هـ) مؤرخاً تعمير الحضرة

المقدسة :

فقل لمن قصد الزوراء معتمداً

قطع الدافد يطوي كل بيداء

إن صرت غربي بغداد وشمّت سنا

الوادي المقدس مأوى كل آلاء

قل للمنيبين رشداً عن مورخه

نادوا المهيمن هذا طور سيناء^(٢)

وقال السيد محسن الأمين العاملي (ت / ١٣١٧ هـ) :

لا تعفها فلقد طاب سراها	خلها تطوي الفلا طياً يداها
طاب من مثوى الجوادين شذاها	قصدها الزوراء تنحو تربة
وعلى شهب السما يسمو حصاها	بأريج المسك يزري نشرها
واخلع النعلين في وادي طواها	فإذا لاحت لعينيك فقف
نار موسى قيسات من سناها	تر أنواراً لموسى لمعت
لك كان الغيث في فيض نداها	وإذا كف الجواد انبجست
طور سيناء وتسمو في علاها	تفخر الزوراء في موسى على
وقفة العيس بها والشم تراها	قف بها وقفة عبد وأطل
فلمن تدخر العين بكاهها	واذر دمع العين في ساحاتها

(١) المجلس السنوية / السيد محسن الأمين ٥ : ٥٥٠ — دار التعارف.

(٢) ديوان جابر الكاظمي : ٢٨ — بغداد.

وابك فيها كاظم الغيظ الذي

وهو للأعداء لو شاء محامها^(١)

وقال الشيخ محمد علي اليعقوبي (ت / ١٣٨٥ هـ) :

قصدت بحاجاتي لموسى بن جعفر

فيممت باباً عنده الصعب يسهل

حمى عكفت فيه ملائكة السما

فتعرج أفواج وأخرى تترل

فثبت وقد بلغت أسنى رغائي

وخولت من جدواه ما لا يخول

كم رحمت أستجدي سواه فخيبت

ظنوني وهل أجدى عن البحر جدول

مزاياه لم تُحصر بعدد كأنها

عطاياه إن وافى إليه المؤمل

بدت مثلما تبدو الكواكب في السما

سوى أنها أهدى سناء وأكمل

نحاقيره العافون من كل وجهة

إلى الله في أعتابه تتوسل

وبالأمس بالزوراء بانث كرامة

بها فاجأتنا صحفها تتمثل

فكم من وجوه قطبت عند ذكرها

وأخرى سروراً أصبحت تتهلل

أتى قبره الأعمى الذي في علاجه

أساة الورى أضحت تحار وتذهل

فعداد بصير المقلتين لأهله

يردد آيات الثنا ويرتل

بنفسي الذي لاقى من القوم صابراً

أذى لو يلاقى يذبلأ ساخ يذبل

بعيداً عن الأوطان والأهل لم يزل

بيغداد من سجن لآخر ينقل

يعاني وحيداً لوعة السجن مرهقاً

ويرسف بالأصفاد وهو مكبل

ودسّ له السم ابن شاهك غيلة

فأدرك منه الرجس ما كان يأمل

ومات سميماً حيث لا متعطف

لديه ولا حنان عليه يعلل

قضى فغدا ملقى على الجسر نعشه

له الناس لا تدنو ولا تتوصل

ونادوا على جسر الرصافة حوله

نداء تكاد الأرض منه تزلزل

فقل لبني العباس فيم اعتذارها

عن الآل لو أن المعاذير تقبل

بجيث رسول الله والطهر فاطم

خصيمان والرحمن يقضي ويفصل

الإمام الكاظم عليه السلام سيرة وتاريخ ٢٢٨
يميناً لقد زادت بما هي قد جنت
على ما جنته عبد شمس ونوفل
رمت قبلها حرب فأصمت سهامها
وسهم بني الأعمام أدمى وأقتل
فيا ابن الألى عن حبهم وولائهم
جميع الورى يوم القيامة تسأل
خذوا يوم حشري إن وهنت بساعدي
فإني بأعباء الجرائم مثقل^(١)

والحمد لله رب العالمين
وسلاماً على عباده
الذين اصطفى محمد
وآله الطاهرين

(١) ديوان اليعقوبي الموسوم بالذخائر : ٥٢.

المحتويات

١	مقدمة المركز
٧	مقدمة المؤلف
١١	الفصل الأول : ملامح عصر الإمام الكاظم عليه السلام
١١	الحكام المعاصرون للإمام عليه السلام
١٢	أهم سمات هذا العصر
١٣	١ - قوة السلطة المركزية
١٤	٢ - توسع العمران
١٥	٣ - ميل رجال الدولة إلى البذخ واللهو
١٩	٤ - سوء الأوضاع الاقتصادية والصحية
٢١	٥ - نفوذ البرامكة والجواري
٢٣	٦ - الثورات الشعبية
٢٣	أ - محمد النفس الزكية
٢٥	ب - أخوه إبراهيم
٢٧	ج - عبد الله الأشتر
٢٧	د - الحسين شهيد فخر
٢٩	هـ - يحيى بن عبد الله
٣١	و - إدريس بن عبد الله
٣٢	ز - يوسف البرم
٣٣	ح - وهيب بن عبد الله النسائي
٣٣	٧ - الحركات المتطرفة

٢٣٠	الإمام الكاظم عليه السلام سيرة وتاريخ
٣٣	أ — أستاذسيس
٣٣	ب — الخوارج
٣٥	ج — الرنادقة
٣٦	د — الفتن وأعمال التمرد
٣٧	الفصل الثاني : السلطة والإمام عليه السلام
٣٨	المبحث الأول : مواقف الحكام
٣٨	١ — المنصور ١٣٦ — ١٥٨ هـ
٣٨	موقفه من الإمام الصادق عليه السلام
٤١	موقفه من الطالبين
٤٤	موقفه من الموالين لأهل البيت عليهم السلام
٤٥	موقفه من الإمام الكاظم عليه السلام
٤٦	٢ — المهدي العباسي ١٥٨ — ١٦٩ هـ
٤٧	موقفه من الطالبين
٤٨	موقفه من الشيعة
٤٨	موقفه من الإمام الكاظم عليه السلام
٥١	٣ — موسى الهادي ١٦٩ — ١٧٠ هـ
٥١	موقفه من الطالبين
٥٢	موقفه من الإمام الكاظم عليه السلام
٥٤	٤ — الرشيد ١٧٠ — ١٩٣ هـ
٥٥	موقفه من الشيعة
٥٦	موقفه من الطالبين
٥٩	موقفه من الإمام الكاظم عليه السلام
٥٩	إشخاص الإمام إلى العراق
٦٣	أسباب استدعاء الإمام وسجنه
٦٣	أولاً — الخوف من عمل الإمام عليه السلام

٢٣١	المحتويات
٦٤	ثانياً — الحقد والغيرة
٦٥	ثالثاً — الوشاية
٦٦	من الذين وشوا بالإمام عليه السلام ؟
٦٦	١ — علي بن إسماعيل بن جعفر
٦٧	٢ — محمد بن إسماعيل بن جعفر
٦٨	٣ — محمد بن جعفر الصادق عليه السلام
٦٨	٤ — يعقوب بن داود
٦٩	رابعاً — مناظرة الرشيد في مسألة فدك
٦٩	خامساً — مناظرة هشام
٧٠	الإمام يرد التهم
٧٢	المبحث الثاني : مواقف الإمام عليه السلام إزاء تصرفات السلطة
٧٣	١ — موقفه في السجن
٧٤	٢ — موقفه من الرشيد
٧٧	٣ — مقاطعة الدولة
٧٨	أسباب هذا الموقف
٧٩	استثناءات
٨٠	٤ — موقفه من أصحابه ومواليه
٨١	أ — تأكيد مبدأ الاخوة
٨٣	ب — تحذيرهم من الفتن
٨٤	٥ — هداية الخلق
٨٩	الفصل الثالث : الهوية الشخصية للإمام الكاظم عليه السلام
٨٩	نسبه
٨٩	أمّه
٩٠	مولده
٩٢	حليته وصفته

٢٣٢	الإمام الكاظم عليه السلام سيرة وتاريخ
٩٣	كنيته
٩٤	ألقابه ونعوته
٩٥	نقش خاتمه
٩٦	شاعره
٩٦	يوأبه
٩٦	عمره ومدة إمامته
٩٨	أزواجه
٩٩	أولاده
١٠٠	في سيرة بعضهم
١٠٣	اخوته
١٠٤	في سيرة بعضهم
١٠٧	الفصل الرابع : النص عليه بالإمامة
١٠٨	أولاً — نص آبائه عليه عليه السلام
١٠٨	ثانياً — نص أبيه عليه عليه السلام
١١٣	وصية الصادق عليه السلام
١١٦	أبعاد الوصية ورمزيتها
١١٧	إمامة الكاظم عليه السلام
١٢٠	حجتهم داخضة
١٢٤	ثالثاً — شواهد أخرى
١٢٧	الفصل الخامس : مكارم أخلاقه عليه السلام
١٢٩	أولاً — العلم
١٣١	النبوغ المبكر
١٣٣	ثانياً — العبادة
١٣٨	ثالثاً — الزهد
١٣٩	رابعاً — الحلم

٢٣٣	المحتويات
١٤٢	خامساً — التواضع
١٤٤	سادساً — الكرم والمروعة
١٤٧	الفصل السادس : إسهاماته العلمية
١٤٨	المبحث الأول : دوره <small>عليه السلام</small> في ترسيخ مبادئ العقيدة
١٤٨	كلمة جامعة
١٤٩	كلماته في التوحيد والصفات
١٥٠	نفي التشبيه والتجسيم
١٥٣	الإرادة والمشئبة
١٥٦	علمه تعالى
١٥٧	السعادة والشقاوة
١٥٨	الكفر والشرك
١٥٨	كلماته في النبوة والإمامة
١٥٩	الحجة الظاهرة
١٥٩	لا تخلو الأرض من حجة
١٦٠	ولاية أهل البيت <small>عليهم السلام</small>
١٦٠	مودة أهل البيت <small>عليهم السلام</small>
١٦٠	حقوق أهل البيت <small>عليهم السلام</small>
١٦٠	الغيبية
١٦٢	مناظرات في الإمامة
١٦٣	المبحث الثاني : دوره <small>عليه السلام</small> في التشريع والتصنيف
١٦٤	مصادر التشريع
١٦٤	١ — موقفه عليه السلام من القياس
١٦٦	أمثلة في إبطال القياس
١٦٧	٢ — موقفه عليه السلام من الاستحسان والرأي
١٦٨	٣ — عرض الحديث على الإمام <small>عليه السلام</small>

٢٣٤	الإمام الكاظم عليه السلام سيرة وتاريخ
١٧٠	سيرة الإمام الكاظم عليه السلام وسننه
١٧١	المصنفات المنسوبة إليه عليه السلام
١٧٤	المبحث الثالث : إسهامات علمية أخرى
١٧٤	١ — في تفسير القرآن
١٧٨	٢ — قصار الحكم
١٨١	٣ — وصايا ومواعظ
١٨٣	ومن مواعظه ووصاياه الأخرى
١٨٥	٤ — ما نُسب إليه عليه السلام من الشعر
١٨٦	٥ — إسهاماته عليه السلام في علم الطب
١٩٠	المبحث الرابع : الدور العلمي لأصحابه عليه السلام
١٩٩	الفصل السابع : شهادته عليه السلام
٢٠٠	على الجسر
٢٠٥	جهازه ودفنه
٢٠٨	المصادر التي أثبتت شهادته
٢١١	تاريخ شهادته عليه السلام
٢١٢	وصيته وعهده عليه السلام
٢١٤	فضل زيارته عليه السلام
٢١٦	باب الحوائج
٢١٨	الكاظم عليه السلام في ديوان الشعر
٢٢٩	المحتويات